

مجلة مجمع اللغة العربية





مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
عهد السويسرى سابقا) بالزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الحادى والثمانون

جمادى الآخرة ١٤١٨هـ / نوفمبر ١٩٩٧م

رئيس التحرير

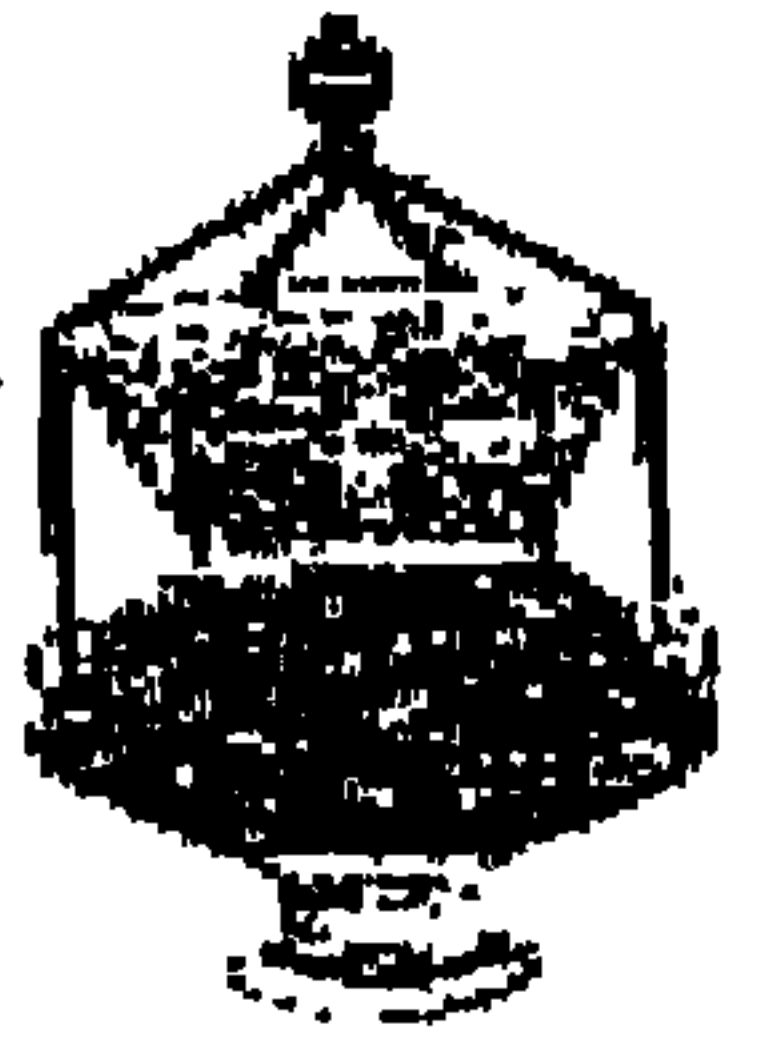
إبراهيم الترسزى

أمين التحرير

سعد توفيق

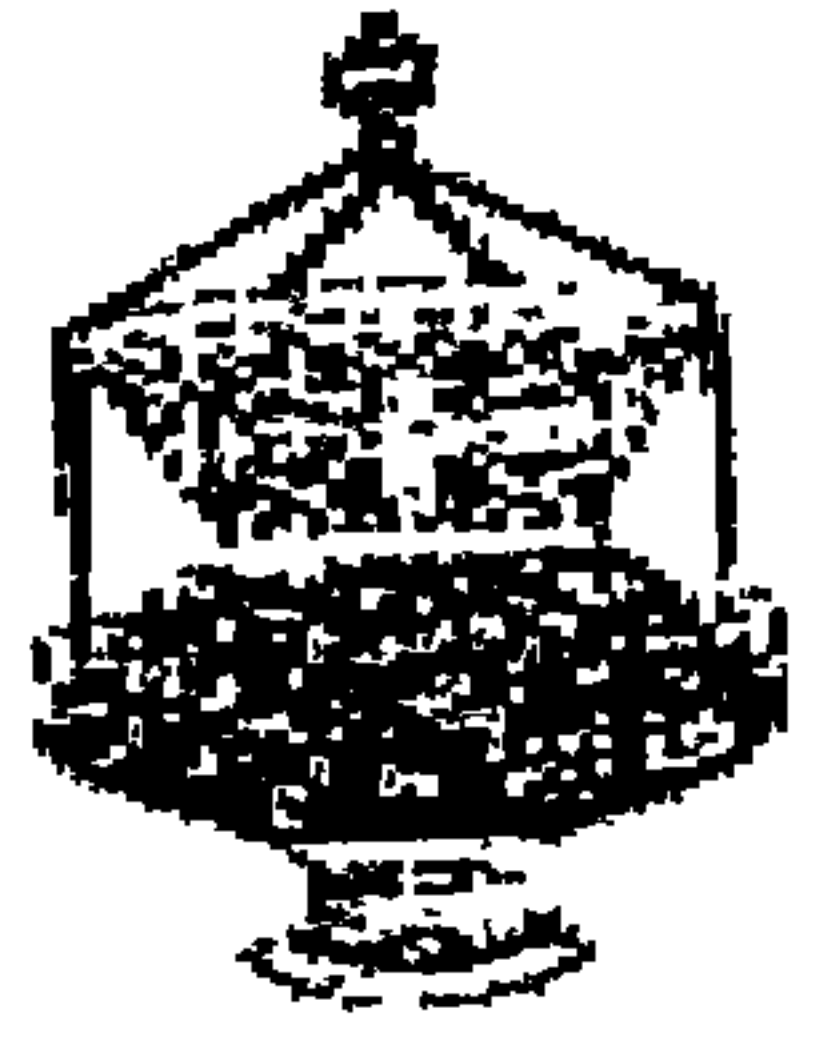
مساعدة أمين التحرير

سميرة شعلان



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٨	• مشروع الذخيرة اللغوية العربية وأبعاده العلمية والتطبيقية. للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح	١	• أولاً: بحوث ومحاضرات أقيمت في المؤتمر: • السير هاميلتون جب عضو المجمع . للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي
٦٢	• الأسماء العربية لأجناس الحيوان وأنواعه . للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد	١٠	• نعم: لقفزة علمية رائدة مبدعة لا: لقفزة علمانية فلتانة غير محكمة . للأستاذ الدكتور عدنان الخطيب
٧٥	• بين الفصحى والعامية المصرية. للأستاذ الدكتور شوقي ضيف	١٨	• الخرجات المسماة بالأعجمية في الموشحات الأندلسية لغة ودلالة. للأستاذ الدكتور فيديريكو كورينسي كوردوبا
٨٧	• مخطوطة فريدة مجهولة للأستاذ الكبير فهمي المدرس. للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين	٢٧	• العربية بين الإقليمية والعالمية . للأستاذ علي رجب المدني
٩٧	• توحيد المصطلح العلمي العربي من طور الهم إلى طور الفعل. للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط	٣٤	• المصطلحات الحضارية والعلمية في كتاب "نهاية الرتبة في طلب الخسبة للشيزري" . للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
١١٨	• المصطلحية والمصطلحات . للأستاذ أحمد شفيق الخطيب		



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٢١	• في تجديد الفكر وتاريخ الأفكار.	١٤٢	ثانياً: - بحوث لم تلق في المؤتمر:
للأستاذ الدكتور أحمد صدقي		١٤٣	• مسائل في العربية وتعلمها .
الدجاني			للأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد
٢٣٩	• إشكالية تعريب التعليم الجامعي.		• الطريق إلى توحيد المصطلح العلمي
للأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد		١٥٦	العربي.
• كلمة المجمع في تأبين الأستاذ			للأستاذ الدكتور محمد مختار
محمد شوقي أمين .		١٦٢	• لغتنا سهلة صعبها بعض أبنائها.
للأستاذ إبراهيم الترزي			للأستاذ الدكتور عبد الرحمن محمد السيد
• عاشق الفصحى .		١٧٦	• الأمانة العلمية والمؤلفات العربية.
قصيدة رثاء للأستاذ الدكتور محمد			للأستاذ الدكتور كمال محمد دسوقي
يوسف حسن		١٩٧	• من مشكلات عقائد سبأ .
• كلمة الأسرة .			للأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح
للأستاذ محمد شفيع محمد شوقي أمين			• عودة إلى كتاب التبيان في شرح
• كلمة المجمع في تأبين المرحوم		٢٠٠	الديوان.
الأستاذ الدكتور حامد جوهر .			للأستاذ الدكتور شاكر محمد الفحام
للأستاذ الدكتور محمد رشاد الطوبي		٢١٤	• لغتي فديتك (قصيدة).
• عاشق البحر .			للأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس
قصيدة رثاء للأستاذ الدكتور محمد			• مجمع الخالدين وتوحيد المصطلح العربي.
يوسف حسن		٢١٦	للأستاذ عبد الرزاق البصير

بحوث ومخاضات القيت في المؤتمر

بمناسبة مرور مئة سنة على ميلاده :

السير هاميلتون جيب عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

عطاؤه الجَمُّ للدراسات العربية والإسلامية *

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

بيرشير (L.Berchère) الذي ترجم رسالة
الشيخ أبي زيد القيرواني، وأمثال الدكتور
بيرون Perran الذي أقدم على ترجمة
المختصر في الفقه المالكي للشيخ خليل بن
إسحاق المصري، علاوة على أعماله
الأخرى. ولكأنما قيّضت الأقدار لكل
تراثٍ من يهتم به من هؤلاء، أو يدل على
أماكن وجوده في مختلف جهات الدنيا.

وسينصبُ حديثي في هذه المناسبة
على عَلم من أعلام الاستشراق في العصر
الحديث ، ويتعلق الأمر بعضوٍ من أعضاء
بمجمعنا ومن المؤسسين للمجمع، اختفى عنا
منذ نحو من ربع قرن، وما يزال الحديث
عنه سائراً إلى الآن.

ولد جيب في مدينة الإسكندرية
منذ ثاني يناير ١٨٩٥ أي قبل مائة سنة،
كان والده مديراً لمصنع الأجبان في أبي قير،

نرى من واجبنا في بداية الحديث أن ننوه
بالجهود التي قامت بها طائفة من
المستشرقين الأكفاء الذين ساعدتنا
دراساتهم وبحوثهم على استجلاء الحقيقة
التي تظل الهدف الأسمى للباحثين، وكذا
لتصحيح بعض المعلومات حول عدد من
الموضوعات التي تتناول بعض القضايا التي
قد لا تخطر على البال.

لقد وجدنا في المستشرقين من
تخصص في أبي عبيد البكري أمثال البارون
دوسلان. ومن اهتم بالشريف الإدريسي
كالأستاذ دوزي ودوخوي (De Goeje).
ومن اهتم بابن جبير كالأستاذ رايت
(Wright). ومن اهتم بالعمري كالأب
دوكينيس (De Guignes). ومن كتب
عن علاقات المشرق بالمغرب من أمثال
ماريوس كارنار (M.canard) بل ومن
اهتم بمصنفاتنا الإسلامية كالأستاذ ليون

(*) أُلقيت هذه المحاضرة في الجلسة الثانية العلنية المسائية من جلسات مؤتمر المجمع بتاريخ ٢٦ من شوال

سنة ١٤١٥هـ الموافق ٢٧ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٥م

وقد توفي وتركه من سنتين ،
وبينما بقيت والدته بالإسكندرية تمارس
التدريس أرسل الطفل - وهو ابن خمس
سنوات - إلى سكوتلاندا لتلقى تربيته ،
وهناك في المدرسة العليا بإدينبورغ
EDINBURGH قضى سنه من عام
١٩٠٤ إلى عام ١٩١٢ ، ثم التحق بجامعة
إدينبورغ ولم ينقطع عن الدراسة إلا عندما
شبت الحرب العالمية العظمى ، حيث
وجدناه يلتحق بإيطاليا وفرنسا لأداء واجبه
الوطني.

وبعد الحرب درس اللغة العربية في معهد
الدراسات الشرقية بجامعة لندن حيث
حصل على الدبلوم في عام ١٩٢٢ ، وهي
السنة التي اقترن فيها بزوجته هيلين التي
كانت له نعم المعين.

وقد درس اللغة العربية في المعهد
المذكور ابتداءً من عام ١٩٢١ إلى عام
١٩٣٧ كمحاضر . ولم يلبث أن أصبح
أستاذاً مساعداً ابتداءً من عام ١٩٢٩ ،
على أن يمسي أستاذاً ابتداءً من عام ١٩٣٠
خلفاً لأستاذه المعروف السير طوماس
أرنولد (T.ARNOLD) ، وقد قام بزيارة
مصر ، وتردد عليها على نحو ما كان

بالنسبة لبلدان عربية أخرى ، ومن هنا
أصبح أحد المعروفين بإسهاماته في
الموسوعة الإسلامية (Encyclopedia of
islam) ، في الوقت الذي قام بتأليف
بعض الكتب وتحرير عددٍ من المقالات ،
ظهر من خلالها عمق معارفه ، كما ظهرت
موهبته في البحث وأصالته في الأسلوب ...
وكان من أوائل تلك البحوث التي ظهرت
له سنة ١٩٢٦ كتابه في الأذب العربي
(ARABIC LITERATURE).

وقد قام عام ١٩٢٩ بترجمة
(مختارات) من رحلة ابن بطوطة : الأقسام
الخاصة بآسيا وأفريقيا ، وهو التأليف
المعروف تحت اسم (Selections) ، ومن
المضحك أن نعرف أن هذا التأليف في
طبعته الثالثة الأخيرة التي ظهرت عام
١٩٨٤ ، أي بعد وفاته بثلاث عشرة سنة -
أقول ظهرت هذه الطبعة وهي لا تحمل
اسم السير هاميلتون جيب ، وهكذا صدر
الكتاب غفلاً بدون اسم !!

ثم ظهرت للسير جيب عام ١٩٣٢
ترجمة لتأليف باللغة العربية يتعلق بفترة
الحروب الصليبية ، ويتعلق الأمر بكتاب
لخمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي

(ت ٥٥٥ = ١١٦٠) وهو مؤرخ ثقة من أهل الشام صاحب ذيل تاريخ دمشق.

كما صدرت له في هذه الأثناء سلسلة من المقالات التي تعالج الأدب العربي المعاصر وبعض الموضوعات الإسلامية التي كانت من الأعمال الجديّة الأولى التي ظهرت لأحد رجال الاستشراق.

وقد أسهمت تلك الأعمال في تعريف القراء الغربيين بالدراسات العربية والإسلامية في العالم الغربي، حيث أصبح في متناولهم الوقوف على بعض الموضوعات التي كانوا يتوقون إلى معرفتها فيما يتصل بالقرآن الكريم، وبالرسول عليه الصلوات وبالأمة الإسلامية، وما يتصل بمسيرتها عبر التاريخ. وفي عام ١٩٣٧ تبوأ منصب أستاذ كرسي للغة العربية في أكسفورد خلفاً للأستاذ ماركوليث (MARGOLIOUTH)، كما انتخب عضواً بمجلس كولييج جوهن... واستمر بأكسفورد لفترة أربعة عشر عاماً زادت في إثراء معارفه، ومكنته من فهم القضايا العربية والإسلامية أتمّ تمكّن، علاوة على فهمه الثاقب لقضايا الشرق الأوسط.

وقد ساعده الوضع بعد الحرب العالمية الثانية في أثناء الأربعينيات، على تشجيع هذه الدراسات في أكسفورد، الأمر الذي مكّن هذه المؤسسة من رصد اعتمادات سخية خاصة لتطوير دراساتها لقضايا الشرق الأوسط، وهكذا فقد أسند الأمر كله إلى السير جيب الذي كان يجد الوقت، مع كل هذا لمواصلة نشاطه كأستاذ، ومتابعة كتاباته وتأليفاته..

وقد أخرج بمشاركة زميله الأستاذ هارولد بووين HL. Bowen كتاب ISLAMIC Society and west (القسم الأول ١٩٥٠ والقسم الثاني عام ١٩٥٧) وقد تبع هذا تأليف عن العثمانيين أواخر القرن الثامن عشر، كان له صدّي لدى الذين كانوا يهتمون بأحوال الأمة الإسلامية، وقد تبعت هذا أعمال له أخرى وخاصة منها مظاهر عام ١٩٤٩ حول الإسلام تحت عنوان (MOHAMMEDANISM) الذي كان تمة لما ظهر له قبل سنتين عام ١٩٤٧ حول النزعات العصرية في الإسلام (MODERN TREND IN ISLAM)،

وقد عالج فيه مشاكل المجتمع الإسلامي في العالم الجديد.

وفي عام ١٩٥٥ غادر جيب أكسفورد ليمسى أستاذاً للعربية في جامعة هارفارد ، ويحمل كذلك لقب "أستاذ الجامعة" ، وهو اللقب الذي لا يعطى إلا نادراً لبعض عيون العلماء المتميزين بطول الباع والكفاءة في الدراية.

ولم يلبث أن أصبح مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط في هارفارد ، وقد فتحت أمامه - وهو يعيش الستين - آفاق جديدة ظهر فيها نشاطه وبرز فيها حماسه ، وقد أمسى من أبرز رجال الفكر الذين اعتمدتهم الجامعات الأمريكية للاسترشاد بهم من أجل إنشاء مراكز جهوية، تعنى بالدراسات في شتى حقول المعرفة وعلى مختلف الأصعدة ، لتكوين الأساتذة والباحثين.

وهكذا استعاد السير هاميلتون نشاطه الأول وعاد إلى التأليف في ميدان التاريخ والأدب . وهنا وجدناه يُقدم على عملٍ ضخم ، ذلك هو القيام بترجمة رحلة ابن بطوطة إلى الإنجليزية، بعد أن كان قد ترجم منها بعض (المختارات) مما يتصل

بآسيا وأفريقيا على ما أسلفناه . وكان مما شجعه على ذلك بطبيعة الحال مقدرته على استيعاب اللغة العربية بدقائقها، وتضلعه كذلك من شتى أنواع المعرفة ، كل ذلك جعل منه ترجماناً كفئاً، وبصيراً، ومتذوقاً لما يؤلف العربية..

وعندما قررتُ في بداية الستينيات القيام بنشر مخطوطة ابن صاحب الصلاة حول تاريخ الدولة الموحدية(*) استشرته حول الإقدام على ذلك العمل - وكان وقتها يتردد بين بوسطن ولندن - وكان بلغني أنه يعتزم نشر المخطوطة المذكورة ، وقد كانت قرية منه في مكتبة بُودليان بأكسفورد ... فكتب إليّ يؤكد لي أنه بالفعل كان قد برمج تحقيق المخطوطة المذكورة لكنه عدل عن الفكرة.

وقد ظهر أنه أعطى الأولوية فعلاً لترجمة رحلة ابن بطوطة إلى الإنجليزية عن النص العربي والفرنسي الذي قام به المستشرقان الفرنسيان ديفريميري DEFREMERY وسلانكينتي (Sangunetti) على ماسنري في نهاية العرض.

* المن بالأمانة: تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين تأليف عبد الملك بن صاحب الصلاة تحقيق د. عبد الهادي التازي الطبعة الثالثة. دار المغرب الإسلامي ١٩٨٧.

ولقد عاد السير جيب بعد عام ١٩٦٤ إلى أكسفورد .. وأخذ يعيش أكثر وقته مع ترجمة ابن بطوطة . وبالرغم مما أصابه بسبب وفاة عقيلته عام ١٩٦٩ فقد تحامل على نفسه، وأخذ في إعداد الجزء الثالث من الرحلة الذي ظهر له سنة ١٩٧١ وهي السنة التي انتقل فيها إلى منزله في شير نكطون Cherngton شمالي أكسفورد ، حيث كان يُمنّى نفسه بترجمة الجزء الرابع الباقي من رحلة ابن بطوطة ، وهنا نأتى بشهادة البروفيسور بيكينكام Becknham الذي قدّر له أن يكون هو القائم بذلك العمل ، يقول بيكينكام:

إن السير هاميلتون جيب أخذ يشعر وهو يترجم المجلد الثالث بمتاعب صحية كادت تحول دون إنهاء العمل .. وإنه - أي بيكينكام - كان يقدم له بعض المساعدة فقد أخذ جيب ينسى بعض الكلمات وبعض الجمل !!

ويعترف بيكينكام بأن العمل العظيم الذي قام به جيب وخاصة في (المختارات) (Selections) التي ترجمها عن آسيا وأفريقيا ، سهل عليه المهمة التي

ألقيت على كاهله لإعداد الجزء الرابع الذي ظهر أواخر عام ١٩٩٤ .

ولم يكن غريباً علينا ، بعد كل ذلك الجهد أن نجد السير هاميلتون ينعم بعضوية عددٍ من الأكاديميات ذات المرتبة السامية الرفيعة، وعلى رأسها مجمع اللغة العربية. وقد كان إلى جانب ذلك عضواً في الأكاديمية البريطانية، وفي الأكاديمية الدانماركية، وفي أكاديمية الفنون والعلوم التابعة للولايات المتحدة الأمريكية . هذا إلى انتسابه إلى عدد من المؤسسات والمعاهد العلمية. وقد حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعات إيدنبورك، وهارفاد، والجزائر ... هذا إلى ما عرفناه عن نيله عام ١٩٥٤ لأسمى لقب علمي رفيع في المملكة المتحدة.

وقد تصدّى تلامذته ومحّبوه ومقدّروه ، وهم كثير، لجرد سائر إنتاجاته، وهي بالفعل إنتاجات متنوعة الجوانب ، ويحار المرء حقيقة في تصور تلك الطاقة التي كان السير جيب يتوفر عليها ، وفي ذلك الفراغ الذي كان يجده، بل ويخلقه لإرضاء سائر طموحاته ورغباته في المعرفة.

وأرجو أن أشيد هنا بالفعل الجليل
الذى طبع في ليدن (هولندا) عن مؤسسة
E.J. Brill سنة ١٩٦٥ والذى نشر لدى
جامعة هارفرد: قسم الشرق الأدنى
للدراسات اللغوية والأدبية ، وكان يتمثل
في مجلد من نحو سبعمائة صفحة: "دراسات
عربية وإسلامية على شرف هاميلتون
جيب" (*) وهو يعبر أولاً عن التقدير الكبير
الذي يكنه العلماء في مختلف جهات العلم
لهذا الباحث الذى وهب حياته للاطلاع
وكشف الغامض ، ثم هو ثانياً عبارة عن
مجموعة بحوث كانت قمة في موضوعاتها
وأصيلة في أسلوبها ، وتكفي الإشارة هنا
إلى التقديم الذى توجه به إلى السير
هاميلتون صديقه (ليفى ديلافيدا) وإلى
التقرير البيوغرافي الذى كتبه الزميل جورج
مقدسي المشرف في ذات الوقت على
إعداد المجلد المذكور، ثم إلى التصنيف
المفصل الذى قام به السيد سلطانفورد
ج. شاو Stanford J SHAW عندما دقق
القول في كل ما نشره السير هاميلتون من
سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٦٤ .

وأرجو هنا أن أقتصر في تدخلى
على إبراز الجهد المتميز للسير جيب فيما

يتصل خاصةً بترجمته لرحلة ابن بطوطة إلى
اللغة الإنجليزية ، وعندما أقول "الجهد
التميز" فإننى أعنى ما أقول ، وأحب، لكى
أوضح فكرتى، أن أذكر هنا بأن الفضل
الأكبر في إخراج رحلة ابن بطوطة من
حيز المخطوط إلى حيز المطبوع يرجع
بالدرجة الأولى إلى المستشرقين الفرنسيين
سالفى الذكر : ديفريميرى وسانكينيتى قبل
نحو من قرن ونصف من الزمن عام
١٨٥٣-١٨٥٨ .

وقد اعتمد الاثنان في إنجاز هذا
العمل الجليل على المخطوطات التى كانت
تتوفر عليها الخزانة الملكية في العاصمة
الفرنسية والمحفوظة اليوم بالمكتبة الوطنية
بباريز .

ونذكر بالمناسبة أنه اعتماداً على
نص الرحلة المنشور في باريز قامت بعض
الدور في مصر بإعادة نشر الرحلة "وقد تم
هذا النشر الأول بمطبعة وادى النيل
بتصحيح أبى السعود أفندى في منتصف
جمادى الثانية ١٣٨٨ أول شتنبر ١٨٧١
اعتماداً على أصله المطبوع مع ترجمته
بالفرانساوية بمدينة باريز في سنة ١٨٥٨
ميلادية" ، كما تقول هذه الطبعة ... ثم

تحركت هم عدد من الناس ابتداء من أول هذا القرن لإعادة طبع الرحلة في مصر وفي لبنان من غير أن يزيدو حرفاً واحداً على ما عرفناه من الطبعة الباريوية ، وهكذا وجدنا أن جميع ما ظهر من رحلات ابن بطوطة إنما كان صورة لما أصدره الاثنان ، بما فيه من أخطاء إملائية وأخطاء تاريخية ... ولم يكلف أحد من هؤلاء الناشرين - مع كثرة عددهم ، وبدون استثناء - شدة الرحلة إلى باريز حيث توجد المخطوطات المعتمدة من لدن الناشرين الأولين !!

وكان "الجهد المتميز" الذي قام به السير هاميلتون جيب أنه فكر قبل القيام بترجمة ما نشره الاثنان .. في أن يرجع إلى المخطوطات التي تقل عنها الاثنان ، بل وسعى إلى البحث عما يمكن أن يكون ظهر من مخطوطات أخرى !!

ومن هنا كان عمله في الرحلة عملاً أصيلاً ورفيعاً وذا مصداقية .. وللتدليل على هذا أذكر - وباختصار شديد - بعض الهفوات التي تثير الانتباه ، وفي صدر هذه الهفوات نسبة المقدمة لابن بطوطة مع أنها لابن جزى كما هو واضح!

وقد أطبقت النسخ المطبوعة ، اعتماداً على النسخة الباريوية التي وقعت في الخطأ بسبب اقتصارها على مخطوطة غير مصححة - أقول أطبقت على نسبة المقدمة لابن بطوطة ! لكن السير هاميلتون جيب وهو المحقق المتمكن .. عاد إلى المخطوطات ليستشيرها جميعها ، وهكذا أدرك نسبة المقدمة إلى ابن جزى وليس لابن بطوطة!!.

وحديث المقدمة ليس الأول والأخير ، ولكن الرحلات المنشورة ، وكلها كما قلنا اعتمد فيها أصحابها على النسخة الباريوية من غير أن يكلفوا أنفسهم عناء العودة إلى الأصول - كلها وقعت في الخطأ: فقرأنا مثلاً "الحجازي" بدل الحجار! وقرأنا النجدي بدل البجدي! وابن شيرين بدل ابن شبرين! والسبب عوض البسبي!

ولقد كان جيب علاوة على ضبط الأعلام الشخصية مهتما بالأعلام الجغرافية فضبطها ما أمكنه ذلك ، وبالتحديد، وأحياناً بخطوط الطول والعرض.

أكثر من هذا وجدناه يقوم بمراجعة الترجمة الفرنسية التي قام بها الناشران

السابقان: D.S ، فهو لا يتردد في تصحيح
القصد من الكلمات التي استعملها الرحالة
المغربي ، وبذلك أعطانا برهاناً جديداً على
هيمنته على اللغة العربية ، وتمكّنه من
أسرارها.

لقد قال ابن بطوطة وهو يجد نفسه
لأول مرة يطوف بالكعبة في خضم أمواج
البشر: "إنها دلالة تقوى بصيرة المستبصر
وتسدّد فكرة المتفكر" ، كان جيب أكثر
عمقاً في إدراك عبارة الرحالة المغربي من
سابقه العالمين الفرنسيين .. وسأكتفي
بالإحالة هنا على الجزء الأول من الرحلة
الصفحة رقم ٣٠٢.

ولكى نعرف مكانة السير جيب في
استيعابه لعلوم البلاغة والبيان ينبغي أن لا
نغفل عن أنه في بعض الأحيان يحاول أن
يبرز التّوريات التي في النص.

ومن هنا وجدناه يقف مع قول الشاعر:
وسلاطينهم سلّ الطين عنهم

فالرؤوس العظام صارت عظاما
ولقد استفاد جيب من كل المصادر
من غير أن يكلّ ويكسل ، وكان مثلاً
للباحث الأمين في هذا التراث الجليل الذي
يُعرف برحلة ابن بطوطة .. وكانت

مراجعته لا تقتصر على ما كتب باللغة
العربية ولكنها تتجاوز ذلك إلى كتب
باللغة الفارسية والتركية والبربرية ، إضافة
بطبيعة الحال إلى المراجع الفرنسية
والإنجليزية والأسبانية وغيرها، على ما نقرأه
له عند نهاية كل جزء من الأجزاء الثلاثة .

وقد وثّق الأجزاء الثلاثة التي
أخرجها بعدد من الخرائط والصور
والرسوم حتى يجعل القراء في الصورة التي
كان يريها لهم.

وحرصاً من جيب على تيسير
الفائدة لمن يريد المقارنات والمفارقات بين
الترجمة الفرنسية والإنجليزية عمل على
ترقيم صفحاته ، على أساس أن يجد
القارئ أمامه وعلى كل صفحة رقم الطبعة
الفرنسية بالإضافة إلى رقم الترجمة
الإنجليزية ، وهكذا لم تكن عنده (عقدة)
إزاء الذين سبقوه وتلك خصلة من خصال
العلماء الاجلاء !!

وإن قراءةً عابرةً في ترجمته لفصول
الرحلة مع ما صاحب تلك الفصول من
تعليقات جدّ مفيدة ليعطينا فكرةً عن مدى
شعور الرجل بعظم المسؤولية الملقاة على
كاهله وهو يقوم بتلك المهمة الشاقة.

وقد كنت أحياناً أفضل أن أقوم
بمتابعة ما يُورده من أفكار ومعلومات
وأقضى في ذلك الساعات ، بل والأيام .
ولكني كنت أعود إلى ما قدمه إلينا من
حقائق ودقائق مما كنت أتذكر معه قول
الشاعر العربي:

إذا قالت حَدامِ فصَدَّقوها

فإن القول ما قالت حَدامِ!!
وبالجملة فإن الإمام بما ورد في
الرحلة دون العودة إلى ما دونه السير
هاميلتون جيب يعتبر مجرد ادعاء مقرون
بكثير من الغرور والمغالطة ، وعلى قياس
رحلة ابن بطوطة أتصور أن أعماله جميعها
كانت تركز على أساس من تقديره لما
يُعهد إليه به .

ولم أستطع أن أسجل عليه من
تساهلات في نظري إلا ما يتصل بأمر
"الزاوية" التي أشاد بها الرحالة المغربي في
مدينة فاس ، وكانت من المنشآت
الحضارية للسلطان أبي عنان خارج مدينة
فاس ... هذه الزاوية التبت على السير
هاميلتون جيب بالمدرسة العنانية التي تقع
داخل المدينة ، على مقربة من أحد الأبواب
الرئيسية في مدينة فاس .

وهناك بعض التعقيبات الأخرى
لكنها كانت من البساطة بحيث أنها
تتضاءل أمام ما قدمه الرجل لنا من حقائق
كان يعتمد فيها على أصول لا تحمل
الشك ولا تقبل التردد .

وقد بذل بيكينكام جهداً كبيراً في
إعداده للجزء الرابع من الرحلة ، حتى لا
يظهر أن هناك فرقاً بين أعمال السابقين
واللاحقين ، لكنّه مع ذلك شعر نفسه
بالفرق الشاسع بين ما كتبه بالأمس
هاميلتون جيب وبين ما كتبه هو اليوم ،
ولذلك فقد ابتدأ الجزء الرابع بحديثه عن
المؤلف الراحل على أنه نسيج وحده ، وأن
أحداً لا يمكنه أن يقلده في أسلوبه ولا في
طول نفسه في البحث والتنقيب ولو أنه -
أي بيكينكام - مع كل ذلك أحسن الصنع
فيما قدمه لفائدة اللغة العربية عن رحلة ابن
بطوطة .

تلك هي التحية التي أردت تقديمها
للزميل الراحل هاميلتون جيب في هذه
الدار التي عرفت له قدره فنسبته إليها
وجعلته ضمن أعضائها المرموقين.

عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

نعم : لقفزة علمية رائدة مبدعة

لا : لقفزة علمانية فلتانة غير مُحكمة *

للأستاذ الدكتور عدنان الخطيب

إن تعريف (التكنولوجيا) الملمع إليه
يعنى بالنسبة إلى مصر ، أمُّ الأقطار العربية
ومن ورائها تلك الأقطار وكلها
مُجتمعاتٌ نامية، بالتعبير المذهب الدال
على تخلفها — يعنى بالنسبة إلى جمعها،
في الظاهر البريء ،

وجوب مبادرة كل منها إلى التغلب على
جميع مشاكلها وقضاياها المؤدية إلى
التنمية والتقدم تلقائيا ، بدون اللجوء إلى
خبرات المجتمعات الأخرى المتقدمة عليها
حضاريا كلما أمكن الاستغناء عن ذلك،
معتمدة على عقول المبدعين فيها ونبوغ
الناهين من أبنائها والجادين في العمل
على نهضتها للحاق بالمجتمعات المتقدمة
حضاريا والمشهود لها بالنجاح في مختلف
العلوم الكونية.

لكن ما هي تلك العلوم؟ إننا نرى
أفذاذ العلماء في مختلف أنحاء العالم لا
يزالون جادين في تصنيف تلك العلوم

إذا كان المثقفون في المجتمعات
المعاصرة يُجمعون على ضرورة الأخذ
بـ(التكنولوجيا) التي تقفز بالمجتمعات إلى
الأمم حتى تحسن استقبال القرن الحادى
والعشرين ، وهو على الأبواب يهم
بالدخول ، فهل من عاقل لا يرحب
بالفكرة أو ينفي عنها ضرورتها؟

ولكن ما هي تلك (التكنولوجيا)
التي يجمع العلماء على ضرورة الأخذ بها؟
إنى لم أعثر على أى تعريف لها ، تعريف
يحدد معالمها أو شروطها أو دروبها أو
المسالك التي تحققها ، حتى أن علماء
منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم
والثقافة ، أو ما يطلق عليها رمزا
(اليونسكو) (**) لم يتفقوا على تعريف
واضح إلى أن توصلوا إلى القول بأنها "
بجموعة للمعارف التي تؤدي إلى إنتاج
سلعة ، أو خدمة ما، وتوزيعها خدمة ما،
وتوزيعها وتسويقها".

* القى هذا البحث في الجلسة الثالثة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٢٧ من شوال سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٢٨ من
مارس (آذار) سنة ١٩٩٥ م.

** أسست في ١١/٤/١٩٤٦ لدعم التعاون بين الأمم عن طريق التربية والعلوم والثقافة ، ولتعزيز
الاحترام العالمى للعدل وحكم القانون والحريات ، ومقرها باريس .

وتحديد ما ينتج عن كل منها من فروع
وذيول.

إن سعة ما يحمل العلماء أعباءه
الملقاة على كواهلهم يدعو كل عاقل من
المثقفين إلى الاشتراك مع المنادين بضرورة
القفزة العلمية الرائدة التي تعتمد على
إبداع من يحسن الإبداع ، وتفكير من
يستقيم لديه الفكر ، حتى نقفز مما نحن
عليه من تخلف مُهين إلى تقدم نطمح إلى
السمو فيه تجاه مجتمعات متقدمة، آخذين
منها أفضل ما عندها من أنظمة ساهمت
في تقدمها ، أو تقاليد دعمت التقدم أو
دفعت إليه ، غير ساهين عن المثبطات فيه
صحية كانت أو نفسية، أو نتاج بيئة
خاصة كانت أو عامة ، محلية قاصرة
كانت أو دولية جارفة.

ولا أظن أن أحدا ممن سمعنى أو ممن
سيقراً كلامى يخالفنى فيما رأيته ، أو
حددته أو اشترطته ، أو استدرسته إن لم
يزد عليه بما يدعمه أو يؤيده.

ولكن ، قيل قديماً عن أحد علماء
النحو الأفاضل أنه مات وفى نفسه شىء
من (حتى) . وأنا أقول إن كثيراً من العلماء
سيموت وفى صدره غصة من (لكن)
هذه وما سيتلوها من كلام!

لكن لا : لقفزة علمانية غير مُلجَمة
ولا مُحكمة.

أقولها بملء فمي : لا !
لا لآى قفزة علمانية لا ضابط لها
ولا لجام يحد من رغبتها فى الجُمُوح ،
ولا حكم يمنعها عن الجُمُوح أو عن
خلعها العنان قيلاً على تحركاتها كي لا
تنطلق فلتانة يأخذ بها الهوى عن اليمين
تارة وعن الشمال تارات.

من الغرائب التى نمر بها نحن العرب
أو المسلمين (على ما نزعم) ، بل من أهم
هذه الغرائب وأشدّها خطراً وسوءاً
استبدال المتحركات بالثوابت ، حتى بتنا
وكلّ شىء من حولنا يتحرك.

لقد كتب أديب عربى كبير كان من
مُنظِّرى جامعة الدول العربية وأحد
واضعى ميثاق المثقفين العرب عهداً يحول
به بين العرب وبين التماذى فيما هم عليه
من انقسام فى الرأى وتخبُّط فى المسير.

صَوَّر الأديب الكبير مسير الأمة
العربية وجموع بنيتها أجسادا مبطوحة
مخدرة بخدر الاستكانة لما يخطط لها فى
هذه الدنيا ، وهى دار للعمل الصالح أو
الطالح وكل سيلقى جزاء ما عمل فى
الغد ، والغد مغيب فلا موجب للتفكير

فيه كما تفعل أمم كثيرة ، إلى أن يقول:
"والشطحات الدينية الساذجة تجعل الغد
قدراً إلهياً لا يتغير وتجعل همها في حجر
العقل واتباع النص القرآني" (١)

أليس هذا ما يطالب به الكاتب
المعروف (عبد المعاطي) وشلتة (المبدعة
الحمراء) وكلهم أحرار يسعون في بلاد
(ما وراء النهر) كما تطالب به الكاتبة
الشهيرة (تسليمة نسرين) من فك قيود
العقل ، وتحديث النصوص التراثية ، مما
استوجب في بنجلادش محاكمتها ، ولكن
القوة التي تدعمها استطاعت تحدى
غضب المسلمين فهربتها إلى بلاد
أحسنست استقبالها لأنها كانت تدعو إلى
تحقيق الحلم الذي يراودها وشقيقتها طعناً
بالقرآن المجيد خطوة نحو القضاء على
الإسلام!

في العام الماضي في أثناء ندوتنا الستين
نظم لنا الزميل المحترم الأستاذ إبراهيم التريزى
الأمين العام مع أعوانه مشكورين رحلة
إلى مدينة الغردقة، وكانت رحلة موفقة
فيها كل المتعة وكل التخفيف من أعباء ما
كنا فيه، وكان مما يستحق أن يذكر اليوم
الزيارة التي هُيئت لنا لنعاين جهود زميلنا

المغفور له عاشق البحر (الأستاذ جوهري)
وما خلق الله سبحانه وتعالى فيه من
مخلوقات في عهد قديم سبق لنا أن تمتعنا
بما صنف من مخلوقات وما شرحه لنا
عنها ، ثم في عهد مستحدث مستفيداً من
أحدث وسائل عرض مخلوقات بارئ هذا
الكون العظيم.

لقد بكينا جميعاً في زيارتنا الثانية
ما وجدناه من إهمال وتقصير أدى إلى
ضياع جهود فقيد الجمع (جوهري) وما
كان يحلم به من حسن عرض، وبيان
روعة الإبداع الإلهي المعجز.

واتفق أن عرض علينا الخبير
المرافق لنا في رحلتنا إمكانية الاشتراك في
رحلة بحرية ننزل بها إلى أعماق البحر
ضمن غواصة أعدت لهذه الغاية مشروطاً
على من يود الاشتراك فيها الشجاعة ،
محذراً ضعاف القلب من عدم الاستعداد
للغوص.

ومع تحذير الخبير رفض كثير من
الزملاء الكرام الاشتراك برحلة الغوص ،
أما أنا فتوكلت على الله عز وجل مردداً
قوله تعالى: "(لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم
فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)" (٢)

(١) مجلة العربي العدد ٤٣٥ رمضان ١٤١٥ الصادرة في الكويت بعد نكبتها التي روعت العرب والمسلمين على تباعد
أوطانهم، والكاتب بقلمه المصور من أركان الناطقين بنهجها الحديث.

(٢) ~ يونس ٤٩/١٠ .

وكان غوصنا مع الأسف الشديد إلى مسافة دون عمق البحر ، حيث تراحس أنواع من الأسماك، كل منها ينشد غذاءه بما كان يقدمه لها العمال الغواصون من طعام.

وإذا كان توقف الغواصة بنا عند ارتفاع حُدّد لها فنيًا حرّمنًا من الهبوط إلى الأعماق لمشاهدة المخلوقات التي تعيش فيها ، فإن عشاق الأعماق وتصوير حياة تلك المخلوقات ، متّعونا بالآلات التي يحملونها بجهاز (الفيديو) الذي نقل إلينا ما استطاع أولئك العشاق تصويره وتسجيله على الأشرطة بفن مارسوه فأتقنوه.

تعيش المخلوقات في أعماق البحار وكلها تتوالد وتتكاثر بسرعة غالبًا بجماع ذكورها وإناثها ، ثم تحيا على التهام مخلوقات أخرى تستضعفها، إلى أن تقع فريسة لمخلوق أقوى منها أو في شراك نصبه مخلوق ضعيف بحيلة تدجج مرة وتحب مرات، وكلها أكّلت فسى أول حياته وماكول في نهايتها.

إن مخلوقات أعماق البحار بألوانها المختلفة تبهر الأنظار بروعتها وتحير الأفكار بأشكالها، ويعجز كبار

أهل الفنون عن إبداع ما يماثلها ، ترى جميعها يسعى بسرعة فائقة أو ببطء شديد وراء طعامه، بسابتلاع أو مصّ مخلوق ضعيف، يدب بعضها وغيرها يزحف وأخرُ تسبح، ومنها ما يرقص ميلاً إلى اليمين ثم إلى الشمال، أو صاعداً إلى فوق ثم هابطاً إلى أسفل ، فيها الرائع الرشيق، وفيها الدميم المخيف.

لاشك أننا نعيش في عصر نستطيع أن نطلق عليه عصر التحدى الغربى الكبير لعالمنا العربى بسل العالم الإسلامى على تباعد أقطارهما ، فلنتساءل: ماذا كانت ردود الفعل لهذا التحدى عند كل من النخبة العربية والنخبة الإسلامية؟

لقد ولدت عند النخبتين الملمع إليهما فكرة "التجمع العربى والإسلامى" فظهرت "العروة الوثقى" لجمال الدين الأفغانى فى باريس؟ ثم ظهر كتاب "أم القرى" لعبد الرحمن الكواكبي، ثم جاء اقتراح الشيخ محمد مصطفى المراغى بوجوب الدعوة إلى عقد "مؤتمر" يقرر السبل الواجب اتباعها تجاه ذلك التحدى العدوانى.

ثم حلت بالعالمين العربي والإسلامي
في نهاية الحرب العالمية الأولى طامة، إذ
فرضت دول الغرب هيمنتها على جميع
بلاد العرب وبلاد المسلمين تقريباً.

لقد قام اليهودي "مارتن كرامر"
بوضع رسالة لنيل درجة دكتوراه
بإشراف المستشرق اليهودي الكبير
"برنارد لويس" طبعت ككتاب قلّ
نظيره.^(١)

ينتهي "كرامر" في كتابه إلى أن جميع
جهود العرب والمسلمين كانت "صفراً"،
وجميع الطرق التي سلكوها كانت
"مسدودة"، وإلى أنهم لا يستطيعون أن
يتفوقوا إلا على شيء واحد هو الاختلاف
على كل شيء.

كم واحداً من المثقفين العرب أو
المسلمين عرف "العروة الوثقى"
وشخصية جمال الدين الأفغاني معرفة
"كرامر"؟

ولنتساءل أيضاً: كم واحداً من
مثقفي العرب أو المسلمين عرف
عبدالرحمن الكواكي أو قرأ بإمعان كتاب

"أم القرى"، أو قرأ عن محمد مصطفى
المراغى وعن اقتراحه وجوب الدعوة إلى
عقد "مؤتمر" يقر السبل التي على العرب
والمسلمين سلوكها تجاه التحدي الغربي؟

بل لتساءل: كم واحداً قرأ
كتاب الرئيس البوسني الذي تعلم في
أعرق الجامعات الغربية، وحاز على
جائزة الملك فيصل عن كتابه "الإسلام
والغرب"^(٢)

بل لتساءل: كم واحداً منا قرأ
ما كتبه تولستوى الروسي عن عبقرية
الإسلام في حل مشاكل العالم العرقية؟
وأخيراً لتساءل: كم واحداً قرأ
ديوان شاعر ألمانيا العظيم "غوته" الذي
عرف فضل الإسلام، والتصوف الإسلامي
الذي نقل إليه وأثره في راحة نفسه
واطمئنان قلبه؟!^(٣)

قد يحلو لبعض من يسمعون من
الأساتيد الكرام، أو لمن سيقراً ما كتبت
أن يبادر إلى سؤال وجهه ومقبول: ما هو
العلم الذي تخصصت به يا سيد، حتى
تأتي بالأسئلة التي رددتها آنفاً؟

١- قام أحمد عمارة مشكوراً بتلخيص الكتاب عن الإنكليزية ونشره في مجلة المهل التي تصدر في جدة بالعدد ٥١٢ من المجلد ٥٥
الصادر عن شهرى كانون الثاني وشباط ١٩٥٤.

٢- طبع أخيراً في مصر وبالغربية وهو في الأسواق.

٣- صدر كتاب "جوته والعالم العربي" عن "عالم المعرفة" في الكويت برقم ١٩٤ تأليف كاتارينا مومزن وترجمة عدنان عباس علي
ومراجعة عبد الغفار مكاوي.

أقول بمنتهى الصراحة والشجاعة ،
شجاعة لا حدود لها ولا سدود، والزمن
يجرى بسائر المخلوقات من عالم الوجود
هذا إلى دار الخلود:

إني لست متخصصاً في أى علم
من العلوم التى تخطر على البال، إذ لم تتح
لى الظروف أن أخصص فى الفيزياء، أو
الكيمياء، أو الفلك، أو فى أى علم من
علوم البيئة المختلفة.

إني مجرد إنسان لو تبدلت فى
مسيرته الحياتية عجالات الزمن لكان من
أهل الفن مثلاً، يمارس الرسم أو الحفر فى
الصخر ، لقد أدمنت القراءة فقط ثم
تولعت بالمعارف العامة، كما أحبيت
التعمق فى البحث الجاد عن الأسباب
والعلل ، لقد قرأت لأفداد من العلماء
المتخصصين فلم أجد بينهم من يدعى أنه
قمة فى العلم الذى تخصص فيه بل ما
مقتضاه أنه يعرف آخر ما كشفه علم
العصر الذى يعيش فيه ولا يعرف ما
يمكن أن يكشفه العلم بعدئذ. وهذا
مصدق قوله عزّ من قائل: " .. وفوق
كلّ ذى علم عليم" (١)

نعم أنا مؤمن بالله العظيم مبدع
هذا الكون الرائع الذى يقول: "وما خلقنا

السماء والأرض وما بينهما لأعبين" (٢)
خلقه بإتقان معجز وهو القائل جلّ
وعلا: " .. صنّع الله الذى أتقن كلّ
شئ .." (٣)

وأخيراً لابد لنا فى ختام بحثنا من
كلمة موجزة عن ما يطلق عليه كثير من
الكتاب، وطائفة ممن يحاربون الالتزام
بالواجبات الدينية، أو ينادون بالعلمانية
(بفتح العين) التحديث أو التجديد وهم
يُسهون من يدعى بأن باب الاجتهاد فى
الدين قد انغلق.

نعم إن باب الاجتهاد فى الدين مغلق
إلا إذا تحققت شروطه، ونادراً ما تتحقق،
أغلق خوفاً من تسرب من لا يُحسن
الاجتهاد وهم كثيرون ، أغلق خوفاً من
ولوج عبدة الحُكام أو المـُـال أو
الشهوات.

إن أحكام الشريعة فى الإسلام على
ضريين:

الأول- أحكام لا تبديل فى نصوصها
الملزمة وردت فى القرآن المجيد أو فى
الحديث الصحيح الثابت صدوره عن
الرسول الكريم.

الثانى- أحكام استنبطها الفقهاء من
النصوص بحسب ما منحوا من فهم لها

وتعليل لحكمتها ، وهذه أحكام يمكن
تبديلها كلما تغير الزمن، إذا ما تبدلت
القيم، أو جدّت ظروف تؤثر في تعليل
حكمتها.

فمثلا من أفتى بأن دية العضو عند المرأة
يساوى نصف ديته عند الرجل؟

إن المرأة اليوم قد تتولى أعلى
المناصب، وقد تكون عميدة إحدى
الكليات في الجامعة، أو تكون في عداد
الوزراء أو رئيسة عليهم، فهل يقبل عقل
منصف تلك الفتوى؟

لابد للحكم في الدية من معرفة عمل
المرأة ومقدار حاجتها للعضو المصاب قبل
تقرير مقدار ديته.

نعم إن العلم في هذا العصر الذي
نعيش فيه مهما سما يبقى عاجزاً عن
معرفة خفايا الكون، فأى شيء يمكن أن
نقوله ونحن نقرأ صحف اليوم الأول من
هذا العام أو نسمع أخبار صباح ذلك
اليوم الخبر التالي: أعلن مسؤول في مختبر
الدفع النفاث في إدارة الطيران الأميركية
أنهم اكتشفوا محرات جديدة، فأطلقوا
عليها اسم المحرات الحلزونية القزمية التي
كان اكتشافها قبل اليوم مستحيلاً، بسبب
ضوئها الخافت وعجز الأجهزة المستعملة

وقتئذ عن ذلك، وقد حددنا قطرها بما
يزيد كثيراً عن قطر مجرة (التبانة) التي نحن
نعيش في بعض نواحيها.

هل نستطيع شيئاً غير الإيمان بالخالق
العظيم جلّ وعلا.

هذا، ولابد لنا من التفكير العميق في
قوله سبحانه وتعالى يخاطبنا نحن البشر:
"وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَفْرُطًا فِي
الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ .."*

وخاصة عندما نقرأ في المجلات التي
تعنى بأخبار العلم والعلماء أنهم مازالوا
يواصلون جهودهم في دراسة طبقات
أنغام الطيور، لكشف أنواعها ودوافعها
إلى الصراخ، أو أسباب إصدارها مختلف
أصواتها وأنغامها التي لا حصر لها.

أو عندما نقرأ في تلك المجلات أن في
بعض الأصقاع الباردة يتولى الذكور من
الطيور فقط مهمة الدفاع عن الصقع
الذي تعيش فيه وطرده الطيور الغريبة التي
تحاول النزول فيه، بينما تلتزم إناثها البقاء
في أعشاشها لحماية أفراسها وتهدئة روعهم.
إلى جانب دراسات مهمة عن
أعمال كل من الذكور والإناث عند
أنواع الطيور في مختلف الأحوال.

ومن قال بأن التعامل مع المصارف
(البنوك) إذا كانت تسجل الفائدة
للمودع أو على المقرض هو حرام يّسن
التحريم، قبل أن يدرس كيف يجرى هذا
التعامل.

وأخيراً: لا بد لنا من أن نتساءل:
كم من كبار المثقفين قرأ تعليلاً لابن القيم
في "زاد المعاد" للحديث الذي رواه

أصحاب السنن الخمسة عن عبد الله بن
عمرو بن العاص في شأن القيم على إبل
الصدقة؟

والأمثلة على الأحكام التي يجرى تبديلها
بتبدل الزمان كثيرة، يمكن معرفتها بعد
البحث والتدقيق .. وآخر دعواهم أن
الحمد لله ربّ العالمين".

عدنان الخطيب

عضو المجمع من سورية

الخرجات المسماة بالأعجمية في الموشحات الأندلسية لغة ودلالة(*)

للأستاذ الدكتور فيدريكو كورينتي كوردوبا

من المعروف أن الأبحاث في الأدب وغيره من العلوم الإنسانية قلما تتجاوز مجال المجالات، والكتب العلمية المخصصة لها، فتحظى بنصيب من العناية في مطبوعات أعم وأروج كالكتب المقررة في المدارس، فضلا عن الجرائد اليومية والمجلات المصورة، ويترتب على ذلك أن أسماء الباحثين في هذا الميدان، مهما كان شأنهم، أقل شهرة بكثير من كواكب فن التمثيل أو أبطال الرياضة مثلا، وأن المصطلحات التي يضعونها تنبو عن مسامع الجماهير وألستهم عادة، وهذا أمر معقول لا يجهله أحد ولا يستغربه، لأن معظم الناس في أية بقعة من العالم مكتفون بمقدار بسيط جدا من العلم والمعرفة، بالنسبة إلى ما يطلبونه في كل ساعة فراغ من لذات الراحة والفرحة التي تنسيهم الكدح وتلهيهم عن هموم المعيشة.

ولكن لكل قاعدة استثناءات ولكل استثناء سبب، وقد لا تصدقوننا إذا ما قلنا لكم إننا رأينا في مدن أسبانيا مقاهي وملاهي تسمت بلفظة "الخرجة"

تسمت بلفظة "الخرجة"، وقد سمعنا بأجواق موسيقية تدعى كذلك، بل وشاهدنا يوما فتاة تنادي كلبتها، وإذا باسمها "خرجة" أيضا، فماذا ياترى أدرى أصحاب تلك المقاهي والأجواق وحتى أصحاب الكلاب، من غير مؤاخذه، بخفايا فن التوشيح وخرجاته التي ليس أكثر العلماء البصراء على يقين تام منها؟

إن السبب البين في هذا الاستثناء الواضح للقاعدة المطردة المذكورة أن بعض كبار بحاث الأدب الأسباني القديم قد علقوا على اكتشاف الخرجات الأعجمية في أواخر عدد من الموشحات الأندلسية مزيدا من الأهمية، فجعلوها مستهل الأدب الأسباني وسابقة لجميع الآداب الأوربية الدارجة اللغة في العصور الوسطى، فأجروا ذكر تلك الخرجات وتفاسيرهم لها في مئات من الكتب والمقالات والمحاضرات العامة، ولم يقصروا في إدراجها في كتب التدريس

* القى هذا البحث في الجلسة الثالثة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٢٧ من شوال سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٢٨ من

المقررة وفي الملحقات الثقافية للصحف اليومية، حتى صار كل أسباني يدعي حظاً من الثقافة لا يجهل وجود الخرجات وبعض نصوصها باعتبارها حجر أساس للحضارة الأسبانية ، ولا بأس بذلك فإن العلم خير من الجهل على كل حال ، إلا أن علمهم ذلك يجب إليهم التراث الأندلسي في نفس الوقت ، فيوسع آفاقهم العمرانية والبشرية، ويبعدهم عن التجاني العنصري والعقائدي، وعن الاقتناع الخاطيء الشائع عند كثير من الغربيين بأن كل اختراع وتقدم وتفوق إنما أصله في أراضيهـم.

إلا أننا غير مَعْنِيْن الآن بانتشار خبر الخرجات لدى الجماهير الأسبانية ، مع كونها ظاهرة اجتماعية وتربوية جدية بالدراسة ، وذلك لأنها لا تعدو أن تكون فرعاً لم يتقن أصله بعد ، حيث لم تُعرف حقيقة هذه الخرجات الأعجمية التي مُوّهت وشُوّهت وصُحّفت، وأسيء فهمها لقصور علمي أو لدواع عقائدية أو لأغراض شخصية، حتى لم تعد تبين تلك الحقيقة للعلماء، فضلاً عن غيرهم ، فتحولت الخرجات الأعجمية — مع قلتها ، إذ لا تبلغ السبعين ولا يزيد

أكثرها عن سطرين ، مع غموض معانيها في مواطن كثيرة — إلى أعظم جدال أدبي في هذا القرن. ومن علامات ما اتسم به هذا الموضوع من الإشكال والالتباس مثلاً أن الأستاذ المرحوم سيد غاذي في تأليفه النموذجي حول الموشحات الأندلسية التي قطعها تقطيعاً عروضياً خليلياً بحثاً ، على غرار الشعر المقصّد، اعتمد تحقيق الأستاذ الأسباني غارسيا غوميس لخرجاتها الأعجمية ، وهو مشهور بتقطيعه الرومنسي لها المخالف للعروض الخليلي خلافاً جوهرياً. ولم يخف على الأستاذ غازي التعارض المنهجي الناتج عن ذلك ، إلا أنه لم يكن في متناول يده إذ ذاك تحقيق أخرى بالثقة لتلك النصوص المستغلقة، ولم تتسن له مطالعة أهم أصولها ، لاسيما مجموعتها الرئيسية الآتية ضمن مخطوطة "عدة المجلس" لابن بشري الوحيدة المحجوبة إذ ذاك عن عيون الناس إلا أقل من القليلين.

نحن راغبون عن ذكر مظاهر هذا الجدال الكريهة ، من أمثال حجب بعض الأساتذة للأصول عن زملائهم، جرحاً على الانفراد بالبحث فيها، وخوفاً من

سبق غيرهم إياهم إلى توضيح غوامضها، فضلا عن السباب والتهم والاستهزاء التي تنزل إليها بعضهم ، وإنما قصدنا الالتفات إلى المظاهر المفيدة ، منها تلخيص قصة اكتشاف الخرجات الأعجمية ومحاولة التفرقة بين الحق والباطل فيما قاله العلماء عنها.

كان أول من انتبه إلى وجود الخرجة ، أى آخر قفل في موشح ، باللغة الرومنسية من بنات اللاتينية ، وهى العامية الإسبانية ، هو الأستاذ الإسباني مينينديس بيلايو في أواخر القرن الماضي ، إلا أن تلك الخرجة الأعجمية كانت ملحقة بموشح عبري ، وليس عربيا ، لبعض الشعراء اليهود الإسبان المقلدين فن التوشيح بالعبرية تقليداً تاماً، ثم أتى عقب مينينديس أساتذة آخرون متخصصون في الادب العبري أثناء العصور الوسطى ، فاكتشفوا نصوصاً أخرى من نفس النوع ، مع أن محاولاتهم لتفسيرها لم تنجح، فلم يكن لأبحاثهم كبير صدى.

ثم نشر الأستاذ شترن في ١٩٤٨ والأستاذ غارسيا غوميس في ١٩٥٢ أول الخرجات الأعجمية في موشحات عربية

أندلسية ، فأحدثت أبحاثهما انطباعاً عظيماً في الدوائر العلمية، وتكاثرت الأعمال المخصصة لهذا الموضوع بصورة عجيبة الى درجة أن الأستاذ هيتشكوك الإنكليزي ذكر في ١٩٧٧ أكثر من ٢٠٠ مرجع له.

والعجيب في القصة أن أكثر هذه الأبحاث لا أساس لها غير التحقيقات الثلاثة الصادرة ، أى تحقيق الأستاذ الألماني هيكير في ١٩٦٠ ، وتحقيقي الأستاذين الإسبانين غارسيا غوميس في ١٩٦٥ وسولا سوليه في ١٩٦٠ ، مع أن المرجع الرئيسي ، أى مخطوطة عدة المجلس التي صارت ملكاً للمستشرق الفرنسي كولان في المغرب ، لم يطلع عليه إلا غارسيا غوميس بإذن من مالكه، ثم صار بعد وفاة كولان محفوظاً في بنك إنكليزي تحت تصرف الأستاذ جونز الذي نشره في ١٩٩٢.

وعلى مثل هذا الأساس الضئيل كم بني من بناء ركيك، وكم وضع من نظريات فيها نظر، وكم استهلك من ورق وخبر في أغراض باطلة! وقد قال بعضهم إن الخرجات الأعجمية تثبت وجود تراث شعري وافر باللغة الإسبانية

القديمة بعروض أهلي كامل الذات،
وبموضوعات مطروقة لدى الأندلسيين
المولدين وإخوانهم من أهل الذمة استلهمه
مخترعو التوشيح المنسوج على منواله وفقاً
لهذا النظر ، وقال بعضهم إن ذلك الشعر
الرومسي القديم إنما كان من إنتاج
القيان المسيحيات المجلويات إلى الأندلس
أسيرات من جليقية ، وسمى بعضهم هذه
الأشعار بشعر مستعرب إلماحاً منهم
بذلك إلى أن أصحابه ليسوا غير
المستعربين ، أى النصارى الذميين دون
الأندلسيين المسلمين ، وقالوا وقالوا
وقالوا ، ولم يثبت معظم اقوالهم ، إذ لم
يؤت بحجج قاطعة ، وإنما صدرت تلك
الأقوال عن أوهام وأضغاث أحلام.

ومما زاد في إشكال هذا
الموضوع ، علاوة على ما ذكرناه ، أن
النصوص الأصلية المختلطة اللغة في أكثر
الحالات قليلة محرفة في مواطن كثيرة،
نتيجة لاستنساخها المتعاقب على أيدي
نساخ لم يعودوا يفهمون لغتها، بحيث أن
كل باحث تصرف في قراءتها كما شاء،
مطابقاً بين حروف المخطوطة المبهمة
وبين ما ارتضاه هو من المعاني المحتملة ،
وقد آل الأمر بهذه القضية إلى درجة أننا

عندما حضرنا الندوة المخصصة لدراسة
الخرجات بإيكسيتير في إنكلترا سنة
١٩٨٨ لم يجز لنا أن نعتمد غير تسع
خرجات لكون غيرها مشكوكاً في
تفسيرها شكاً فادحاً ، وبما أن الأمر
كذلك بالفعل ، فكيف تكون الآراء
والنظريات المبنية على نصوص من هذا
الصنف صحيحة أو موثوقة بها؟

ولكن هذه الأوضاع تغيرت تغيراً
جوهرياً، وتحسنت إلى غاية لم نكن
نتصورها عندما نشر الأستاذ جونز تأليفه
عن الخرجات الأندلسية المحتوى على
تصوير شمسي لكل واحدة منها ملتقط
من جميع المخطوطات التي وردت فيها ،
والحقيقة أنه لم يقطع شوطاً جديداً في
تفسيرها إلا أن توحيه الصارم لمبدأ
التمسك بواقع النصوص المقيدة، وعدم
التلاعب بها بواسطة التصويبات من غير
ضرورة قد مهد الطريق لتفسيرها الأدق،
وللرجوع إلى الجهد العلمي فيما كان
قبله مجالاً للهلل، أو على الأقل للعبث
والاعتباط

مصادف صدور ذلك الكتاب
آخر مراحل مناقشة القضية العروضية التي
أسفرت عن نتيجة واضحة ، وهسي أن

الموشحات والأزجال على حد سواء غير خاضعة لتقطيع الشعر الرومنسي ، وإنما تقطيعها تقطيع خليلي مع بعض الضرورات المستحدثة، أو مع بعض التحوير على اختلاف آراء الباحثين ، فقضى الاعتراف شبه العام بهذا المبدأ على جميع التصويبات المحدثه لنصوص الخرجات الأصلية بقصد المطابقة بينها وبين مقاييس العروض الرومنسي ، وصفا الجو ثانياً لمحاولة تحقيقها وفقاً للعروض الخليلي الذي يجب تطبيقه على الأزجال والموشحات مع خرجاتها لكونها جزءاً من أجزاءها ، وهذا جليّ وعن البيان غنيّ ، إن اهتدينا إلى أن الخرجات بالعامية الأندلسية ، وهي الغالبة ، وأخواتها الأعجمية ، وهي قليلة جداً نسبياً ، إنما هي قطع مقتبسة عن أزجال سابقة قد اشتهرت لدى الجميع ، فربما حلّى الوشاحون أشعارهم بها على سبيل الهزل والاستطراد إلى ملح الفنون الشعبية الملحونة ، بعد طرقهم باب الجذّ بقولهم الفصيح المَعْرَب .

بناء على هذه الأسس الجديدة وعلى غيرها مما لا يقلُّ أهمية عنها — كالبحث في خصائص الحزمة اللهجية

الأندلسية التي لم يخالفها الزجالون إلا نادراً وللضرورة ، قد تمكنا من دراسة الخرجات الأعجمية من جديد بمجهزين في هذه المرة بمناهج أفضل ، فسرعان ما لاحظنا أن ٣٠% تقريباً من القراءات المتداولة بين أيدي الناس كانت خاطئة ، ومما زاد في خطورة بعض هذه الأخطاء أنها منبعثة عن نزعات عقائدية تُضفي على تلك النصوص صبغة مختلفة من التشرب بعناصر الحضارة الإسبانية أو الذهنية النصرانية ، في حين أن بعض الملامح العربية أو الإسلامية المميزة للأندلس بحكم إسلام أهلها وتعربهم التدريجي قد أمست متلاشية أو متضائلة في تلك القراءات المعتمدة لدى الجميع أو غالبهم .

وهنا يحسن بنا أن نوضح أمرين مهمّين جداً لكيلا يساء فهم كلامنا وهدفه ، أولهما أننا لانتهم أصحاب تلك القراءات بتزوير مُتعمّد لهذه النصوص ، بل نحسبهم منحرفين على غير وعي عن الحياد المفروض على كل باحث علمي ، بسبب ميول عقلية وعاطفية لم يسعهم التحكم فيها ، وثانيهما أننا لاننكر وجود رصيد كبير من العناصر السابقة للفتح

الإسلامي في حضارة الأندلس ، ولم يكن ذلك نظراً للظروف المعروفة ، إلا أننا نستنكر المبالغة والحماس العقائدي والتحزب ، كلما تخللت المناقشة العلمية وغشيت أبصار المشاركين فيها.

وكانت نتيجة أبحاثنا المذكورة سلسلة من المقالات قد صدرت أولاها في مجلة فقه اللغة الأسبانية سنة ١٩٩٣ وستليها مقالتان أخريان على وشك الصدور، نعالج فيها نصوص الخزجات الأعجمية معالجة متميزة بأقصى الحرص على تفسيرها بدون اللجوء إلى تصويبات، وبالطبع يضيق بنا الوقت لإيراد تعاليقنا على ٤٥ خرجة لمجموعة الموشحات العربية، و٢٦ خرجة للمجموعة العبرية ، ونحن عازمون على تأليف كتاب في هذا الموضوع ، إن أطل الله أجلنا ، إلا أن في وسعنا الآن ضرب بعض الأمثلة لمنهاجنا ونتائجنا، وفيها دليل على سائرها.

ومنها مثلاً الخرجة رقم ٣ في المجموعة العربية ، ونصها المرسوم:

يا فاتنُ افْتِنِ وشُ يَتَرَادُ

كِندَرُ خالِشُ كارِذُ

حقوق غارسيا غوميس كلمتيه الأوليين

على أنهما عربيتان وفسر الباقيّة
os y entrad kando gilos keded
أى، "ادخل هنا إذا نام الغيور"، مع تغيير
١٣% من الرسم المخطوط ، في حين أن
قراءتنا بدون تغيير أى حرف هي ya
vet-en I vet-on, wus ya tenrad!
Ki-ndar xales kered? أى ، "اذهب
اذهب ، مأصفقك وجهاً ، ما الحاجة
إلى إنذار الأخوال؟" ومن الجدير
بالملاحظة أن الغيور المقحم هنا على
حساب تحريف "خالش" ، أى ، خال
بعلامة الجمع الرومنسي ، إنما أتى ضعيفاً
غير مدعواً لأن له دوراً مشهوداً في الشعر
البروفنسالي المفروض تداخله مع الشعر
الدورى الأندلسي ، وهو افتراض غير
بعيد ، إلا أنه لا يبرر هذا التحريف
المتكرر مرتين أيضاً في تحقيق هذا الباحث
بدون أساس نصي.

مع أن هذا الغيور ليس وحيداً في
باب المواضيع المزعومة وهما في متون
الخرجات الأعجمية ، فإن مفسريها
لا يجمعون عن فرجة مضمونها عن طريق
إيجاد مالا يوجد فيها حقاً من أدوار
وأساليب أدبية مميزة للشعر الرومنسي في
العصور الوسطى ، وفي هذا الباب يدخل
ماذهبوا إليه من ورود أناشيد الصبح في

الخرجات على سبيل ماتسمى
بالـalbada بالإسبانية ، من خلاف
المعهود في الشعر الغنائي العربي من التذمر
على الفجر المفرق للعشاق ، مما جعلوه
برهاناً قاطعاً على صحة نظرية رجوع
التوشيح إلى أصل رومني ، ونحن قد
راجعنا الوطنيين اللذين زعموا أن فيهما
لفظة "ألبا" الأعجمية ، ومعناها الصبح ،
في الخرجتين رقمي ٤ و ٧ من المجموعة
العربية ، فلم نلف فيهما سوى "ألب"
أى ، أشقر أو أبيض ، صفة لحبيب غير
أسمر. ومن الطبيعي أن يذكر في هذه
النصوص الشقر كما يذكر السمر.

ثم إننا إذا طرّقنا بأبنا آخر ،
وجدنا أن بعض المواطن الدالة مثلاً على
رسوخ العقيدة والتقاليد الإسلامية في
البيئة الأندلسية قد فسرت تفسيراً غير
صحيح يغمّض أو يخفي تلك المعلومات
المهمة الضرورية لحل قضية نسبة
أصحاب الخرجات أو صواحبتها إلى طائفة
أو أخرى من طوائف سكان الأندلس.
هذا ما اتفق في تفسير الخرجة رقم ١٢
من المجموعة العربية المقاربة لرقم ٥ من
المجموعة العبرية، ونصهما:

بَنْدَ لَيْشَقَه أَيُونُ شَيْلِ

حَسْرَايَ مَوْ قَرْجُونُ بُرْلِ

وهو نص واضح غير مضطرب لم
يشك المفسرون في ترجمته "قد جاء العيد
وأنا بدوني ، يحسرة قلبي عليه" ، ولم
يُبينَ أهذا العيد إسلامي أم مسيحي أم
يهودي ، ذلك مع أن لفظة أيون معناها
الصوم ، فالترجمة الدقيقة لهذا النص "أن
العيد بدوني بمثابة صيام رمضان الخ" ، ولا
أدل من هذا على الميزة الإسلامية الغالبة
على البيئة التي نشأت فيها الخرجات
الأعجمية ، وإن كانت نصوصها لاتزال
تنم عن التعرب التدريجي ، وتختلف بعض
الناس عن تملك زمام العربية.

وفي هذا الباب نفسه كثر النقل
حول موضوع شكوى الفتيات إلى
أمهاتهن آلام غرامهن في الخرجات ، وقد
قيل إن استعمالهن لكلمة "مَمّا" الأعجمية
عوضاً عن "ياأمت" العربية من أقوى
الأدلة على أنهن أمهات نصرانيات
شماليات حديثات العهد بالأسر والإقامة
في الأندلس ، وهي نظرية غريبة ، إذ
ليس معقولاً أن يشتري الإنسان الجارية
مع أمها ، ولم نلبث أن تعرضنا لهذه
الأبحاث حتى عثرنا على ما يدحض ذلك
البرهان في الخرجة ٣٠ ونصها.

يَا مَمَّ شُو يس لِلجِنَّةِ إِلَّا شِمُورِي تَرِي

خَمْرِي مِنَ الْإِحْجَابِ (أَوْ جَعْفَر) عَسَى
شَرَرِي.

وقد فسرها كل من غارسيا
غوميس وسولا سوليه بفوارق تافهة علي
أن معناها "يا أمي ، إن لم يزل جنون
عشقي أمت ، فأحضرى خمري من
الحاجب (أو من جعفر) لكي أشفي
منه". ولم ينتبه أحدهما إلى أن "يس" إنما
هي سورة ياسين القرآنية التي يقرأها
المسلمون مُستغيثين بالله على البلايا ، فإن
معنى هذه الخرجة الصحيح "يا أمي ، ما
الفائدة من تلاوة سورة يس في حال
الجنون؟ بل أحضرى لي الحاجب (أو
جعفر) حمرا ، أى ، دواء" ، ولا شك أن
القضية أوضح بكثير بهذا التفسير
الجديد ، ومضمونها أن العاشقة اليائسة
في الموشحة ترفض نصيحة أمها في طلب
الفرج عن همومها في الصلاة ، وتطلب
منها إحضار معشوقها علاجا لما بها
من ذلك. وهذه القصة ، مع ما فيها من
الكفر بالدين بسبب اليأس، ومن جسارة
البت على أمها مما جرى مثله في تلك
الظروف الاجتماعية ، ما كانت لتحدث
في غير بيئة عريقة الإسلام ، وإن كانت
لاتزال سطحية التعرب.

على أن جميع الأخطاء في تفسير
الخرجات الأعجمية ليست من هذا النوع
اطراداً ، فإننا نجد في بعض الأحيان
أخطاء لغوية بحتة صادرة عن سوء فهم
الكلام العربي العامي أو الفصحح أو اللغة
الرومنية القديمة المنعكسة في هذه
النصوص، نضرب مثلاً ما يلاحظ في
رقم ١١ ونصه:

شِكَارَشْ كُمْ بُون مِيبْ يَّجَم إِذَا النَّظْم
ذُوكْ بُكَالَه ذَا حَبِّ الْمُلُوكْ.

وهو كلام لم يشكل أكثره على
المفسرين ما عدا كلمة "ذوك" التي لم
يفهمها أحد منهم، فنسبوها إلى العامية
العربية على غير صواب ، والحقيقة
أنها لاتينية الأصل. كثيرة الاستعمال
بمعنى الأمر من السياقة ، ومعنى الخرجة
"ان تحبني حبا حسنا فقبلني واسقني من
النظم ، أى العقد ، يا فويهة من الكرز".
ومن نفس القبيل عدم فهم
الخرجة رقم ١٧ من المجموعة العبرية ،
ونصها:

الصَّبَاحُ بُوئُو غَارْمِي دُونْ بَانْشْ يَا لُوشِ
كَأُوْتَرِي أَمَشْ أَمِيي طُنْ قَارَشْ

وقد فسرها غارسيا غوميس
هكذا "أيها الصباح الجميل ، قل لي من

أين أتيت فقد عرفت أنك تحب غيري ولا تحبني أنا". وهي ترجمة سليمة ما عدا كلمتيه الأولين اللتين يمكن أن تعنيا "صباح الخير"، ومن العجب أن هذه العبارة اليومية في كلام العرب لم تخطر بباله، ولا يزال غيره من مفسري الخرجات الأعجمية.

وقد قلنا آنفا إننا لا نرميهم بالتعمد في انحرافهم المتواتر عن قراءة متونها الصحيحة ، ولم يصدر قولنا ذلك عن مجرد مراعاة خاطر، أو تقدير آثلوهم أو فضلهم علينا ، كما لم يرجع انتقادنا لبعض آرائهم عن كره أو احتقار لهم أو لأعمالهم. إننا ، على الرغم من هفواتهم ، مدينون لهم، إذ بذلوا جهدا كبيرا في دراسة هذه القضية خصوصا، وفي أبحاثهم في الحضارة الأندلسية عموما ، ولهم لذلك علينا فضل لا يجوز أن نغمره حقه ، على أنهم قصدوا مرمى بعيدا، ومهذبوا طرقا غير مسلوكة، فلا غرو إذن أن لا يكون نجاحهم كاملا. وعلينا

ألا ننسى أن المتصدى لمثل هذه الدراسة محتاج إلى إتقان العربية الفصحى وأوجه كلام الأندلسيين الدارجة، وإجادة الإسبانية الحديثة وسائر اللغات واللهجات الرومنسية الأيبيرية القديمة والحديثة ، مع غموض ملامح بعضها التي لا تنعكس إلا في هذه النصوص فقط ، ولا يغنيه ذلك العلم كله عن الاطلاع على أحوال الأندلس التاريخية والاجتماعية والعمرانية وعلى المعيشة اليومية في بلاد الإسلام فيما يتعلق بدينها ودنياها ، ولا ييسر جمع مثل هذه المعارف والخبرات في الإنسان الواحد، فلذلك ما أخطأ سابقونا أحيانا ، ولذلك عسى أن لا نسلم نحن أيضا من بعض الغلط ، وقد لا يخلو منه أو من بعضه لاحقونا في المستقبل، وسبحان من تعلل عن الضلال.

فيدريكو كورينتي كوردوبا

عضو المجمع المراسل من إسبانيا

العربية بين الإقليمية والعالمية(*)

للأستاذ على رجب المدني

حضرات الزملاء الأجلاء :

من الحقائق التي آن لها أن تفلت
من برائن الطمس، وأن تبرز قوية ناصعة،
وترتفع فوق دواعي التعقيم والتبهم،
حقيقة تميز اللغة العربية وعالميتها.

لقد علمنا من قراءة التاريخ وتبع
أحداث التطور الإنساني أن الحضارات هي
التي تعكس بريقها ورونقها على أذواق
أصحابها والسنتهم وأساليب نطقهم.

أما أن يتحقق العكس، فتعكس
الألسن والمشاعر والأحاسيس بريقها على
الحضارة، فتلك هي المعجزة والاستثناء.
وهذا ما تحقق في المجتمع العربي طوال
الحقب التي سبقت نزول القرآن بلسان
عربي مبين، ووسط مجتمعات تكفلت
ألسنتها كأداة تعبير عن بواعثها الأدبية
والمعنوية والنفسية، بصنع حضارة متميزة
لا شأن للمؤثرات المادية والروحية في
صنعها إلا في أقل القليل.

وهذه مفارقة تستدعي أن نقف
عندها، ونبحث المنابع التي استمدت منها

تلك المجتمعات ذلك الرصيد الضخم المتميز
من التراث الأدبي الذي شكلت فيه
القصيدة الواحدة (وحيث البيت الواحد)
صورة لحضارة تبهر الألباب وتلهب
المشاعر، على الرغم مما اعتورها من هزلت
وعيوب بررت وصمها بالجاهلية.

ولعلنا نستشعر صروحا حضارية
شائعة في كثير من مقاطع الشعر الجاهلي
جعلته مثار دهشة وإعجاب لدى من
تعاقب من أجيال بشرية حتى عصرنا هذا.
ويكفينا مثالا لذلك ما تخلل شعر المعلقة
من صور جف معين مثلها فيما تعاقب
بعدها من شعوب وحضارات.

أخلص من هذا التحليل الموجز إلى
القول بأن معجزة علوية صنعت كل الذي
ذكرت، وهيأت للكتاب الذي أنزل
للناس جميعاً على قلب الرجل الذي بعث
للناس جميعاً أن تُدرك معانيه ومراميهِ
وبلاغته من خلال لغة أولئك الذين سلكوا
في بداوتهم وجهالتهم مسلكاً لا يدع مجللاً
للقول بأن ما قالوه شعراً أو نثراً يتفق مع

* ألقى هذا البحث في الجلسة الرابعة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٢٨ من شوال ١٤١٥ هـ الموافق ٢٩ من

مارس (آذار) سنة ١٩٩٥ م.

مستوى حضارى مادى أو علمى اعتيلى من شأنه أن يؤهلهم لكل ماخلفوه شعراً أو نثراً.

وهنا تزدوج الحكمة العلوية فيما اختارت من تلك القبائل وتلك البيئة لتكون مهبطاً لحقمة النبوات وآخر الكتب السماوية ، فهى - مع تميزها تعبيراً وبلاغة ودقة نسج فى القول - مستودع لأكبر قدر من تلك الجهالة التى تستوجب إرسال الرسول وإنزال الكتاب.

ذلك الكتاب الذى كان وحده معجزه ذلك الرسول بما تميز به من منهج بلاغى لا يقندر على استيعابه وإدراك مضامينه والتأثر به إلا أولئك الذين اجتمع لديهم النقيضان: سمو الذوق البلاغى والإغراق فى الجهالة التى قال واحد من أكثر المغرقيين فيها عندما سمع بعض آياته: ((إن فيه لحلاوة وإن عليه لطلاوة)).

فلا غرو إذن أن يكونوا الأنموذج للأمة التى استهدفتها رسالة القرآن بالدعوة لمنهج القائم على الكثير من قيم السروح والأخلاق والقليل النظيف من قيم المادة.

ولعل قصة إسلام عمر بن الخطاب كانت بحق صورة من صور الإعجاز

السماوى فيما تحقق فيها من تحول خاطف من أعلى قمم الجهالة والضلالة إلى أعلى قمم الهداية واليقين والإحاطة بمثل الحق والعدل، خلال فترة زمنية لم تتعد الساعات الست تأثراً بما وقع عليه بصره وعقله من آيات من سورة طه فى رقعة من الجلد ملقاة، كان خباب يعلم منها أخته وزوجها فى سرية قدر لها أن تفضح وأن يعلم عمر بأمرها فيتمنطق بسيفه ويسرع إلى منزل شقيقته، ليفتك بمن يستميل أخته وزوجها إلى دين محمد ، إن فى تلك القصة التى بهرت شهرتها التاريخ مثلاً حياً على سرعة التأثير لمعجزة البلاغة القرآنية فى نفوس أناس لقنتهم السماء ذلك اللسان العربى المغرق فى بلاغته وتأثيره وإبداعه للصور الشعرية المتميزة.

ومن عجب أن تستقر اللغة العربية على ما عرف من أسلوب النطق بها عند العرب فى الجاهلية، وتتوافق مع ما نزل به القرآن من نصوصها، وتكون فى مأمن التحريف واللحن إلى أن قدر للإسلام أن يطرق أبواب الأعاجم، ويتيح لهم بحق الإسلام الاندماج فى المجتمع العربى ، ذلك الاندماج الذى أدى إلى ما بدأ ينخر جسم

اللغة من اختلال في سلامة النطق استدعى الاستنجاد بالبادية العربية التي لم تطأها أقدام الأعاجم، واستقاء قواعد النطق الصحيح من أفواه أهلها، واستنباط قواعد النحو من ذلك الأسلوب الذي درج عليه العرب منذ جاهليتهم ، واستقرت قواعده حتى عصرنا هذا.

أما وقد انتشر الإسلام ذلك الانتشار المعجز فقد كان بذيها أن يضطرب النطق وينتعش اللحن وإن كان ذلك في حقيقته ثمنا لامناص من دفعه نظير ما تحقق لهذا الدين من انتشار لم يهمل خلاله جانب التعليم والتلقين للغة العرب وقواعد النطق بها على نحو جعل من الأعاجم أئمة وأعلاما في اللغة وفقها إلى جانب تمكنهم في علوم أخرى كسيبويه وابن يني (المعروف بابن جني) والكثير ممن لا يتسع المجال لسرد أسمائهم وآثارهم في تراث اللغة العربية طوال القرون التي تلت انتشار الإسلام في آسيا الوسطى، وبلاد فارس والشام والغرب الإفريقي والأندلسي.

والتسليم بتلك الحقيقة التاريخية التي برزت بانتشار الإسلام في عصره الذهبي

على مساحة تمثلت فيما بين أسوار الصين شرقاً ومشارف باريس غرباً آتخذ يستتبع التسليم أيضاً بعالمية اللغة العربية طوال تلك القرون لسبب واضح كل الوضوح وهو أنها إلى جانب كونها لغة الدواوين الرسمية فهي لغة القرآن، الذي هو الملاذ الأول لكل من اعتنقوا الإسلام عن إيمان وعقيدة والذي لم يكن بوسع أحد أن يدرك حقيقة مرامية وإعجازه إلا من خلال اللغة التي نزل بها، بل ربما كان التهافت على تعلمها حتى من قبل من دفعتهم مصالحهم ومآربهم إلى تعلمها باعتبارها لغة الفاتح.

ولئن كان هناك الكثير من أتباع الإسلام ممن لم يقروا على تعلم الفصحى والنطق بها إلا أنهم لا يَغْدُونَ أن يكونوا استثناء مشوباً بالضعف ، فلقد قرن الله إلا انه في القرآن بعربية لسانه (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) (بلسان عربي مبين).

والعذر كل العذر لمن لا يقوى على فهم الإسلام الفهم الصحيح الأمثل، ويعتنقه عن اقتناع إذا كان لا يتكلم العربية ولا يتأثر ببلاغتها.

فإذا وضعنا أمامنا هدف الرسالة الإسلامية المتمثل في استئصال أدران الجاهلية التي حالت بين المجتمع العربي خصوصاً والمجتمعات البشرية بوجه عام وبين كل قيم الاستقامة والمحبة والسلام والتآخي والإيثار واحترام الحقوق والتناهي عن المنكر. وهى القيم التي استهدفتها رسالة الإسلام لتعود بالبشرية إلى رباط الأسرة الذي أشارت إليه الآية الأولى من سورة النساء في قول الله تعالى:

"يأيتها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام".

أقول: إذا وضعنا ذلك الهدف نصب أعيننا تكشفت لنا حقيقة الصلة العضوية بين القرآن واللغة التي نزل بها على النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، خصوصاً إذا قدرنا الخصائص البلاغية التي استأثر بها القرآن ككتاب منزل من عند الله، وتضمنتها العربية كلغة نزل بها ذلك الكتاب، وتلقنها القوم الذين أنزل القرآن على واحد منهم ، واستهدف مخاطبتهم.

فلا غرو إذن أن تكون عالمية اللغة العربية جزءاً من عالمية الكتاب الذى أنزل بها ، وأن يشمل التزام الدعاة للإسلام التزامهم بنفس القدر بتعليم هذه اللغة للأسرة البشرية التي يراد لها أن تنتهى إلى لقاء حول مثل الإخاء والوفاق والسلام التي نزل هذا الكتاب لإرسائها والدعوة إليها.

لقد قدر للعربية أن تراوح بين الإقليمية والعالمية تبعاً لمراحل الجزر والمد السياسيين، اللذين لا بسا تاريخ العالم منذ نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان لتلقائية الغرائز البشرية تأثيرها الواضح على كل مراحل الجزر والمد تلك ، وما انتهى إليه أمر العربية العليا من انكماش لحساب عاميات هزيلة، لعبت أطماع القوى المعادية للإسلام والطامعة في طمس ميراث الحضارى والإنساني دورها الفاعل والمؤثر في دعمها وإضعاف حماس أبناء العربية حيالها، وجعلهم ينصرفون عن فصحايم بمقولة إنها لا تتيح للاهت خلفها العيش الناعم الذى تتيحه لغة القوى الغازي الذى لم يتردد (على الدوام) في أن يبذر بذور الانتقاص لها والاستعداد عليها،

مما ظل ديدناً لما تعاقب على الأمة الإسلامية من غزاة، منذ سقوط بغداد وحتى بدايات النصف الثاني من هذا القرن الذي يوشك أن ينصرم.

ولقد كان لليقظة الفكرية التي ولدتها النهضة العلمية الحديثة، ولبروز مجامع اللغة العربية (وفي طليعتها مجمعنا العظيم هذا) ولاشدد وطأة العدوان الاستعماري على الشعوب العربية والإسلامية، كان لكل ذلك الأثر البين فيما نأمل أن يتنامى من وعى لحقيقة الفصحى وأهمية العودة إليها ونشرها في ربوع الأرض لتحقيق الأمل في مخاطبة العقول الراشدة في كوكبنا من خلال القرآن وفهمه، والتأثر بإعجازه بالقدر الذي يمكنها من تفهم رسالته على حقيقتها التي تتركز في أهداف (الإخاء والسلام والتعايش بين بنى الأسرة الإنسانية الكبرى انطلاقاً من الرجاء في مرضاة الله والخوف من عقابه).

وعندئذ تستعيد العربية مجدها المنهزم وتعود لها عالميتها فتبرز رباطاً إنسانياً مقدساً في عصر تصبوا فيه المدارك لاستيعاب كل ما تضمنه التراث الإسلامي

والعربي من خصائص ومزايا في كافة الحقول الإنسانية سواء منها ما اتصل بقيم الروح والأخلاق، أو ما اتصل بالتنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الأمثل.

حضرات السادة الزملاء :

لئن كنت قد انصرفت عن المراجع فيما قدمت من بحثي هذا مكتفياً بما ضمته الذاكرة، وما ألهمني الله تدوينه من محصلة آراء وأفكار ظلت أعتنقها منذ الثلاثينيات من هذا القرن، فيني لا أعفى نفسي من واجب الاستدلال في هذا المقام بما أورده مرجع من عديد المراجع التي أكرمني الله بجازتها، والتي عزفت عن اللجوء إليها حتى لا أكون أمام حضراتكم كسائق التمر إلى هجر.

لقد قرأت باعتزاز للزميل الراحل المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات في مقدمة كتابه (تاريخ الأدب العربي) الذي سعدت باقتنائه وقراءته منذ أواخر الثلاثينات الجمل التالية:

((فما كانت لغة مصر بعد الإسلام لغة أمة واحدة، وإنما كانت لغة لجميع الشعوب التي دخلت في دين الله، أو في كنفه، أو دعوها معانيهم وتصوراتهم،

وأفضوا إليها بأسرار لغاتهم ، ثم جابت
أقطار الأرض تحمل الدين والأدب
والحضارة والعلم ، فصرعت كل لغة
نازلتها، ووسعت علوم الأولين وآداب
الأقدمين ، من يونان وفرنس ويهود وهنود
وأحباش، واستمسكت على عرك الخطوب
تلك القرون الطويلة ، فشهدت مصارع
اللغات حولها وهي مرفوعة الرأس رابطة
الجأش، ترث نتاج القرائح وثمار العقول من
كل أدب ونحلة ، فكانت لغات الأمم على
اختلافها كالجداول والأنهار ، تتألف ، ثم
تتشعب، ثم تتجمع، ثم تصب في محيط
واحد هو اللغة العربية". رحم الله الأستاذ
الزيات.

حَرَىٰ بِنَا أَنْ نَلْتَمِسَ الْوَسَائِلَ الْمَتَاحَةَ
فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ مَرْتَبَةٍ وَمُسْتَمَوْعَةٍ
وَمَقْرُوءَةٍ، تَرْجَمَةٌ وَتَلْقِينَا لِلْقَوَاعِدِ، حَتَّى
يَتِمَّ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ خِلَالِهَا أَنْ يَطْلُ عَلَى
بَحْرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصَحَى، وَيَتَمَرَّنَ عَلَى
الْغَوْصِ فِي أَعْمَاقِهِ وَاسْتِشْفَافِ مَا يَحْوِيهِ
جَوْفُهُ مِنْ لَأَلَى تَبْهَرُ الْعُقُولَ وَتَجْذِبُ
النَّفُوسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْإِسْلَامِ وَبِرِسَالَتِهِ
الْخَالِدَةِ، وَتُعَالِمِ الْحُبَّ وَالْإِنْعَاءَ وَالسَّلَامَ الَّتِي
جَعَلَهَا السَّبِيلَ الْأَقْوَامَ لِمَرْضَاةِ اللَّهِ وَغُفْرَانِهِ.

وإني لآمل أن يتحقق لهذه الأمة
رجاؤها في أن ترى الخيرين من رجالها
القادرين لغويًا وتقنيًا وماديًا يسارعون إلى
تجنيد أنفسهم للوصول بها إلى هذا
الهدف العظيم الذي يجعل من فصاحتها لغة
يشدو بها كل الناس في أرجاء هذا
الكوكب الذي اختاره الله بيتا لأسرة آدم
الكبرى، ملتزمة في علاقاتها بقيم الأسرة
الواحدة التي لا يشهر فيها أخ السلاح في
وجه أخيه ولا يسطو على حق من حقوقه،
انصياعا لعاطفة الأخوة والرحم.

((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن
أكرمكم عند الله أتقاكم)). صدق الله
العظيم

إن العرب والمسلمين لا يمكنهم أن
يحتلوا في عصرنا هذا المترلة اللائقة بهم
وبتاريخهم الحضاري إلا بتجنيد عقولهم
وحوافزهم للإسهام في النهضة العلمية
الكبرى التي تتواصل مسيرتها على نحو لم
يشهد التاريخ لسرعته مثيلا، وأن يبنوا
علاقاتهم فيما بينهم أولا، ثم فيما بينهم
وبين غيرهم من الأمم، على أسس
حضارية متينة يتم فيها إخضاع المادة

لسلطان الروح حتى لا تطغى المادة على
البشرية، فتقودها إلى حيث تفقدها كرامة
الإنسانية، وشرف العمل على إقامة دولة

المدنية الفاضلة، التي تحكمها نوااميس
الإخاء والسلام والمحبة والترفع عما لا يليق
بالإنسان.

على رجب المدني

عضو المجمع من ليبيا

المصطلحات الحضارية والعلمية

في كتاب " نهاية الرتبة في طلب الحسبة " للشيزري^(١)

للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

وسبعمائة له: الإيضاح في أسرار النكاح.
خلاصة الكلام في تأويل الأحلام. روضة
القلوب ، نهاية الرتبة الظرفية في طلب
الحسبة الشريفة. النهج المسلك في سياسة
الملوك.

ولدى تبقي لعنوانات هذه المؤلفات
في كتاب "كشف الظنون عن أسامي
الكتب والفنون" لحاجي خليفة، وجدته
يعرض هذه المؤلفات كلا على حدة في
الأبواب المخصصة لها على الوجه التالي:
الإيضاح في أسرار النكاح - أي في
الباه - للشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد
الله الشيزري ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، وهو
مختصر، أوله: الحمد لله، الذي خلق
الإنسان من طين ... إلخ^(٢)

تعددت الروايات في تحديد عنوان هذا
الكتاب (١)، واضطربت اضطراباً شديداً في
ذكر اسم مؤلفه ، ولقبه وكنيته ومذهبه.
وليس من شأن هذا البحث وضع ترجمة
لصاحب هذا الكتاب وقد قام المحقق في
تقديمه للكتاب ، بجهد كبير لإلقاء الضوء
على هوية مؤلف كتاب "نهاية
الرتبة ..."^(٢)

وربما كان من المفيد أن أشير إلى
قضية ربما أوقعت اللبس عند الباحثين
المحدثين. فقد ذكر صاحب كتاب "هدية
العارفين" (٣) أسماء المؤلفين وآثار المصنفين
من كشف الظنون ، تحت عنوان: الطبري،
ما نصه: "الطبري - عبد الرحمن بن نصر بن
عبد الله العدوي الشيزري ، قاضي طبرية
المتوفى سنة ٧٧٤هـ أربع وسبعين

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الرابعة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٢٨ من شوال سنة ١٤١٥هـ - الموافق
٢٩ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٥م.

١- انظر : عبد الرحمن بن نصر الشيزري ، كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق ومراجعة
الدكتور السيد الباز العريبي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، سنة ١٤٠١هـ - سنة ١٩٨١م.

٢- انظر: الشيزري ، مقدمة الناشر.

٣- إسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ،
بيروت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م / المجلد الخامس ، ص ٥٢٨

٤- حاجي خليفة ، كشف عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة،
وبكاتب جلي ، مكتبة المثني ، بغداد / المجلد الأول ، ص ٢٠٩.

وفي مكان آخر في المجلد ذاته يقول: "الإيضاح - للإمام عبد الرحمن بن أحمد الطبري"^(١). ومما له دلالة في هذا الباب أن نتوقف أيضاً عند عرض كتاب "روضة القلوب - لعبد الرحمن بن نصر الله الشيرازي ، قاضي طبرية ..."^(٢)

وفي باب الخاء يذكر حاجي خليفة: خلاصة الكلام في تأويل الأحلام ، لعبد الرحمن بن نصر بن عبد الله ، وهو مختصر على أربعة وعشرين باباً ، أوله: الحمد لله الذي سلك بنا المنهج اليقين... إلخ^(٣)

وفي المجلد الثاني ، يورد حاجي خليفة أيضاً: "نهاية الرتبة الظرفية في طلب الحسبة الشريفة ، للشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي. أوله الحمد لله على نعمه ... إلخ، وهي على أربعين باباً"^(٤) وبعد ذلك بصفحات يورد مانصه: "النهج المسلول في سياسة الملوك ، للشيخ عبد الرحمن ، رتبة على عشرين باباً ، وهو كتاب لطيف مفيد: "أوله ، الحمد لله الذي عجزت العقول عن معرفة ذاته ... إلخ ، صنفه للملك الناصر صلاح الدين."^(٥)

١- كشف الظنون ، المجلد الأول ، ص ٢١٤ .

٣- كشف الظنون ، المجلد الأول ، ص ٧١٩ .

٥- المصدر ذاته ، ص ١٩٩٣ .

ونحن إذا استعرضنا هذه النصوص ، نستطيع أن نخلص إلى القول إن ما استخلصه صاحب كتاب هدية العارفين، في عزو هذه الكتب لمؤلف واحد ، ربما كان وراء هذا اللبس الذي وقع فيه المحدثون ، ومنهم محقق هذا الكتاب الذي اعتمدنا تحقيقه^(٦). فإن اسم "عبد الرحمن ابن عبد الله" كثير الشيوع ... وكذلك فإن بعض الروايات رأيناها تجعل وفاة المؤلف سنة ٧٧٤ هـ ... وأمام هذه المعطيات ، فإننا نميل إلى الاعتقاد ، بأن صاحب كشف الظنون يتحدث عن شخصيات مختلفة ، وإن الإجماع على اسم "عبد الرحمن" لا يعني شيئاً كثيراً... إلخ ، وفيما يخص كتاب "نهاية الرتبة.." ، فإنني أرجح ما ذهب إليه الأستاذ المحقق في نسبته إلى عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله بن محمد الشيرازي الشافعي ، وأنه قد عاصر الناصر صلاح الدين الأيوبي وربما وضع كتابه بناء على تكليف من السلطان.

لقد أشرت منذ البداية إلى أنه ليس من مهمة هذا البحث ، دراسة حياة "الشيرازي" صاحب كتاب "نهاية الرتبة

٢- المصدر نفسه ، ص ٩٣١ .

٤- كشف الظنون ، المجلد الثاني ، ص ١٩٨٧ .

٦- انظر: الباز العربي ، المقدمة ، ص ك.

في طلب الحسبة" ، وتحقيق مؤلفاته ، ولكنني أردت أن أوجه انتباه الباحثين إلى القيمة اللغوية لهذه النصوص التراثية الحية التي تصور النواحي الاجتماعية ، والحياة اليومية لمختلف شرائح المجتمع العربي الإسلامي ، ولا سيما في بلاد الشام ومصر. يتحدث كتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة عن أصحاب الحرف والصناعات ، وما يقوم به بعضهم من أنواع الغش في مبيعاتهم ومعاملاتهم. وإلى جانب كشفه عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية ، فإنه يوفر لنا مصدراً مهماً من مصادر اللغة العربية في حياتها العملية بين مختلف الشرائح الاجتماعية ، ولا سيما بين أصحاب المهن على اختلاف ألوانهم.. ونسلك في هذا المجال اللغوي جميع ما كتب في "الحسبة" وفي كتب "الخراج"... والأحكام السلطانية والفقهاء، وما صنف في النوازل إلخ. فإلى جانب كونها مصدراً مهماً من مصادر كتابة التاريخ الاجتماعي، فإنها مصدر أساسي

من مصادر الذخيرة اللغوية العربية. فهي تعبر عن مختلف الفعاليات في حياتها اليومية بألفاظ عربية فصيححة ومولدة ومعربة ، اكتسب بعضها رونق العربية وبقي بعضها الآخر بصيغته الأعجمية ناطقاً بالحروف العربية... وإن مثل هذه الذخيرة التي من شأنها أن تمد العربية بالحياة والاتساع في مسيرتها الحضارية والعلمية عبر التاريخ ، لم تسجل معظمها المعاجم اللغوية التراثية... وذلك لاختلاف في المناهج والأهداف. وبات لزاماً على الجامع اللغوية العربية والجامعات العربية وعلمائها، أن تنهد لإنجاز "مشروع الذخيرة العربية ، ومعجمها التاريخي" ، من أجل نهضة عربية أصيلة ، كثر عثارها وطال انتظارها ، للحاق بركب الأمم المتقدمة ، والمشاركة المبدعة في بناء حضارة القرن الحادي والعشرين. وسيكون "المعجم التاريخي" للغة العربية أحد الأعمال اللغوية المهمة التي ستنبثق عن مشروع "الذخيرة العربية"(*) وفي هذا الإطار نعرض كتاب "نهاية

(*) يجدر بي أن أشير إلى أن ندوة مشروع "الذخيرة العربية" قد عقدت في مدينة الجزائر في الثاني من حزيران ١٩٩٢... وتكونت لجنة للمتابعة... ولكنها مع الأسف توقفت عند هذا الحد... وفي شباط (فبراير) سنة ١٩٩٣ ، طرح الموضوع في مجلس اتحاد الجامع اللغوية العربية ، واتخذ قرار بأن يتبنى "الاتحاد العمل على إنجاز العمل على إنجاز هذا المشروع... ولكن ما لبث مع الأسف أن تخلى الاتحاد عن هذا المشروع ، لثقل المهمة وعدم وجود الإمكانيات المادية!!!

الرتبة في طلب الحسبة". وهو على صغر حجمه يُسَلِّكُ في قائمة أهم المصادر لدراسة الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية في القرن السادس الهجري في المجتمع الإسلامي ولاسيما في بلاد الشام ومصر.

عرض الشيزري أرباب الحروف والصنائع، وتحدث عما كان يقوم به هؤلاء من أنواع الغش في مبيعاتهم ومعاملاتهم، ووصف فروع الطب المختلفة وأسهب في شرح غشوش العقاقير. وصنّف أصحاب المهن هؤلاء على الشكل التالي:

- ١: الحَبَوِيُّونَ ٢: الدَّقَّاقُونَ ٣: الحَبَّازُونَ ٤: الفَرَّانُونَ ٥: صُنَّاعُ الزَّلَّالِيَّةِ ٦: الجَزَّارُونَ (الجزَّار هو الذي يذبح الماشية للبيع) ٧: القَصَّابُونَ (القَصَّاب هو الذي يبيع اللحم للناس) ٨: الشَّوَّارُونَ ٩: الرُّوَّاسُونَ ١٠: قَلَّاتُ السَّمَكِ ١١: الطَّبَّاحُونَ ١٢: الهَرَّاسِيُّونَ ١٣: الثَّقَانِقِيُّونَ ١٤: الحَلَوَانِيُّونَ ١٥: الصِّيَادِلَةُ ١٦: العَطَّارُونَ ١٧: الشَّرَّابِيُّونَ (الشَّرَّابُ هو صانع الأشرطة، وهي الأدوية السائلة على اختلافها) ١٨: السَّمَّانُونَ

- ١٩: البِقَالُونَ، وباعة الخضراوات ٢٠: البَزَّازُونَ (والبَزَّاز هو بائع الثياب) ٢١: الحَاكَةُ ٢٢: الدَّلَّالُونَ والمُنَادُونَ ٢٣: الحَيَّاطُونَ ٢٤: القَطَّانُونَ ٢٥: الكَتَّانِيُّونَ ٢٦: الحَرِيرِيُّونَ ٢٧: الصَّبَّاغُونَ ٢٨: الْأَسَاكِفَةُ ٢٩: الصِّيَارِفَةُ ٣٠: الصَّاعَةُ ٣١: النَحَّاسُونَ ٣٢: الْبَيَاطِرَةُ ٣٣: نَحَّاسُ الْعَبِيدِ والدَوَابِ ٣٤: الحَمَّامَاتُ وَقَوَمَتُهَا ٣٥: الْفَصَّادُونَ والحَجَّامُونَ ٣٦: الْأَطِبَّاءُ وَالْكَحَّالُونَ والجَحْشَبَرُونَ والجَرَائِحِيُّونَ. ٣٧: مُؤَدِّبُ الصَّبِيَّانِ.

ويتحدث صاحب كتاب نهاية الرتبة... أيضاً عن باعة الخزف والكيزان والأواني والغسَّالين والسَّقَّائين وأصحاب الرِّوَايَا والقِرْبِ، والمَكَارِيَّةِ وَحَمَّالِي الحَطَبِ.. الخ، مما يجعل من هذا المؤلف مصدراً مهماً من مصادر التعريف بأحوال المجتمع الإسلامي عامة والمجتمع الشَّامِي والمصري خاصة في ذلك العصر، إلى جانب قيمته اللغوية في التعبير عن جميع جوانب الحياة الحضارية.

ونحن إذا استعرضنا نصوص هذا الكتاب نجد يولي اهتماماً خاصاً ببلاد الشام ومصر. وربما كان من المفيد أن نعرض بعض هذه المصطلحات في سياقها اللغوي.

يقول صاحب كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة: "وقد اصطلح كل إقليم وبلد في المعاملة على أرتال تتفاضل في الزيادة والنقصان ، سيما أهل الشام خاصة"^(١) ويولي مدينة " شيزر"^(٢) أهمية خاصة من بلاد الشام حيث يقول: "وأما القنطار المتعارف فهو مئة رطل ، والرطل ستمائة وأربعة وثمانون درهماً ، وهو اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية سبعة وخمسون درهماً. هذا رطل شيزر ، الذي رسمه بنو منقذ"^(٣).

١- نهاية الرتبة ، ص ١٥.

٢- شيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، تُعد في كورة حمص وهي قديمة ، ذكرها امرؤ القيس في قوله:

تقطع أسباب اللبانة والهوى
وقال عبيدالله بن قيس الرقيات:

فواخزناً إذ فارقونا وجاوروا

سوى قومهم أعلى حماة وشيزرا
قال البلاذري: سار أبو عبيدة من حماة بعد أن فتحها صلحا على الجزية ، إلى شيزر فتلقاتها أهلها وسألوه الصلح على مثل صلح حماة ففعل ، وذلك في سنة ١٧هـ. وينسب إلى شيزر جماعة منهم الأمراء من بني منقذ وكانوا ملوكها...

انظر: ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٧٣ .

٣- نهاية الرتبة ، ص ١٥

٤و٥- نهاية الرتبة، ص ١٧.

وفي مكان آخر يقول: "الدرهم الشامي ستون حبة . وقد اختلفت صَنَجُ أهل الشام أيضاً ، فالمثقال بشيزر يزيد على مثقال حلب نصف قيراط ، ومثقال حماة مثل الشيزري ومثقال دمشق يزيد على الشيزري ، ومثقال المعرة مثل الدمشقي"^(٤) فهو يولي عناية كبيرة ببلاد الشام وخاصة "شيزر" ، مما يلقي ضوءاً على نسبه "الشيزري". ويقول في موضع آخر:

"فالقفير بشيزر ستة عشر سنبلًا ، وهو مكيال متعارف فيها ، يسع رطلاً ونصفاً بالشيزري"^(٥). وهذا نص آخر يفيد بأن المؤلف كان في مدينة "حلب" التي لا تبعد كثيراً عن "شيزر" يقول: ولم أر في

صناعة الفَصْدِ أحذق من رجلين رأيتهما
بمدينة حلب...^(١).

وإلى جانب حديثه عن بلاد الشام،
يتحدث عن مصر ، فنجد أنه يتحدث
عن رطل حلب... ورطل دمشق ، ورطل
حمص ، ورطل حماة... ورطل المعرة يقول:
"ورطل مصر - حرسها الله تعالى - مئة
وأربعة وأربعون درهماً وأوقيتها اثنا عشر
درهماً..."^(٢). وفي موضع آخر يقول:

"والقَبَّانِ الرومي أصحُّ من القبان
القبطي..."^(٣). ويجعل من حبوب بعض
النباتات التي كانت تكثر زراعتها في مصر
والشام معياراً للمكاييل ، ومنها: الخردل
والبزر قطونا ، إذ يقول: "وأجود ما عُيِّتُ
به المكاييل الحبوب الصغار التي لا تختلف
في العادة مثل: الكسفرة والخردل
والبزر قطونا"^(٤).

ومما يجدر ذكره أن كثيراً من هذه
المكاييل والموازين ، مازالت حيّة في الوقت
الحاضر في أوساط العامة في بلاد الشام
ومصر... على الرغم من المنهجية الرسمية
الحديثة التي أخذت بتعريب ألفاظ الموازين
والمكاييل العالمية مثل: الغرام والكيلو غرام
والطن... الخ.

ويعنى المؤلف في كثير من الأحيان بإيراد
وصف دقيق لأجزاء بعض الأدوات ،
وأسمائها التي تعرف في ذلك الوقت ، مما
يشكل ثروة لغوية مهمة ، لم تسجلها
المعاجم اللغوية ، ولا سيما من حيث
معانيها الاصطلاحية ودلالاتها على جوانب
الحياة الحضارية ، والمهنية. فقد أورد
الشيذري وصفاً دقيقاً لأجزاء الميزان
وأسمائها المعروفة في عصره ، فيشير إلى:
الكفة والعلاقة ، ووسط القصة ، وثلاث
السك ، ومِرُود العلاقة ، واللّسان ، وقبّ
العلاقة والشواهين... وهي ، كما نلاحظ،
ألفاظ عربية فصيحة ، قد اكتسبت معاني
اصطلاحية للتعبير عن أجزاء أداة لها شأنها
في الحياة الحضارية في ذلك العصر...
ومازال كثيرٌ من هذه الأسماء حياً في الوقت
الحاضر.

ويمدنا الشيذري أيضاً ب ذخيرة مهمة
تتناول أسماء العقاقير والنباتات وأسماء
الأطعمة والأشربة... الخ ، وربما كان من
المفيد في هذا البحث أن نتوقف عند أمثلة
من ألفاظ الحضارة ومصطلحات الطب
والصيدلة في هذا المصنّف. وإن دراسة
لغوية لهذه الألفاظ ودلالاتها ، تقودنا إلى

١ - نهاية الرتبة ، ص ١١.

٢ - نهاية الرتبة ، ص ١٦.

٣ - نهاية الرتبة ، ص ١٩.

٤ - نهاية الرتبة ، ص ٢٠.

استقراء الملامح الأساسية للمنهج العام الذي وضعت في إطاره هذه الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية. ونحن نستطيع أن نصنفها بصورة عامة إلى ألفاظ عربية فصيحة وأخرى مولدة وقسم أخبر أعجمي مُعَرَّب ، سواء أكان قد أُضْفِيَ عليه رونق العربية أم أخذ بلفظة الأعجمي. وسنحاول أن نقتصر على إيراد الأمثلة ، من خلال النصوص الواردة فيها ، مما يكون له دلالة لغوية مفيدة.

ففي الحديث عن الحسبة على البرازين يقول الشيزري:

"وينبغي ألا يتجر في البرز إلا من عرف أحكام البيع وعقود المعاملات ، وما يحلُّ له منها وما يُحرَّم عليه ، وإلا وقع في الشبهات وارتكب المحظورات. وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - "لا يتجر في سوقنا إلا من تفقه في دينه ، وإلا أكل الربا ، شاء أو أبى". وقد رأيت في هذا الزمان أكثر باعة البرز في الأسواق يفعلون في بياعاتهم ما لا يحل عمله"^(١).

وهو يتحدث عن "البرز" و "الأتجار" وأحكام البيع وعقود المعاملات ، وعن الأسواق والنفقة والربا والبياعات... وجميع

ذلك يعتبر في باب العربية الفصيحة ، سواء أكان ذلك وفق معانيها اللغوية أم كان وفق معانيها الاصطلاحية... والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها:

"فإن منهم (أي الباعة) ، من يأخذ حبات الشعير والحنطة فينقعها في بعض الأدهنان المعروفة ، ثم يغرس فيها رؤوس الإبر ، ثم يجففها في الظل ، فتعود إلى سيرتها الأولى ، ولا يظهر فيها شيء من ذلك"^(٢)... إنه يورد هذا النص في مجال حديثه عن اتخاذ حبات الشعير والحنطة... معياراً للوزن. ولا سيما في وزن الذهب والفضة.

وفي مجال الألفاظ العربية الفصيحة نورد هذا النص أيضاً ، إذ يقول:

"والمصلحة أن يجعل المحتسب عليهم (أي الدقاقين) وظائف يرفعونها إلى حوانيت الخبازين في كل يوم"^(٣) فهو يتحدث عن "المصلحة" و "المحتسب" و "الدقاقين" والوظائف (جميع وظيفة وتعني هنا كمية يتفق عليها) والخوانيت والخبازين... وقوله أيضاً: "وينبغي له (أي البائع)... ولا يُخلَق البضاعة من يده في الكفة تحليقاً، ولا يهزُّ حافة الكفة بإهمامه ، فإن ذلك كله بخس..."^(٤). وعندما يتحدث

١ - نهاية الرتبة ، ص ٦١ .

٢ - نهاية الرتبة ، ص ٢١ .

٣ - نهاية الرتبة ، ص ٢١ .

٤ - نهاية الرتبة ، ص ١٨ .

عن الدقاقين (وهم الطحانون) يقول: "يلزم (أي المحتسب) الدقاقين غربلة الغلة من التراب ، وتنقيتها من الزوان ، وتنظيفها من الغبار قبل طحنها..." (١)

وفي حديثه عن "الحبويين" يقول: "يُحرّم عليهم احتكار الغلة على ما بيناه ، ولا يخلطون رديء الحنطة بجيدها ، ولا عتيقها بجديدها ، فإنه تدليس على الناس" (٢)... ومن الواضح أن الشييزري يقصد بالحبويين هنا "تجار الحنطة".

ويتحدث عن الصنج الطيارة: وتُعَيَّرُ الأرتال والأواقى من الحديد ، على الصنج الطيارة... (٣) فإن كلمة "الصنج" و"الصنجات" لفظة عربية جاهلية... قد ولد منها أصحاب المهن ، حضارياً ، بحسبهم اللغوي الأصيل ، معنى اصطلاحياً توليداً صحيحاً ، لا يمكن أن يعتبر خارج دائرة العربية السليمة.

وربما كان من المفيد أن نتوقف أيضاً عند هذا النص. إذ يقول الشييزري: قال (المحتسب)، مخاطباً سلطان دمشق ، بعد أن ولّاه أمر الحسبة على الناس: فقيم عن هذه الطرّاحة ، وارفع هذا المسند ، فإنهما من حرير... قال: فنهض السلطان عن

طرّاحته وأمر برفع مسنده" (٤) . فالطرّاحة جمعها طراريح وهي مايفترش للجلوس... ومازالت لفظة حية حتى يومنا هذا في الأوساط الشعبية الشامية ، وكذلك "المسند" وهو الوسادة التي يستند إليها.

ومن الألفاظ العربية الفصيحة والمولدة الصحيحة ، قوله أيضاً في الحديث عن العجائين: "فلا يعجن إلا عليه ملعبة أو بشت مقطوع الأكمام ، ويكون مثلماً أيضاً" (٥) فهو يتحدث عما يجب أن يرتديه العجّان من الثياب ، مثل: "الملعبة" و"البشت"... واللفظة الأخيرة ما زالت شائعة ، بين أصحاب المهنة في وقتنا هذا.

وكذلك يورد "القرمية والقرمة" ، وجمعها "قُرْم" وهي قطعة من الخشب يقطع عليها اللحم فيقول: "وإذا فرغ القصاب من البيع...أخذ ملحاً ونثره على القرمية التي يقصب عليها اللحم." (٦) فإن لفظة القرمية ولفظة القصاب... شائعة معروفة في الوقت الحاضر ، بهذه المعلن المحددة... ولنتوقف عند هذا النص الذي يتحدث عن آلة من آلات النجار ، وعمّا يخرج منها من النجارة الدقيقة التي تسمى

٣- نهاية الرتبة ، ص ١٩ .

٦- نهاية الرتبة ، ص ٢٨ .

٢- المصدر نفسه.

٥- نهاية الرتبة ، ص ٢٢ .

١- نهاية الرتبة ، ص ٢١ .

٤- نهاية الرتبة ، ص ٨ .

"القنداس" ، إذ يقول: "ومنهم من يخلط القنداس - وهو ما يخرج من السَّرَّاقَة - بالكتان الناعم بعد مشطه... وجميع ذلك تدليس"^(٦)... فإن لفظة "القنداس" توحى بأعجميتها ، وقد أضفى عليها رونق العربية ، واضطر الشـيزري أن يشرح معناها ، فقال: "وهو ما يخرج من السَّرَّاقَة... ومن الواضح أن لفظة "السَّرَّاقَة" عربية فصيحة وهي اسم آلة على وزن "فَعَّالة" ، قد وضعت على سبيل الاشتقاق... ثم نقلت إلى معنى اصطلاحى.

وإن الألفاظ العريضة الفصيحة والمولدة الصحيحة التي وضعت عن طريق الاشتقاق أو النحت أو المجاز أو النقل كثيرة جداً ، ونكتفي هنا بإيراد بعض الأمثلة الأخرى ، خارج النصوص كي لا نثقل هذا البحث. فمنها ما هو وصفى فصيح العبارة مثل: السكين الكالة ، الزيت المعاد ، تبيض الحرير ، جبل الطين ، جماجم العنبر ، حبل الذراع ، حجر الدم ، حجر الزئبق ، حجر الكحل ، خاتم المحتسب ، داء الفيل ، أجراء الصانع ، احتكار الطعام ، احتكار الغلة ، أهل الأسواق ، بنيقة الثوب ، بوار النساء (آلة

طبية) ، تكوكب اللبن... الخ ومنها ما وضع اشتقاقاً أو مجازاً أو تركيباً أو نحتاً ، وكان إما عربياً فصيحاً وإما مولداً صحيحاً... والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها: "التطريب" ، التفاصيل (اصطلاح فقهي) ، التفرق (اصطلاح فقهي) التعزير (فقه) ، الشريدة (طعام) ، جُبة (ثوب) ، الجرائحي (طب) ، جرن (حضارة) الحوارى (دقيق) ، الخاية (حضارة) ، الخبائص (جمع خبيصة) ، الخنز (الحرير) الداخس ، الإبطى ، الاستسقاء (مرض) ، الأعدال (جمع عدل) ، الأقحاف (جمع قحف) ، الأكحل ، الإكليل ، الأنابيب ، الباطنية ، البطين...".

وفي مجال الألفاظ المولدة نذكر أيضاً:

"التخاريص (جمع تخريص ، توالي اللحم) ، ثنائيل الرصاص ، حباشة الإهليلج ، الجلاوات ، حمى الدق ، حمى الربع ، حمى يوم ، زراقات الفولنج...".

وفي مجال الألفاظ الحضارية المعربة نذكر:

الكناشات (والمفرد كناشة) ، والأقرباذينات (ومفردها أقرباذين) . يقول الشيزري: "ولا يركبها الشرابي إلا من الكناشات المشهورة ، والأقرباذينات

المعروفة"^(١) وكذلك "القطارميز" ومفردها "قطرميز". يقول الشيزري: "وينبغي أن تكون بضائعهم مصنوعة في البراني والقطارميز"^(٢) والعامّة اليوم في عصرنا هذا تقول "القطرميز" وتجمعه جمع مؤنث سالم "القطرميزات" وهو من الألفاظ الحضارية الدالة على الوعاء المصنوع من الزجاج لحفظ بعض الأطعمة.

ولكي نوضح استعمال هذه المصطلحات الحضارية والعلمية ، في ذلك الوقت ، في لغة التأليف للتعبير عن الحقائق العلمية والمهنية ، نتوقف عند هذين النصين: أخذ أحدهما من باب "في الحسبة على العطارين" والآخر من باب "في الحسبة على الأطباء والكحالين والمجبرين والجراثحين".

فالنص الأول يتحدث عن "غش" الكافور وهو من أنواع العطارة ، يقول: "وأما الكافور ، فإن منهم من يعمل به بنخالة رخام الخراطين المدبر ، ومنهم من يعجن الكافور بماء الصمغ الأبيض ، وينجره على الغرايل. ومنهم من يعمل من حجارة النوشادر ، ويكسره صغاراً ثم يخلطه به ، ومنهم من يعمل من ذريرة غير مفتونة ،

١ - نهاية الرتبة ، ص ٥٦ .

٢ - نهاية الرتبة ، ص ٦٠ .

٣ - نهاية الرتبة، ص ٥١ .

وجبسين غير مشوي وصمغ أبيض ، ومثل الجميع كافور. ومنهم من يعمل به من خشب الخروع النحر، والأرز المدبر، ومنهم من يعمل من نوى البلح بدقه حتى يصير مثل الزبد ، ويجعل عليه مثله كافور ، ثم يعجنه بماء الكافور ، ويسطه رقيقاً ، فيبقى مثل الكافور. ومعرفة غشوش الكافور التي ذكرناها وما لم نذكرها ، هو أن يُلقى منه شيء في الماء ، فإن رسب فهو مغشوش ، وإن طفا فهو خالص ؛ وأيضاً يلقي منه شيء على خرقه ، ثم يجعل على النار ، فإن طار ولم يلبث فهو خالص ، وإن احترق وصار رماداً فهو مغشوش."^(٣) فالكافور ، مازال معروفاً عند العطارين في وقتنا هذا ، وكان يستعمل في الطب العربي قديماً ، ومازال مستعملاً في الطب أيضاً في الوقت الحاضر.

وإذا ألقينا نظرة على هذا النص ، نجده قد عبر تعبيراً دقيقاً واضحاً عن الفكرة التي أراد شرحها ، بلغة عربية سليمة، فاستعمل ألفاظاً ومصطلحات، بعضها معروف عند أصحاب المهنة ، ومعظمها يفهمه عامة الناس. وإذا استثنينا كلمة "كافور" التي دخلت العربية ، على

سبيل التعريب ، وكذلك بعض الكلمات مثل "جبسين" و"نوشادر" نجد الألفاظ الأخرى عربية الأصول والدلالة ، سواء أكانت باقية على فصاحتها أم أنها نقلت للتعبير عن معان جديدة. وفي جميع الأحوال نرى هذه الألفاظ تعبر عن تلك المعاني العلمية أو الحرفية تعبيراً دقيقاً لا تخرج عن إطار العربية السليمة النامية والحية في الاستعمال ، لاستيعاب كل ما يجد من معارف إنسانية. فقد استعمل هذا النص ألفاظاً منها:

"الكافور" و"النوشادر" و"جبسين" و"الخروع" والأرز" وجميع هذه الألفاظ التي دخلت العربية منذ قرون طويلة ، مازالت حية ، تعيش بيننا في الوقت الحاضر ، وفي جميع الأوساط.. وإلى جانب الألفاظ الحضارية ، في مجال العطاراة والطعام ، نجد النص يستعمل ألفاظاً فصيحة الأصول ، باقية على ما وضعت له ، وبعضها قد ولد منها على مناهج العربية ، صيغ أو تراكيب للدلالة على معان جديدة... مثل: "الخراطين" و"المدبر" و"ماء الصمغ الأبيض" و"ينجره" و"حجارة النوشادر" و"ذريرة غير مفتونة" و"جبسين غير

مشوي" و"خشب الخروع النحر" و"الأرز المدبر" و"يعجنه بماء الكافور" و"غشوش الكافور"... الخ

وهذا نص آخر من باب "في الحسبة على الأطباء والكحالين والمجبرين والجراثحين" يقول الشيزري:

"وينبغي للطبيب أن يكون عنده جميع آلات الطب على الكمال ، وهي كلبات الأضراس ، ومكاوي الطحجال ، ولبات العلق ، وزراقات القولنج ، وزراقات الذكر ، وملزم البواسير ، ومخرط المناخير ، ومنجل النواصير ، وقالب التشمير ، ورصاص الثقيل ، ومفتاح الرحم ، وبوار النساء ، ومكدة الحشا ، وقده الشوصة ، وغير ذلك مما يحتاج إليه في صناعة الطب ، غير آلة الكحالين والجراثحين ، مما يأتي ذكره في موضعه وللمحتسب أن يمتحن الأطباء بما ذكره حنين بن إسحاق في كتابه المعروف "محنة الطبيب". وأما كتاب "محنة الطبيب" لجالينوس ، فلا يكاد أحد من الأطباء يقوم بما شرطه جالينوس فيه.

فهذا نص ، يشتمل على أسماء آلات الطب ، وهي خاصة بأصحاب

صناعة الطب على حد تعبيره ، وهي معروفة شائعة في أوساطهم ، ويمدنا الزهراوي في مؤلفاته ، ولا سيما في كتابه المشهور في الجراحة الموسوم "التصريف لمن عجز عن التأليف" ب ذخيرة لغوية علمية ثرة في مجال أسماء الآلات والأمرض والمصطلحات الطبية... وكذلك الأمر في مصنفات الرازي وابن سينا ، وأبي الوليد ابن رشد ، وابن زهر وابن وافد، وغيرهم من أعلام الطب في تراثنا العلمي العربي^(*).

ونحن إذ عدنا إلى هذا النص ، الذي أوردناه ، نجد أن كل اسم من أسماء الآلات يتكون من لفظة عربية سليمة أضيفت إلى اسم العضو ، للدلالة على معنى علمي محدد فذكر "كليات الأضراس" ، (ومفردها: كلبة) ، وكذلك "كليات العلق" ، وذكر "زراقات القولنج" ، (ومفردها: زراقة) ، وذكر "ملزم البواسير" على وزن "مفعّل" و "مخرط المناخير" على وزن "مفعّل" و "منجل النواصير" و "مفتاح الرحم" على وزن "مفعّال". وذكر "مكمدة الحشا" على وزن اسم الفاعل من الرباعي... ونجد بين أسماء الآلات هذه يتكون من إضافة اسم إلى المصدر مثال

ذلك: "رصاص الثقيل" ، أو إضافة اسم أداة معروفة إلى العضو كي تكتسب معنى اصطلاحياً جديداً. مثال ذلك: "قدح الشوصة"... الخ... وجميع هذه المصطلحات معلومة عند أصحاب الصنعة ، وقد صيغت بعربية أصيلة، وعبر عنها المؤلف بأسلوب لغوي سهل وواضح ودقيق.

وقد أشرنا في بداية هذا البحث إلى أن المصطلحات الحضارية والعلمية ، كانت شائعة عند أصحاب الحرف وصناعات العلوم المختلفة ، وقد حاولنا من خلال هذه الأمثلة أن نبين مدى شيوخ هذه المصطلحات الحضارية والعلمية وخاصة في مصر وبلاد الشام.

ونجد لزماً علينا أن نتساءل أخيراً عن مصادر هذه المصطلحات ، وعن منهج وضعها وطرق إشاعتها وتوحيدها في ذلك الوقت ، عند أصحاب الحرف والصناعات الطبية والعلمية ، وعلى ألسنة الخاصة والعامة ، وذلك في إطار معطيات الزمان والمكان، وعلى ما كانت عليه وسائل الاتصالات.. من فقر وبدائية إذا ما قورنت بما بلغته وسائل الاتصالات الجماهيرية في الوقت الحاضر.. وربما نحتاج

للإجابة العلمية الدقيقة عن هذه التساؤلات إلى إقامة بحوث علمية لغوية متخصصة.

ومهما يكن من أمر فقد اكتفينا في

هذا البحث بأن حاولنا تحديد معالم منهجية وضع المصطلح الحضاري والعلمي، فوجدناها تقوم بصورة رئيسة على استعمال الفصيح والمولد توليداً صحيحاً والمعرب وفق أصول العربية وقواعدها. ورأينا كيف استطاع المؤلف أن يُعبر عن ذلك كله بلغة عربية سليمة تتميز بالدقة والسهولة والوضوح ، وكيف أن أصحاب الصنعة بما لديهم من إحساس لغوي ومغرفة دقيقة ، كان لهم دور كبير في وضع هذه المصطلحات.

ونحن إذا اطمأنت النفس إلى المقولة ، بأن كتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" ، قد ألفه صاحبه في القرن السادس الهجري، وأنه أهداه إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي المتوفى (٥٨٩هـ) أو أنه ألفه بناءً على طلب منه ، فإننا نستطيع القول بأن المصادر التي استقى منها هذه المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية ، كانت بمعظمها عن ذوي الحرف وأصحاب المهن والصناعات الطبية والعلمية.. وإن أكثر

هذه المصطلحات الطبية ، والعلمية ، بمعناها الشامل في ذلك الوقت ، كانت مدونة في مصنفات مشهورة ، مثل مصنفات ابن سينا والزهرراوي والفارابي والكندي... وغيرهم ، فإن مصطلحات أصحاب الحرف والمهن ، لا بد أن استقاها صاحب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" بصورة أساسية من مصادرها الميدانية... عن هؤلاء الحرفيين وأصحاب الصنعة التي يمارسونها في حياتهم اليومية ومعاشهم... ومن ناحية أخرى ، فإننا نعتقد بأن منصب الحسبة ، الذي يشكل دعامة أساسية في إدارة الحكم كان السبب الرئيسي في إشاعة استعمال هذه المصطلحات ونشرها وتوحيدها. ولا شك أن صاحب الحسبة كانت له دواوين وسجلات. وتفيد الروايات بوجود أعوان له في مختلف الأسواق ، يمدونه بمعلومات ضافية عن أحوال الحرفيين وأصحاب الصنعة... ومن البدهي أنهم كانوا يقدمون له تقارير مكتوبة في جميع الأحوال.. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن وضع كتب "الحسبة" التي تخص الدولة بشكل أو بآخر لتسهيل مهمة

المحتسب ، تكون الى جانب مؤلفات
أصحاب صناعة الطب وعلوم الأوائل ،
عاملاً أساسياً في إشاعة هذه المصطلحات
وتوحيدها.

وأخيراً. فإن هذا البحث يطرح لأول مرة
أمام الجامعات العربية واتحاد مجامعنا اللغوية

أهمية إنجاز "مشروع الذخيرة العربية"
و"المعجم التاريخي اللغوي" عسى أن ينهد
لهذا العمل الجليل ، من يتكفل به. والله
يهدي لنوره من يشاء.

عبد الكريم خليفة
عضو المجمع من الأردن

مشروع الذخيرة اللغوية العربية

وأبعاده العلمية والتطبيقية(*)

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

كان لي الشرف أن عرضت على مؤتمر التعريب الذي انعقد بعمان في ١٩٨٦ فكرة الذخيرة اللغوية العربية وفوائدها الكبيرة بالنسبة للبحوث اللغوية والعلمية عامة وبالنسبة لوضع المصطلحات وتوحيدها(**). وحاولت أن أقنع زملائي الباحثين بأهمية الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية، واستثمار الأجهزة الحاسوبية الحالية، وإشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية لإنجاز المشروع لامتياز به بأبعاد تتجاوز المؤسسة الواحدة بل البلد الواحد. ثم عرضت الجزائر على المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هذا المشروع في ديسمبر ١٩٨٨ فوافق أعضاؤه على تبنيه في حدود إمكانيات المنظمة.

وبادرت المنظمة بعد ذلك بمراسلة المؤسسات العلمية العربية والجهات الرسمية المعنية بالتربية والتعليم العالي تطلب منها إدلاء الرأي في جدواه وطريق تنفيذه فتوالت على المنظمة إجابات كثيرة جدا ومفيدة من قبل المؤسسات منها الجامعات اللغوية كلها والجامعات ومراكز البحوث والجهات المعنية في وزارات التربية وأجمعت هذه الإجابات على أهمية المشروع الكبيرة وضرورة الشروع في إنجازه في أقرب الآجال.

وعلى إثر ذلك نظمت جامعة الجزائر بالاتفاق مع المنظمة ندوة أولى لدراسة المشروع واتخاذ القرارات اللازمة مع خبراء المؤسسات العلمية العربية، وساهم في هذه الندوة عدد من الخبراء والمسؤولين وخرجوا بتوصيات تخص تنظيم العمل

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة السادسة للمؤتمر المجمع بتاريخ غرة ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق الأول من أبريل (نيسان) ١٩٩٥ م.

(**) انظر مجلة المجمع الملكي للغة العربية لسنة ١٩٨٦ وكذا مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٨٨. وقد تفضل الدكتور إبراهيم مذكور بالتنويه بالمشروع بصفته رئيسا لاتحاد الجامع العربية في رسالة بعث بها إلى صاحب البحث.

والمشاركة، وإنشاء اللجان لمتابعة المشروع.

وقد قرر المشاركون في هذه الندوة

الأولى أن تعقد ندوة ثانية يجتمع فيها جميع

الممثلين للمؤسسات الراغبة في المشاركة في

إنجاز المشروع، وتكرم مركز البحوث

والدراسات العلمية بدمشق باقتراح

استضافته للندوة في دمشق وستعقد هذه

الندوة إن شاء الله في سنة ١٩٩٥.

فالمقصود من البحث الذى لنا

الشرف أن نعرضه على مجمع اللغة العربية

الموقر هو التحديد الدقيق لمفهوم الذخيرة

اللغوية والأهداف العلمية التى رسمت

لمشروع الذخيرة، والتحديد أيضاً لجميع

وظائفها، والفوائد العلمية التى سيحصل

عليها المستثمرون لها، وغير ذلك مما يخص

كيفية إنجازها وتنظيم العمل العلمى والتقنى

المشترك.

- أهداف المشروع

(١) الذخيرة كبنك معلومات آلى

إن الهدف الرئيسى لمشروع

الذخيرة هو أن يمكن الباحث العربى أيضاً

كان وأينما كان من العثور على معلومات

شئى من واقع استعمال اللغة العربية بكيفية

آلية وفى وقت وسهيز.

وهذا سيتحقق بإنجاز بنك آلى

للغة العربية المستعملة بالفعل يتضمن

أمهات الكتب التراثية الأدبية والعلمية

والتقنية وغيرها، وعلى الإنتاج

الفكرى العربى المعاصر فى أهم صورهِ

بالإضافة إلى العدد الكبير من

الخطابات والمحاورات العفوية

بالفصحى فى شتى الميادين.

وعلى هذا فهو بنك نصوص لا

بنك مفردات، ثم إن هذه النصوص تمثل

الاستعمال الحقيقى للغة العربية فليست

نصوصاً يصطنعها المؤلفون بل نصوص من

اللغة الحية الفصحى المحررة، أو المنطوقة.

وأهم شئ فى ذلك هو أن يكون هذا

الاستعمال الذى سيخزن بشكل النص

كما ورد فى ذاكرة الحواسيب هو استعمال

العربية طوال خمسة عشر قرناً فى أروع

صورهِ، ثم هو يغطى الوطن العربى أجمعهِ

فى خير ما يمثله من هذا الإنتاج الفكرى.

(٢) الذخيرة كمصدر لمختلف

المعاجم والدراسات

سيتخرج من هذا البنك (المسمى

عند المهندسين بقاعدة المعطيات النصية)

العديد من المعاجم لذكر منها:

١- المعجم الآلى الجامع لألفاظ

العربية المستعملة . وسيحتوى على جميع المفردات العربية التى وردت فى النصوص المخزنة قديمة أو حديثة. وتحدد فيه معانى كل مفردة باستخراج هذه المعانى من السياقات التى ظهرت فيها ثم يضاف إلى ذلك تحديدات العلماء. وسيأتى وصف هذا المعجم فيما يلى .

٢- المعجم الآلى للمصطلحات

العلمية والتقنية المستعملة بالفعل سيحتوى على المصطلحات التى دخلت فى الاستعمال ولو فى بلد واحد أو جهة معينة لأنها وردت فى نص واحد على الأقل ويذكر مع كل مصطلح ما يقابله فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية. أما ما لم يدخل فى الاستعمال وورد فقط فى معجم حديث فيشار إليه فقط مع ذكر مصدره. وسيجزأ هذا المعجم العام إلى معاجم متخصصة بحسب فنون المعرفة ومجالات المفاهيم.

وكل واحد من هذين المعجمين آلى مثل الذخيرة فى شكلها الأول ومعنى ذلك أنه يقوم على ركيزة متصلة بالحواسيب فى أحدث صورها مثل الأقراص البصرية أو

المغناطيسية التى يمكن أن تحتوى على ملايين النصوص.

كما يمكن أن ينشر كل واحد منهما وكذا المعاجم المتخصصة على الشكل التقليدى. والفضل الذى تمتاز به الذخيرة كبنك آلى ومعاجمها هو أنها مفتوحة وقابلة للإضافة لأى معلومة جديدة ويدخل فيها أى كتاب جديد هام أو أى كتاب يعثر عليه فى التراث وهى قابلة لأى تصليح فى أى وقت كان.

٣- المعجم التاريخى للغة العربية

٤- معجم الألفاظ الحضارية

(القديمة والحديثة)

٥- معجم الأعلام الجغرافية

٦- معجم الألفاظ الدخيلة

والمولدة

٧- معجم الألفاظ المتجانسة

والمترادفة والمشاركة والأضداد

وغير ذلك من المعاجم المفيدة.

فكما رأينا كل ما يذكر من الألفاظ فى هذه المعاجم فهو مأخوذ لا من القواميس الموجودة بل من الاستعمال الحقيقى قديما كان أم حديثا. أما ما لم يرد فى نص فيشار إلى ذلك حتى يعرف (وهذا

يقتضى أن تدخل في الذخيرة جميع القواميس وقوائم المصطلحات التي وضعتها الجامعات أو المؤسسات العلمية).

أما الدراسات العلمية فسنتحدث عنها في الفقرة التالية إن شاء الله.

II-مزايا الذخيرة وفوائدها

١- المزايا الرئيسية للذخيرة

وما سيستخرج منها هي كما رأينا:

أما هي الاستعمال الحقيقي للغة العربية لاما تأتي به بعض القواميس من أمثلة مصطنعة.

استفاضة شموليتها بتغطية هذا الاستعمال لجميع البلدان العربية، وامتدادها من عهد الشعر الجاهلي إلى عصرنا الحاضر.

تمثيلها لهذا الاستعمال بوجود كل النصوص ذات الأهمية فيها، المحررة منها والمنطوقة الفصيحة في الأدب والحضارة والدين والعلوم والثقافة العامة والفنون وكذا الحياة اليومية.

اعتمادها على أجهزة إلكترونية في أحدث صورها وهي الحواسيب وما إليها من الوسائل السمعية البصرية وهي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تجمع وتوسع هذه

الكمية الهائلة من النصوص (الملايين من الجمل والألفاظ) والوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تجيب عن مختلف الأسئلة بسرعة النور أي في بضع ثوان أو دقائق. والوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تقوم بعمليات تعالج بها النصوص، وذلك مثل الترتيب الآلي الأبجدي للكلمات والصيغ والجذور وغيرها، والترتيب التنازلي الترددي لهذه العناصر، والترتيب الآلي لمجالات المفاهيم. هذا زيادة عن استخراج الآلي لجذور الكلم أو أوزانها الواردة في نص من النصوص. وغيرها من العمليات العلاجية المفيدة.

إمكانية طرح الآلاف من الأسئلة على الذخيرة عن بعد، وفي نفس الوقت عبر العالم (وسرعة الإجابة كما قلنا) بعرضها على الشاشة وإمكانية طبعها بالطابعات بالليزر وغيرها في وقت وجيز، والحصول عليها في أي مكان وذلك بفضل شبكة الاتصالات التي ستخصص للذخيرة إن شاء الله.

٢- أما الدراسات التي يمكن

القيام بها انطلاقاً من الذخيرة وبالنظر في محتواها فيمكن أن تخص اللغة العربية في

ذاتها، لأن الذخيرة هي بمنزلة ما دون من كلام العرب في عهد اللغويين العرب الأولين، فقد جمعوا العدد الهائل من النصوص الثرية والشعرية وأمثال العرب وكلامهم العفوي بالإضافة إلى النص القرآني، وأنطلقوا من هذه المدونة اللغوية العظيمة لاستنباط قوانين العربية وأوصافها من الاستعمال الحقيقي لها، كما استخرجوا منه المعجم العربي. وعلى هذا فإن أنواع الدراسات اللغوية التي يمكن أن تقام على الذخيرة كثيرة جدا، مثل دراسة تطور معاني الكلمات عبر العصور، ودراسة ترددها بالنسبة لعصر واحد أو مؤلف واحد، ودراسة تردد المواد الأصلية وأوزانها في كتاب واحد أو عدة كتب، ودراسة صيغ الجمل بحسب الأغراض والموضوعات ودراسة أساليب الكتاب في كل عصر، ودراسة اتساع رقعة الاستعمال للمصطلحات في عصرنا هذا، ودراسة الأصوات العربية (من خلال الذخيرة الآلية

الصائتة) ودراسة مجالات المفاهيم الحضارية أو العلمية خاصة، ودراسة المترادف والمشتراك من الألفاظ في الاستعمال في وقت معين، ودراسة الغريب والشواذ أفراداً وتركيباً كيفاً وكمّاً، وبالنسبة إلى كل مؤلف أو نص وكل عصر، ودراسة صيغ الجمل وظواهر الفصل والوصل في الخطاب ودراسات في المجاز والاستعارة والكنائية وغيرها من الصور البيانية، ودراسة تطور كل هذا وغير ذلك مما يخص اللغة كلغة قديما أو حديثا وعبر العصور والبلدان^(*). كل هذا قد قام به الكثير من العلماء قديما وحديثا، ولكن مزية الاستفادة الزمانية المكانية لمحتوى الذخيرة وآلياتها يسهل على الجميع الخوض في أعماق الواقع التعسري والاتصالي ومن ثم الفكرى المعيشى للأمة العربية في القديم والحديث.

وفيما يخص الميسادين الأخرى غير اللغوية كثير جداً أيضاً، نذكر منها الدراسات التاريخية وخاصة تاريخ

(*) ويمكن أن يخص جزء من الذخيرة اللهجات العربية إذا وافق على ذلك المشاركون، فيوكل إلى بعض المعاهد العربية المتخصصة القيام بمسح كامل لاستعمال العربية في مستوياتها اللهجية بالمنهجية المتعارف عليها في هذا الميدان، ويمكن أن تقام على هذه المدونة اللهجية دراسات مفيدة جدا بالنسبة للفصحى والعلم عامة، منها : ١- تحديد القدر المشترك بين الفصحى ولهجاتها القديمة والحديثة في اكتشاف أسماء الحيوانات والنباتات في الأقاليم المختلفة ٢- اكتشاف المصطلحات العفوية الحضارية والحرفية والصناعية والفلاحية وغيرها الجارية في اللهجات ٣- تحديد أوصاف النطق اللهجي ودراسة ظواهر الخلط في اللهجات ٤- دراسة مقارنة بين الفصحى واللهجات (في جميع مستوياتها) .

الحضارة العربية وتاريخ الفكر العربى الاجتماعى والعلمى والدينى وغيرها. وكذلك الدراسات الاجتماعية والنفسية الاجتماعية، بحصر مجالات التصورات الخاصة بكل فئة (من خلال استعمال الألفاظ والأساليب وغيرها) فى كل قطر أو إقليم وعبر العصور ودراسة تفاعلها ومدى تأثيرها وما ترتب على ذلك، وكذلك بالبناء جزئيا على العناصر اللغوية ذات الدلالة ومعرفة مدى اتساع رقعتها ومعرفة ترددها فى الخطابات الرسمية وغير ذلك. وكذا الدراسات الاقتصادية والعمرانية والحضارية من خلال استعمال الناس للغة .

III. وظائف الذخيرة الأساسية

رأينا المزايا التى تمتاز بها الذخيرة فماذا ياترى يمكن أن تقوم بها من وظيفة بناء على هذه المزايا، أو بعبارة أخرى كيف يمكن أن تستثمر الذخيرة وتوظف عمليا؟ إن الإجابة عن هذا السؤال ستفسر لماذا التزمنا بأهم الأوصاف التى سبق أن ذكرت

وهو صفة الحيوية النابعة عن الاستعمال الحقيقى، ثم الصفة الآلية فى مباشرة الذخيرة والتفاعل معها.

فهذه بعض الوظائف التى ستقوم بها الذخيرة أو أحد معاجمها:

١- تحصيل معلومات تخص الكلمة العربية عادية كانت أم مصطلحا.

الأسئلة التى يمكن أن يطرحها الباحث:

١- هل توجد كلمة (س) الآن فى الاستعمال (المكتوب أو المنطوق (أو كليهما)؟ وأين ظهرت (*) وبأى معنى فى كل واحد من مصادر وجودها وماهى عامة السياقات التى وردت فيها وبالنسبة فقط لكل كتاب أو نص أو بالنسبة لكل عصر أو كل بلد.

٢- هل وردت (س) قديما مع نفس الأسئلة السابقة؟

٣- ما هو المجال المفهومى الذى تنتمى إليه (س) وهل لها مرادفات وماهى؟ ثم ما هو المقابل أو المقابلات لها بالإنجليزية أو الفرنسية إن وجدت.

٤- متى وردت لأول مرة بالمعنى الفلانى أو معنى آخر؟ ومتى اختفت لآخر مرة إن

* بذلك تعرف أولا درجة شيوع الكلمة جغرافيا فى وقت معين، وثالثا ترددها بالنسبة إلى عصر واحد أو مؤلف واحد، ويمكن أن يحصر السؤال: هل وردت (س) في العصر العباسي وأين؟ أو عند الجاحظ وأين؟ وما هي السياقات في كل حالة ولها من الأسئلة ؟

خرجت عن الاستعمال بهذا أو بهذه المعاني؟ الخ.

٢- تحصيل معلومات تخص الجذور وصيغ الكلم:

١- هل وردت المواد الأصلية أ ب ج د... في الإستعمال عند مؤلف أو متكلم بخاصة وما هي الكلم التي صيغت عليها واستعملها هذا المؤلف؟

٢- نفس السؤال بالنسبة إلى الصيغ أ ب ج د...

٣- اذكر جميع الكلم التي صيغت على صيغة أ أو ب أو ج أو د مع الإشارة إلى مدلول كل واحد من هذه الكلم (صيغة فُعلة بضم الفاء وسكون العين أو فعالية بفتح الفاء وغير ذلك)^(*)

٣- تحصيل معلومات تخص أجناس الكلم

١- ما هي أسماء الإعلام أو المصادر أو الأفعال الثلاثية أو الرباعية المجردة والمزيدة وغيرها) والصفات الخاصة بمجال مفهومي (الألوان والعيوب وأي حلية) وغير ذلك من أجناس الكلم؟ الواردة في نص معين أو عدة نصوص وعبر الزمان.

٢- ما هو تردد كل واحد منها بالنسبة إلى نص واحد أو عدة نصوص؟ وما هي سياقاتها؟

٤- تحصيل معلومات تخص حروف المعاني

نفس الأسئلة (وإحصاؤها بالنسبة إلى عصر واحد أو نص واحد أو عدة نصوص)

٥- تحصيل معلومات تخص المعرب عامة الذي ورد في الاستعمال.

أسئلة عن قائمة المعربات (وميادينها) التي وردت في عصر معين أو مؤلف معين أو عبر العصور.

٦- تحصيل معلومات تخص صيغ الجمل والأساليب الحية والجامدة منها (والصور البيانية العربية) نفس الأسئلة.

٧- تحصيل معلومات تخص بحور العروض والضروقات الشعرية والزحافات والقوافي وغيرها، وغير ذلك من الأسئلة.

٨- تحصيل معلومات تخص المفهوم الحضاري أو العلمي (البحث عن ألفاظ عربية لتغطية مفاهيم علمية):

(*) وبذلك يمكن أن تعرف المعاني الأساسية الشائعة لكل صيغة بدون استثناء .

١- هل توجد كلمة عربية للدلالة على مفهوم معين (خاص بالطب أو البيطرة أو الهندسة المعمارية أو غير ذلك) المعبر عنه بالإنجليزية أو الفرنسية بكذا، وذلك في الإنتاج العلمى العربى المعاصر.

٢- هل يوجد هذا المفهوم وما يقاربه في نص قديم معين (كتاب من كتب ابن سينا أو ابن الهيثم أو...)؟ وذلك من خلال الكلمة العربية التى جاءت فى الجواب السابق (ويمكن على هذا أن تبين الفوارق الدلالية بين مفهوم الكلمة العربية عند القدماء والمفهوم الحديث بالسياقات).

٣- ما هى الألفاظ العربية التى كانت تدل عند القدماء على مفاهيم ربما لا يكون لها مقابل باللغات الأجنبية (وهو شئ كثير مثل الحركة والسكون وحروف المد فى صوتيات العربية)

٤- ما هى الألفاظ الدخيلة التى لها ما يقابلها فى العربية وماذا كانت درجة شيوع هذه وتلك.

وفى كل واحد من هذه الأسئلة يمكن أن تكون الإجابة مرفوعة بذكر جميع السياقات التى ورد فيها العنصر اللغوى أو

بمجموعة خاصة منها فى عصر أو مؤلف. وذكر مصدر كل واحد منها أو كل مجموعة منها (اسم الكتاب والصفحة والجزء وتاريخ الطبع).

ويحسن هنا أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى الأهمية الكبرى التى تكتسبها السياقات وحصرها باستفاضة فإنها تمكن الباحث اللغوى هى وحدها من تحديد مقصود مستعملها فى فقرة معينة من نصه أو فى أكثر من مكان وقد يكون مقصوده منها شيئاً آخر فى مكان آخر.

وهذا يتعذر أن يجده الباحث فى المعاجم العادية لكثرة المقاصد بل لعدم تناسلها، والمقصود غير المعنى المعجمى العادى، ولا سبيل إلى تحديد المقصود أو المقاصد إلا بالرجوع إلى جميع السياقات التى ورد فيها العنصر اللغوى والمقارنة بينها بالاعتماد على منهجية التحليل الدلالى الذى يعرفه بعض علماء اللسان المعاصرين وعلمائنا القدامى وخاصة أهل التفسير والبلاغيين الأولين. ولا يمكن أن يحصل الباحث على جميع سياقات المفردة فى نص كبير أو فى آلاف النصوص إلا باللجوء إلى ذخيرة آلية

ليس غير (وإلا قضى الباحث في جميع ذلك عمره كله).

ومن فوائد الذخيرة زيادة على شموليتها هو موضوعيتها لأنها مجموعة أحداث كلامية مدونة كما وردت وهي مثل شواهد اللغة والنحو لا يجوز ردها إذا كانت كثيرة في الاستعمال وعلى هذا الأساس يمكن أن تكون كثرة ورود الكلمة واتساع رقعتها (بمعنى من المعاني) أو عنصر لغوي مقياسا موضوعيا لاختيار المصطلحات وإقرارها. فإن كل المقاييس الأخرى مثل خفة الكلمة في النطق وتركيب حروفها وقابليتها للاشتقاق، وعدم تضمنها لمعنى منفور منه أو محظور اجتماعيا وعدم غرابتها، وغير ذلك من المقاييس الثانوية، فإن كل ذلك تستلزمه كثرة الاستعمال وهو إقبال الناطقين الكثرين على استعمال الكلمة لاجتماع كل هذه الصفات الإيجابية فيها. وبذلك تبتعد الجامع وجميع المؤسسات العلمية من الذاتية في اختيار المصطلح الأنسب، بل ويحصل التوحيد المنشود للمصطلحات العربية. فلا ينغلق كل قطر بل كل مؤسسة على نفسها بسبب عدم اكتراث أهل البلد أو أصحاب

المؤسسة بما يروج وما يشذ في استعمال غيرهم للعربية.

وفائدة أخرى للذخيرة أنها تمكن الباحث من تتبع تطور معاني الألفاظ عبر العصور، ولا يمكن أن يتبع أى باحث هذا التطور من خلال مطالعته لجميع النصوص التي ظهرت منذ العصر الجاهلي وأنى له ذلك؟ وقد تستغرق المدة التي يقضيها لتصفح الآلاف من النصوص عشرات السنوات، فالحاسوب هو الوحيد الذي يمكن الباحث من اكتشاف تحول المعاني بأن يضع تحت تصرفه كل النصوص التي ورد فيها بالفعل العنصر اللغوي الذي يهمله ولا يعطيه إلا تلك النصوص فهذا الاختيار للنصوص المعنية لا سبيل إلى تحقيقه إلا باللجوء إلى الحاسوب وحده.

ومن ثم فإنه لا يتصور أبدا أن يوضع معجم تاريخي للغة العربية إلا بالاعتماد على مدونة نصية تغطي كل العصور وكل البلدان العربية. فكيف يمكن أن نضمن شمولية ما يقرره الباحث من التحولات الدلالية إن لم يعتمد على عدد هائل من القرائن والسياقات تنتمي إلى كل عصر. ولهذا كانت المحاولات لوضع مثل

هذا المعجم قاصرة أو جزئية تقتصر على
عصر واحد، أو على عدد محدود جدا من
المصادر.

IV- أوصاف المعجم الجامع لألفاظ اللغة

العربية المستعملة

يستخرج هذا المعجم كما قلنا من
الذخيرة الآلية فهي المصدر من المعطيات
التي ينطلق منها ويعتمد عليها الواضعون
لهذا المعجم الكبير، فإنه لا يختلف عن
الذخيرة إلا بالترتيب الأبجدي وغيره
لمحتواها المعجمي وبالدراسات والتحليلات
الخاصة بكل مدخل من مداخلها فكل
مفردة ثبتت في الذخيرة (في نصوص معينة)
فلا بد أن يحرر لها بحث لغوي مستفيض.

إن لهذا المعجم الآلي عدة أشكال
فهو ينقسم قبل كل شيء إلى مجموعات
مرتبة لألفاظ الذخيرة، ثم إلى معجم
موسوعي لغوي يخصص لكل لفظة دراسة
علمية مستفيضة.

أما المجموعات المرتبة فهي عبارة
عن جذاذات آلية كل واحدة منها تختص
بترتيب معين وهي بحسب الترتيب كالتالي:

١- ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من
اللفظ)

٢- ترتيب أبجدي بحسب مجالات المفاهيم
(الانطلاق من المعاني).

٣- ترتيب بحسب تردد الكلمة (عدد
المرات التي ظهرت في النصوص) وتجزأ
إلى ترتيبات بحسب العصور وفي مرحلة
أخرى بحسب المؤلفين وأصحاب
النصوص.

٤- ترتيب بحسب شيوخ الكلمة أي
ذيوها في البلدان العربية في الوقت
الراهن وفي كل حقبة (٥٠ سنة) مما
مضى.

٥- ترتيب بحسب العلوم والفنون.
وعنصر آخر للمعجم هو الخرائط الجغرافية
التي تبين فيها ذيوخ الكلم العربية في مختلف
الأقاليم (وكذلك في مرحلة أخرى ذيوخ
التنوعات الصوتية في الأداء وغير ذلك).

أما المعجم المحرر فيكون على
غرار ما وضع من الذخائر اللغوية للفرنسية
أو الإنجليزية فهو موسوعة يحرر فيها
العلماء بحوثا حول كل لفظة فكل بلب أو
مدخل من هذا المعجم يحتوى على ما يلي:

١- تحليل دلالي للفظ انطلاقا من

السياقات وحدها ثم تحديدات علماء اللغة
القدامى إن وجدت وذلك بـ:

- التوضيح الدقيق:

. للمعنى الوضعى للمادة الأصلية (الجذر).
. للمعنى الوضعى والمعانى الفرعية لكل كلمة اشتقت من تلك المادة (بالتمييز بين المعانى الفنية وغير الفنية).

- ذكر المقابل الإنجليزى والفرنسى لكل

كلمة إن وجد أو ما يقرب منه مع بيان
الفوارق التصورية.

٢- تعليق نحوى صرفى وجيز (وصوتى

وهجائى إن اقتضى الحال)

بالاعتماد على ما ذكره علماء اللغة والنحو
قديما (مع ذكر المراجع)

٣- تعليق تاريخى للمادة وفروعها

(انطلاقا من تحليل النصوص أو المقارنة
بينها):

- بيان أصل الكلمة إن كانت من
الدخيل وتفسير تكيفها.

- ذكر تاريخ أول ظهور الكلمة فى
النصوص التى لدينا (الأصيلة
والدخيلة).

- ذكر تاريخ أول تحول دلالى للكلمة
(والسياقات التى ظهرت فيها المعانى
المستحدثة).

- ذكر تاريخ آخر ظهور لها إن اختفت
فى الاستعمال.

- وصف إجمالى تفسيرى للتطور اللفظى
والدلالى للكلمة.

- بيان نظائر الكلمة فى اللغات السامية
(مع ذكر المواد الأصلية)

٤- ذكر درجة تردد الكلمة بحسب
العصور والبلدان وبالنسبة للآثار العلمية أو
الأدبية إن اقتضى الحال.

٥- بيان شيوع الكلمة الجغرافى (بحسب
العصور أيضا)

٦- ذكر المتجانسات والمترادفات
والأضداد إن وجدت للكلمة.

٧- ذكر الدراسات التى خصصها
العلماء لها قديما وحديثا إن وجدت.

٧- كيفية إنجاز الذخيرة : اقتراح منهج -
معين

١- الكيفية المثلى والأقل تكلفة

- مبدأ المشاركة الحرة

نظرا للضخامة المهولة التى تتصف بها
الذخيرة، وبالتالى ضخامة الجهد المطلوب
والتكاليف الباهظة التى يتطلبها إنجاز مثل
هذا العمل الجبار، ومن ثم أيضا عدم وجود
أى منظمة فى العالم تستطيع أن تتكفل

بإنجاز هذا المشروع، فإن المشاركون في الندوة الأولى التي عقدت في الجزائر من أجل إرساء المبادئ الأساسية لإنجاز مشروع الذخيرة (في جوان * ١٩٩١) قد أجمعوا على ما بدا لهم بأنه الحل الأنسب وهو إشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية العربية في إنجاز المشروع على أساس التمويل الذاتي. فكل مؤسسة علمية في الوطن العربي مثل الجامعات اللغوية والجامعات بكلياتها ومعاهدها ودوائرها المتخصصة، ومراكز البحوث والشركات ذوات النشاط العلمي أو التقني والتطبيقي ترغب في المشاركة في إنجاز جزء من العمل تخصص به دون غيرها، فعليها أن تخصص في ميزانيتها بنداً لإنجاز الجزء المخصص لها في كل سنة حتى ينتهي العمل .

- تكوين الفرق وإعداد التجهيز اللازم

كما اقترحت الندوة الأولى العدد الأدنى من الوسائل البشرية والمادية التي ينبغي لكل مؤسسة متطوعة توفيرها من اعتماداتها المالية وهي كالتالي:

١- إنشاء فريق من الممارسين والاختصاصيين يفرغ بعضهم أو كلهم للمشروع ويمكن أن يتكون من خمسة إلى

* جوان : هو شهر يونية .

عشرة ممارسين يكلفون بإدخال المعطيات في ذاكرة الحاسوب (أي تفريغ الكتب والدراسات والخطابات وغيرها في الأقراص الذاكرية). ويشرف عليهم مهندس في الحاسوبيات من الناحية التقنية ودكتور في اللغة العربية.

٢- اقتناء مجموعة أجهزة تتكون من خمسة إلى عشرة حواسيب صغيرة (ميكرو) وعدد كاف من الركائز الذاكرية المنقولة (الأقراص) وإن أمكن اقتناء آلة ماسحة للقراءة الآلية للنصوص (سكانير) وهذه الآلة تجعل الفريق يستغنى عن الملامس التي يدخل بواسطتها المعطيات مثل الآلة الكاتبة، وبالماسحة ستوفر الكثير من الجهود ومن المال لدخول المعطيات في الذاكرة بكيفية آلية.

وكلما كثرت الوسائل-في حدود هذه الأعداد الدنيا- كان المردود طبعاً أكبر والعمل التخزيني أسرع وأفيد وأصح. وكل هذا قليل في حق لغة القرآن .

٣- توزيع الحصص

لكل مؤسسة الحق في أن تختار المعطيات التي تريد تخزينها وهي بذلك أولى ولها أن تختار بعض أمالي أساتذتها

ودراسات باحثيها والكتب والمنشورات التي يرتبط محتواها بتخصصها أو اهتماماتها عامة، وذلك لتمكين من استثمارها وعلاجها كمعطيات علمية للاستفادة منها بمجرد ما يتم تخزينها لها، وهذا سيكون حافزا لها في العمل التخزيني .

ونقترح بهذا الصدد المبدأ التالي:

تتكفل كل مؤسسة تشارك في إنجاز المشروع بتخزين عدد من الكتب التراثية تقترحها اللجنة المؤقتة للمشروع من بين المؤلفات التي تعالج موضوعات لها علاقة باختصاص المؤسسة . وذلك لمدة خمس سنوات، وعلى هذا الأساس تقترح اللجنة المؤقتة للمشروع مخططا عاما يشتمل على قائمة عامة للكتب التراثية والمعالج اللغوية والاصطلاحية وغيرها من الوثائق مما ينبغي أن يخزن في ذاكرة الحواسيب وقوائم التخزين .

أما فيما يخص الخطابات المنطوقة مثل المحاضرات العلمية في الجامعات وغيرها والمحاضرات العمومية المهمة في شتى الموضوعات، كالأدب ومختلف الفنون (المسرح والسينما وغيرها) والرياضة والخطابات السياسية والاجتماعية المهمة

وغيرها مما هو منطوق فنرجو من المؤسسات المتخصصة الراغبة في تدوين المحاضرات الشفاهية، وكذا المؤسسات التي تهتم بتسجيل الخطابات الشفاهية أن تخبر اللجنة المؤقتة باستعدادها للمشاركة في تدوين المعطيات المنطوقة بعد تسجيلها.

٤- تنظيم العمل وتخطيطه وتنسيقه

تنشأ لجنة محلية دائمة في كل دولة من الدول العربية التي تتواجد فيها مؤسسات علمية مشاركة، وتتكون من ممثل واحد لكل مؤسسة، وينتخب هؤلاء الممثلون رئيسا للجنة لمدة خمس سنوات (بحسب مدة التخطيط للمشروع)

وتكون مهمة اللجنة المتابعة العلمية والفنية للعمل والتنسيق بين المؤسسات المشاركة، ودورها الرئيسي ينحصر في السهر على استمرار العمل في أحسن الظروف، وبالنوعية المطلوبة، وذلك بتبادل الآراء والخبرات واقتراح الحلول للمشاكل الطارئة وخاصة التقنية منها، وكذا تفادي التكرار لنفس العمل بين مؤسسة وأخرى في داخل البلد الواحد. وتجتمع كل لجنة في كل بلد مرة واحدة في السنة على الأقل، وتقدم على أثرها تقرير للجنة العامة.

وتنشأ لجنة عامة دائمة على مستوى الوطن العربي تتكون من رؤساء اللجان المحلية، وينتخب هؤلاء رئيساً لهم لمدة خمس سنوات.

هذا ومن المعروف أن تخزين النصوص في ذاكرة الحواسيب هو عمل قد بادر إلى ممارسته عدد من الباحثين العرب والمؤسسات أو الشركات منذ زمان، وذلك مثل الشعر الجاهلي المنشور ، والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والمعاجم الاصطلاحية وغير ذلك . ولهذا نرجو من المؤسسات العلمية أن تتكرم بإعلام اللجنة إن كانت تقوم بعمل مثل هذا أو قامت بها فيما مضى. وستقوم اللجنة بدورها بإحصاء

جميع الأعمال التخزينية التي تمت في الوطن العربي أو هي بصدد الإنجاز . ونأمل أن نتجنب بذلك تكرار الأعمال إن شاء الله.

وستقام شبكة اتصالية بين المؤسسات لتبادل المعلومات في هذا المشروع، وسيخصص مركز البحوث والدراسات العلمية السوري من جهة ومركز البحوث العلمية والتقنية الجزائرية للغة العربية من جهة أخرى جهازاً حاسوبياً كاملاً لتجميع كل ما سيخزن في مختلف البلدان العربية.

عبد الرحمن الحاج صالح

عضو الجمع المراسل من الجزائر

الأسماء العربية لأجناس الحيوان وأنواعه *

للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد

ولما أراد الناس أن يدرسوا أنواع الحيوان دراسة علمية وضعوا لكل نوع تعريفا طويلا ، للاقتراب من التحديد العلمي المطلوب. ولكنهم ما لبثوا أن ضاقوا ذرعا بثقل هذه التعريفات، حتى خلّصهم منها ، في أواسط القرن الثامن عشر ، الشاب السويدي الأملعي كارل لينيوس ، فابتدع "التسمية الثنائية" لأنواع الأحياء ، التي تقضى أن يسمّى كل نوع منها باسم جنسه يليه اسم نوعه ، وكفى. وكانت هذه الأسماء العلمية لاتينية أو ملّتنة. فالأسد ، مثلا *Felis leo* (**) ، أما الببر والقط الأليف فيتفقان معه في جنس السنابير أو القطط *Felis* ، ويختلفان عنه في الشق الثاني من اسميهما: فالببر *Felis tigris* والقط الأليف *Felis domestica* ، وهكذا .

وفرّح العلماء بهذه الطريقة الجديدة البسيطة ، وانطلقوا يسمّون الحيوانات وفقا لأسلوبها . ولكن سرعان ما عمّت

أسماء الأعيان، ومنها أسماء أنواع الحيوان ، هي في جوهرها رموز يُتفق عليها للدلالة على كل عين بذاتها ، حتى إن تجردت ألفاظ تلك الرموز من أى معنى مرتبط بذواتها. والمهم أن تكون تلك الرموز محدّدة ، معروفة بين مستعمليها، لا يكتنفها تداخل أو غموض.

والاسم - على إيجازه وبساطته وتجرّده - ينقل إلى سامعه أو قارئه صورة مركبة. من شتى الأوصاف والتفاصيل ، بل إنه قد يستدعى إلى وعيه ألوانا من الأحاسيس والمعلومات المحفوظة في ذاكرته. فالاسم ، على هذا النحو ، هو المسمّى ، كما يقولون. وهذا هو بعض ما نستشعره حين نقرأ قوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلّها..." (البقرة: ٣١) ، على أرجح ما قاله المفسرون.

ونشأت أسماء الحيوانات في المجتمعات الإنسانية المختلفة ، وأصبح لكل قوم "قاموس" لرموزهم ، حفظوه في صدورهم وتوارثوه ، ثم سجّلوه ، منقوشا أو مكتوبا ، في أزمنة تالية من تاريخهم. وكان الطبيعي أن تختلف القواميس.

* ألقى هذا البحث في الجلسة الثامنة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٣ من ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ، الموافق

٣ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م.

(**) على الرأي المشهور .

الفوضى ، فقد اتضح أنه لابد من وضع قواعد لتنظيم إطلاق تلك الأسماء. ونشطت الهيئات والجمعيات العلمية في أوروبا يضع كل منها قواعده ، ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن هذا لا يكفي ، وإنما يجب أن تكون هذه القواعد عالمية متفقاً عليها دولياً. وهنا انعقد المؤتمر الدولي الأول لعلم الحيوان في باريس عام ١٨٨٩ ووضع مجموعة من القواعد ، أخذوا ينقحونها حتى أقرها المؤتمر الدولي الخامس المنعقد في برلين عام ١٩٠٢ ، فظهرت الطبعة الأولى من قانون التسمية الحيوانية عام ١٩٠٥ ، وظلت سارية نحو ٧٠ عاماً حتى نقحها المؤتمران الدوليان الخامس عشر (في لندن عام ١٩٥٨) والسادس عشر (في واشنطن عام ١٩٦٣) ، فظهرت الطبعة الثانية من القانون عام ١٩٦٤. أما الطبعة الثالثة فقد ظهرت عام ١٩٨٥ ، بعد أن أقرته هذه المرة الجمعية العامة للاتحاد الدولي للعلوم البيولوجية التي عقدت في هلسنكي عام ١٩٧٩. وهذا القانون يضم "تقنيا" - كما علمنا الأستاذ الدكتور أحمد عز الدين عبد الله - فيه سبع وثمانون مادة مفصلة ، وستة ملاحق.

وعالم الحيوان الأصيل يجب عليه أن يلم إماماً حسناً بهذا التقنين ويلتزم التزاماً دقيقاً بقواعده الصارمة. أما الجهة القضائية التي تحكم فيما قد ينشأ بين العلماء من خلاف أو حل ما قد يصادفهم من مشكلات في تطبيقهم القانون ، فهي اللجنة الدولية الدائمة للتسمية الحيوانية ، ومقرها لندن. ومن أبرز مبادئ هذا القانون أنه لا يكون للجنس الواحد أو النوع الواحد من الحيوان إلا اسم علمي صحيح واحد ، وأنه إذا تعددت الأسماء تكون الأحقية لأسبقها نشرًا وفقاً لأحكام القانون ، ويكون حق التأليف لصاحب ذلك الاسم. ومنها أيضاً أنه لا يطلق الاسم المعين إلا على جنس واحد أو على نوع واحد ، فإذا تعدد السميون استقل بالاسم الجنس أو النوع الذي أطلق عليه ذلك الاسم أولاً ، وكان على العلماء أن يجدوا أسماء بديلة للمنافسات الأخرى. ويترتب على هذين المبدأين أنه لا يتكرر اسم الجنس في عالم الحيوان أبداً ، وأنه لا يتكرر البتة اسم النوع في الجنس الواحد. ومشاكل مترادف الأسماء وتطابقها من أعقد مشاكل المصنفين.

والتحديد العلمى الدقيق لمدلولات
الأسماء كثيراً ما تكون له أوجه كثيرة من
الأهمية. فمثلاً ، ما هى "السُّلَوَى" التى
أنزلها الله على بنى إسرائيل فى التيه بسين
مصر والشام؟ أرجح أقوال المفسرين إن
السُّلوى هى الطيور المعروفة بالسُّمَانَى.
وهذا هو ما يراه القزوينى فى "عجائب
المخلوقات" ورواضعو "قاموس الكتاب
المقدس" أيضاً. أما الدِّميرى فقد نقل فى
موسوعته البديعة عن ابن
سيده: "السُّلوى: طائر أبيض مثل
السُّمَانَى...". وذكر المعلوف ، فى معجمه
القيّم عن الحيوان ، أن "السُّلوى" التى
تكلم عنها الدميرى طائر آخر ، لعله
الواق الصغير الذى يسمّى "السُّلوى" فى
حلب ، أو الصُّفْر الذى يسمّى أيضاً
"السُّلوى" فى لبنان. ولكن هذا التشكك
الذى أثاره الدِّميرى قد تسرب إلى "معجم
ألفاظ القرآن الكريم" لجمعنا ، الذى جاء
فيه أن السُّلوى "طائر يشبه السُّمَانَى".
وهناك من الدلائل القوية ما يرجّح أن
سُمَانَى بنى إسرائيل هى النوع المعروف
باسم "السُّمَانَى" *Coturnix coturnix*.

وكلما فكرتُ فى الأسماء العربية
للحيوان تطوف بذاكرتى قصة طريفة
مشهورة عن أبى العلاء ، فلما أردت
توثيقها خفتُ إلى نجدتى أخى الكريم
الدكتور محمد يوسف حسن ، حبيبُ أبى
العلاء ، فأمدنى بكتاب أحمد تيمور باشا
عن أبى العلاء ، الذى قدّم له المجمع
العلامة الدكتور بدوى طبانة ، فوجدت
فيه الخبر اليقين. وذلك أن عبقرى المعرّة
دخل على مجلس الشريف أبى القاسم
المرتضى ، وهو ببغداد ، فلما تقدم عَثَرَتْ
قدمه بأحد الجالسين ، فصاح الرجل
الصِّلَف: من هذا الكلب؟

ولم يكن هذا الرجل - الذى نسى
التاريخ اسمه - سيئ الخلق فحسب ، بل
إنه كان سيئ الحظ أيضاً ، فإن عشرة لسانه -
كانت أضرب به من عشرة قدم أبى العلاء ،
الذى ردّ عليه فى ثقة واعتداد بالنفس :
الكلبُ من لا يعرف للكلب سبعين اسماً!
فأفحم الرجل وسقط فى يده . وسمع
المرتضى ردّ أبى العلاء فأدناه واختبره ،
ولما وجده عالماً فطناً ذكياً ، أقبل عليه
إقبالا كثيراً. ولا تحكى القصة أن أبا العلاء
ذكر أسماء الكلب السبعين فى ذلك المجلس.

ولكن هذه السُّبَّة ظلت قائمة ، على أية حال. وتصدَّى لهذا التحدَّى "بلدياتي" جلال الدين السيوطي، بعد ذلك بأكثر من أربعة قرون ، فألف أرجوزة أسماها "التبري من معرة المعري" تضمنت سبعين اسماً للكلب، وأوردها أحمد تيمور في كتابه وشرحها ، بعد أن رجع إلى القاموس واللسان والمخصص وحيوان الجاحظ ، وحياة الحيوان الكبرى للدُميري وغيرها ، ثم استدرك عليها.

وقد فحصت هذه الأسماء فوجدتُ منها ما يصف الكلاب ببعض ألوانها ، كالباقع والأبقع والأعنق ؛ أو وفقاً لأحجامها ، كالعُرْبُج والفرني للضخام ، والقَطْرَب أو القَطْرَب للضئال؛ أو بعض خصائصها ، كالدرباس للعقور والعواء والصُّمات ؛ أو نسبةً إلى بلد ، كالسُّلوقي والنَّصيبِيّ ؛ ومنها أيضاً الدُّرسُ (مثلثة الدال) والجُرو (مثلثة الجيم) لأولاد الكلاب. وفي القائمة أسماء لهجائن حقيقية أو متوهمة بين الكلب والدُّب والثعلب بل والدُّب أيضاً ، كالسَّمع والدُّيسم . بل إن فيها أيضاً: الهراكلة والقنّيس والقضاعة، وهي لو اُحتم تعرف في العربية بكسلاب

الماء، ليست من جنس الكلب *Canis* ، بل ولا حتى من فصيلته *Canidae* ، وإنما هي من فصيلة السراغيب أو بنات عرس *Mustelidae*. وتضم القائمة أيضاً خمسة عشر اسماً لبنات آوى *jackals* ، وهي بضعة أنواع من جنس الكلب ، ولكنها ليست من الكلاب أو الذئاب. وقد زاد أحمد تيمور على قائمة السيوطي خمسةً وثلاثين اسماً للكلاب وبنات آوى وأولادهما وكُنّي ذكورها وإناثها ، وأكثر من عشرين علماً لكلاب مشهورة في كتب التراث.

وهذا الولع الشديد بالمكاثرة في أسماء الحيوان ، مع الشعور بالزهو بسعة العلم اللغوي وثراء اللغة العربية نفسها ، فيه كثير من التغالي ، ولا يبرأ - كما رأينا - من التخليط ، ولكنه قد نفعنا - بعد تمحيصه - في وضع المقابلات العربية لأسماء سلالات الكلب أو أصنافه التي لُجج في استنباطها المرهون ، وترهبوا على المسألة ، وهي كلها أصناف من لسوع الكلب المألوف أو المستأنس *Canis familiaris*. وهذا الأمر ليس مقصوداً على الكلب. فالدُميري ، مثلاً ، يبدأ موسوعته

الفريدة قائلا إن للأسد أسماء كثيرة ، وإن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى . ونقل عن ابن خالويه أن للأسد خمسمئة اسم وصفة ، وذكر أن علي بن القاسم بن جعفر اللغوي زاد عليها مئة وثلاثين اسما . وذكر الهميري من هذه الأسماء خمسة وعشرين ، ولكنه - لحسن الحظ - لم يسب من يجهل سائرهما . وقل مثل ذلك أو بعضه عن الإبل والخيول والذئاب ، وغيرها . وهم يخلعون على الحيوانات المشهورة شتى الكنى ، فالثعلب أبو الحصين وأبو نوفل ، والذئب أبو جعدة ، والهدد أبو الأخبار ، وهكذا .

وعندنا في الطرف الآخر من تراثنا اللغوي ، أسماء لانكاد نحدد لها مسمى . وذلك من قبيل : "الجلف" : طائر معروف ؛ و "الحرقصى" : دويبة ؛ و "الحرقوفة" : دويبة من الحشرات . و "دويبة" لا تعنى إلا كائنا صغيرا يدب على الأرض ، فهي لا تكاد تفيد إلا الحيوانات وصغير الحجم ، وتتسع حتى تشمل القنافذ من الثدييات ، مثلا . وهذا بعض مما يُحال إلى لجنة علوم الأحياء من لجنة المعجم الكبير ، في حرصها المشكور على التحقيق والتوثيق

والشمول . ولكننا كثيرا ما نعتذر ، في مثل هذه الأحوال ، عن عدم تمكننا من الاستدلال على تحديد مسميات تطمئن إليها نفوسنا . وأمثال هذه الأسماء كأنها تقابل ما يدعو قانون التسمية الحيوانية "أسماء عارية" (nomima nuda) ، أى أسماء أصبحت بلا مسمى ، سوف تظل محفوظة في كتب اللغة التراثية ، كما أننا نرى أن تسجل كما هي في المعجمات الحديثة الواسعة ، كالمعجم الكبير ، إلى أن يُهتدى إلى تحديد مسمياتها ، في ضوء بعض الشواهد والقرائن ، أو أن تخصص لمسميات محددة ، وهذا - فيما نظن - أولى من الابتداع ، وفيه إحياء لتلك الألفاظ .

ولكننا نوفق في أحوال أخرى ، بفضل الله ، إلى التوصل إلى تحديد علمي مقبول معتمد على شئ من الاجتهاد والتأويل . ويكفى أن نضرب لذلك بعض الأمثلة :

١- الجَلْعَلَعَة : "خنفساء زعموا أن نصفها طين ونصفها حيوان" . ونستطيع أن نتقصى أصل هذه الخرافة : فالمعروف أن الجعلان حشرات من غمديات الأجنحة

تُعَدُّ من الخنافس ، وأن من أنواعها جِعْلَانُ
الرُّوث ، التي تصنع إناثها كراتٍ كبيرة
من الرُّوث (أو "الجُعْر") لتضع فيها بيضها،
ثم تمسك بها وتدحرجها أمامها ، فتَبْدُو
و كأن نصفها من الطين ، ولذا تَكْنَى بأبي
جعران وتعرف بالجعارين. ولذلك نستطيع
أن نلحق بالتعريف المأثور قولنا: "ويحتمل
أنها أنثى الجُعْل بكرة الروث التي تضع فيها
بيضها".

٢- جمل البحر: ينقل الدِّمِيرى عن ابن
سيده أنه "سمكة طولها ثلاثون ذراعا"،
ويشير إلى حديث أبي عبيدة ، رضى الله
عنه ، أنه أُذِنَ في أكل جمل البحر ، وهو
سمك شبيه بالجمل. ثم يشير أيضا إلى رجز
للعجاج مذكور في كتاب "البيان والتبيين"
للجاحظ. ويقول صاحب القاموس إنه
"سمكة طولها ثلاثون ذراعا". أما المعلوف،
في معجم الحيوان، فيدور مئة وثمانين
درجة ويقول، نقلا عن جفروى ، إن
جمل الماء "نوع من السمك صغير رقيق
جدا كأنه الشفرة" ، ولكنه يضيف ، وهو
أيضا حوت عظيم اسمه الكُبع. وعن الكعب،
ينقل الدميرى عن ابن سيده أن الكُبْعَة:
دابة من دواب البحر.

ويتجه الفكر بعد هذه الجولة إلى
حوت طوله ثلاثون ذراعا يشبه الجمل.
ويتركز النظر في الحوت الأحدب
(humpback whale) ، له زِعْفَة
كالسنام ، ويبلغ طوله بين ١٥ و ١٩
مترا. والذراع الهاشمية تساوى اثنتين
وثلاثين إصبعاً أى ٦٤ سنتيمترا. وعلى هذا
تكون الثلاثون ذراعا مساوية لتسعة عشر
مترا. وهكذا نستطيع في النهاية أن نقول ،
بدرجة مقبولة من الرجحان ،
إن جمل البحر هو الحوت الأحدب
Megaptera novaeanglia من فصيلة
Balaenopteridae . ويؤيد هذا الرأى
أن الحوت الأحدب يحبب المحيطات كلها،
ومن ثم كان متاحا لأن يراه العرب.

٣- الجِيْهَر: لانجدها عند الدِّمِيرى ولا عند
المعلوف ، ولكن القاموس المحيط يفسرها
بأنها: "الذباب الذى يفسد اللحم".
ونستطيع أن نعتمد على هذا في قولنا:
الجيههر اسم يدل على أنواع الذباب من
جنس *Sarcophaga* من فصيلة
Sarcophagidae (أى: آكلات اللحم) ،
من رتبة الحشرات ذوات الجناحين ، يضع
يرقاته في اللحم أو في جثث الحيوانات أو

في الجروح المكشوفة، حيث تحلل اللحم وتذيه لتغذى به.

٤-الحصائيات: "ضرب من الطير ، يصيد الذباب اختطافا واختلاسا". وينطبق هذا الوصف على أنواع كثيرة من الطيور منها جنسُ خاطف الذباب *Muscicapa* الذي يضم أكثر من عشرين نوعا. تعيش في آسيا وإفريقيا وأوروبا ، وتصيد الذباب وغيره من الحشرات وهي طائفة .

وتسجل كتب اللغة حالات صارخة من الكائنات السَّمِيَّة ، فتذكر مسميات متعددة لبعض الأسماء ، فمن ذلك: "الأطوم" ، فهو سلحفاة بحرية غليظة الجلد ، والزرافة ، والبقرة ، والصَّدف ، والقنفذ (المعجم الكبير ، الجزء الأول ، ص: ٣٥٤). ولكن المعجم الكبير يضيف إلى هذه المعاني تخصيصا حديثا ، فيقول: "وفي علم الأحياء: حيوان بحري من الفصيلة الأطوميَّة ، من رتبة الخيلان ، أى بنات الماء ، من الثدييات... إلخ".

والمعجم لا يبرر هذا التخصيص ، الذي يبدو كأنه لون يجوز أن نصفه بالاعتساف الاصطلاحي المقبول. فهذه الحيوانات ، التي تعرف أيضا باسم "بقر البحر" و

"عرائس البحر" ، لها جلد غليظ كجلد السلحفاة ؛ فالمعجم الكبير يذكر أن البقرة [أى بقرة اليابسة ، من الأنعام] سُميت أطوما على التشبيه بالسلحفاة البحرية لغلظ جلدها. ولكنني وجدت سندا آخر تحت اسم "الحنفاء" - في جزء آخر من المعجم - التي من معانيها: "سلحفاة الماء" ، و "سمكة بحرية ، يقال لها الأطوم ، وهى سمكة في البحر كالملكة". ومن المعروف أن عرائس البحر ثدييات تشبه الأسماك شبا ظاهريا. ولكن العجيب أن كتابا مترجما عن الحيوانات اللافقارية ، يطلق اسم "الأطوم" على حيوانات قشرية (barnacles) تلتصق بالصخور والسفن والحيوانات وغيرها من الأجسام المغمورة في ماء البحر ، وتفرز قشورا جيرية سميكة (رالف بكسباوم، ١٩٦٠) . ولعل المترجم - رحمه الله - تعلق بشأن من معاني الأطوم "الصدف" ، كما تقدم ، ولكن الأفضل أن يُعَرَّبَ هذا الاسم إلى "برنقيات" ، إذا لم نعثر على اسمها في ذخيرتنا العربية.

وقد أثارت الضفدع الشائعة في مصر ، والتي يدرس تشريحها كل طالس

لعلم الحيوان في مصر ، مشاكل لغوية علمية معقدة . على هامشها أولا ضبط الاسم : المفرد : ضفدع ، وضفدع (وينقل الدميري عن ابن الصلاح أن أشهرها من حيث اللغة كسر الدال ، أما فتحها فهو أشهر في السنة العامة وأشبه العامة من الخاصة ، وقد أنكره بعض أئمة اللغة) وهي أيضا : ضفدع ، وضفدع ، وضفدع ؛ والجمع فيها كلها : ضفادع ، وضفادي .

والضفادع ، بصفة عامة ، برمائيات بترافات قوافز ، تنقسم قسمين : مجموعة جلدها رطب أملس ، ورجلاها الخلفيتان طويلتان ، وبطرف لسانها ثلثة ، ومعظمها مائي . وتعرف أنواعها الكثيرة (نحو ٥٠٠ نوع) في الإنجليزية باسم frogs وتنسب إلى الجنس *Rana* والفصيلة الرانية *Ranidae* أما المجموعة الثانية ، فجلدها جاف نحشن ذو ثآليل ، وبه غدد تفرز سما ، ورجلاها الخلفيتان أقصر ، ومعظمها أدرد الفكين . ويعيش معظم أنواعها في طور البالغ على اليابسة أو في الطين . وتعرف الأنواع الكثيرة من هذه المجموعة (نحو ٣٠٠

نوع) في الإنجليزية باسم toads ، تنسب إلى الجنس *Bufo* وأجناس أخرى من الفصيلة البوفوية *Bufo*.

فعندنا في الإنجليزية إذن : toads وfrogs (وفي الفرنسية grenouilles و crapauds) وكان علينا أن نجد لفظين مقابلين لهما في اللغة العربية . أما frogs فقد حظيت باسم "الضفادع" الشائع على الألسنة ، وإن لم تكن هسى البرمائيات الشائعة في مصر ، مثلا . وأما toads فقد أسماها بعض المؤلفين "العلاجيم" ، وانتشرت هذه التسمية في بعض المؤلفات الجامعية باللغة العربية .

فإذا رجعنا إلى معنى "علاجيم" في كتب اللغة ، وجدنا في القاموس ، مثلا ، : "الضفدع الذكر ، والقراد ، والظبي الآدم ، والظليم ، والكبش ، والوعل ، والثور المسن ، والبطة الذكر ، وطائر أبيض ، والماء الغمر الكثير" . ويأخذ الوسيط بعض هذه المعاني ويزيد عليها : "الأتان الكثيرة اللحم" . ولا يورد الدميري "العلاجيم" في موسوعته ، ولكنه يذكر في مدخل "ضفدع" أن العلاجيم هو ذكر الضفدع ، ويبدو أن هذا هو أشهر المعاني ، وهو المعنى

الأول في القائمة الطويلة التي أوردتها
القاموس ، فهو اختيار له ما يبرره.

أما ترجمة toads بعلاجيم ، فالذى
ابتدعها هو المعلوف ، في معجمه القيم ،
حيث يقول إن معنى العلجوم الضفدع
الذكر ، ولكنه يضيف (ص: ١٠٩): "...
وأرى أن العلجوم حيوان آخر من الرتبة
نفسها". (وموضع التساؤل ليس حيوانا
واحدا). ويوضح في موضع آخر:
(ص: ٤١) وجهة نظره قائلا: "... ولا شبهة
أنهم أرادوا في قولهم الضفدع الذكر أنه
جنس من الضفادع الكبار لا أنه الذكر
بالمعنى المفهوم. وهذا الاستعمال كثير
عندهم". وأرى أن المعلوف قد جانبه
التوفيق في هذا التخريج. فليس كل
حيوانات المجموعة الثانية (toads) أكبر
أحجاما من حيوانات المجموعة الأولى ، ثم
إن الضفادع من الحيوانات التي تتميز
ذكورها من إناثها تميزا واضحا ، فهي التي
تنق دون الإناث ، فضلا على بعض
الفروق في الشكل. (وكذلك الحال في
البط ، فذكوره في معظم الأنواع أجمل
وأهمي ريشا من إناثه ، وإلا لزم أن نقول
- على هذا القياس - إن العلجوم هو نوع

أو جنس معين من البط أيضا). فواضح أن
العلجوم اسم للذكر ، كالديك والثور
والكباش ، ونحوها.

وقد فكرت في الأمر منذ سنين ،
فلم أجد مندوحة من تعريب toads إلى
"تودات". وهكذا يكون عندنا ضفادع
وتودات ، فلسنا أقل فطنة ودقة من الذين
يفرقون بين هاتين المجموعتين في اللغات
الأخرى. وقد أعلنت هذا في عملين
بنسكارين (في الموسوعة
الذهبية: ٦٣/١٩٦٤ ، وفي موسوعة
الأهرام: ١٩٦٤). والذي يؤيد هذا المنحى
أن لفظ toad في الإنجليزية اسم جامد من
اللغة الإنجليزية القديمة ، وليس له معنى
يترجم. وليس تعريب الأسماء في عالم
الحيوان بغريب ، فأسلافنا قد أدخلوا ،
مثلا: الأنخطبوط ، الإسقمري ، الأنكليس ،
البلبل ، الجرّي ، السقنقور ، القريدس ،
والقندس.

وهذه التفرقة بين الضفادع
والتودات واجبة في الكتابات العلمية ،
على وجه الخصوص. أما في الحديث
العادي فيمكن استعمال لفظ "ضفدع"
و"ضفادع" للإشارة للبرمائيات البتراوات ،

بصفة عامة. وشبيه بهذا قَدَرْنَا في ترجمة
بمجموعتي حرشفية الأجنحة: الفراش وأبي
دقيق ، ففي كلامنا المعتاد ، ونثرنا،
وشعرنا، لا نتحدث إلا عن الفراشات. بل
حتى في الأسماء العلمية التي لا يقصد فيها
التفرقة بين المجموعتين ، نستعمل لفظ
"الفراش" أيضا لترجمتنا لاسم butterfly
fishes إلى الأسماك الفراشية ، دون حرج.
وعكس ما ذكرناه بشأن التودات،
حدث عند ترجمة لفظ "skunks" التي
تدل على أنواع من اللواحم الأمريكية لها
غدتان عند قاعدة الذيل ، تنقبض
العضلات المحيطة بهما ، إذا أثير الحيوان ،
قاذفة إفرازها السائل رذاذاً دقيقاً له رائحة
خانقة كريهة لا تطاق ، تقزر النفس وتثير
الغثيان ، كما أن له فعلاً كاوياً قد يصيب
العينين بعمى مؤقت. ويحرص الحيوان على
ألا يعلق بجسمه من هذا الإفراز شيء ،
ويمضي "طاهر الذيل" بعد أن يفعل فعلته
النكراء . وهذه الأنواع تشبه أنواعاً أخرى
مماثلة في العالم القديم، منها ما يعرف في
مصر والسودان بأبي عفن وأبي المثنى (مع
أنه لا ينفرد بهذه الوصفة)، وفي بلاد
العرب باسم الظربان (عبد الحافظ حلمي

محمد، ١٩٦٥)، ويعرفه الدميري بأنه
"دويّة فوق جرو الكلب ، متنة الريح ،
كثيرة الفسو" ! وهكذا كان من الطبيعي
أن يسمى المألوف الـ skunks "الظربان"
الأمريكية" (معجم الحيوان ، ص : ٢٣١).
وكذلك نلجأ أحياناً إلى ترجمة معاني
الألفاظ الأجنبية إلى اللغة العربية ، كما
فعلنا في ترجمتنا للأسماء: puffbirds إلى
الطيور المنتفشة ، و hornbills إلى قرنية
المناقير، button quails إلى السُّمان
الزُّرّيّة ، و caecilians إلى العمياوات ،
و frogfish إلى الأسماك الضفديعية ، و
toadfish إلى الأسماك التودية ، وهكذا.
والحذر الحذر من الأخطاء الشائعة
عند وضع المقابلات العربية لأسماء الحيوان
الأجنبية. فمن ذلك ترجمة tiger إلى
"نمر"، وصحته: "الببر" ومن ذلك أيضاً
ترجمة swans إلى بجمع ، كما يحدث في
ترجمة الباليه المشهور Swan Lake إلى
"بحيرة البجع". وانتقل هذا الخطأ إلى
الفلاسفة والمناطق في مثاهم المشهور: كل
البجع أبيض ، بل إنه تسرب إلى بعض
معاجمنا ، فهي تورد مقابل لفظ "بجع"
وصفاً ورسماً لطائر آخر هو التّم (المشهور

في مصر أيضا بالوَز العراقي) وهو الذي
يسمى بالإنجليزية swan ، أما البجع
فمقابله بالإنجليزية هو pelicans، وقد
يرئ المعجم الكبير من هذا الخطأ الشائع
فأورد أمام لفظ "بجع" الوصف والرسم
الصحيحين لهذه الطيور التي تُعرف أيضا
باسم "الحوصل" أو "جمل الماء". وبهذه
المناسبة ، من مآثر المعجم الكبير أيضا
إثباته للأسماء العلمية لأنواع النبات
والحيوان وأجناسهما وفصائلهما ، أيضا.

وبعد.. أيها العلماء الأجلاء

لا أزعم أنني قد شفيت الغليل في هذا

الموضوع المتشعب الطويل ، وكان
قُصارى جُهدى أن أعرض عليكم - في
حدود الوقت الضيق المتاح للإعداد
والإلقاء - بعض ما عَرَضَ لي منه في أثناء
عملي المتواضع في الترجمة أو التحقيق ،
وقد يكون لنا إليه عود ، إن شاء الله. وإنما
يكفيني أنني بشتكم بعض ما نكأبده في
هذا الباب من عناء يعذبنا ونستعذبه ، في
سبيل خدمة لغتنا الشريفة ، وإرساء قواعد
نهضة علمية عربية شاملة.

عبد الحافظ حلمي

عضو المجمع

المراجع

أحمد تيمور ، ١٩٧٠ . "أبو العلاء المعري : نسبه وأخباره، شعره، معتقده" . ط ٢ .
الأنجلو المصرية : القاهرة .

أمين المعلوف ، ١٩٣٢ . "معجم الحيوان" . دار الرائد العربي ، بيروت .
الدّميري ، كمال الدين محمد بن موسى ، ١٩٦٥ . "حياة الحيوان الكبرى" - الجزء
الأول . دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة .

الدّميري ، كمال الدين محمد بن موسى ، ١٩٦٦ . الجزء الثاني .
رالف ، بكسباوم ، ١٩٦٠ "الحيوانات اللاقارية" . ترجمة : محمود محمد رمضان،
مراجعة : كامل منصور . الأنجلو المصرية ، القاهرة .

عبد الحافظ حلمي محمد ، ١٩٦٤/٦٣ . "ضفدع" ، في : الجزء السابع من "الموسوعة
الذهبية" ، إشراف إبراهيم عبده . سجل العرب ، القاهرة .

عبد الحافظ حلمي محمد ، ١٩٦٤ . "الضفدع" "دائرة معارف الأهرام" . جريدة الأهرام.
القاهرة ، عدد ١٩٦٤/١٠/١٥ .

عبد الحافظ حلمي محمد ، ١٩٦٥ . "الظربان" : دائرة معارف الأهرام ، جريدة الأهرام،
القاهرة ، عدد ١٩٦٥/٥/٢٣ .

الفيروزابادي ، مجد الدين ، ؟ . "القاموس المحيط" ، مجلدان . المكتبة التجارية الكبرى،
القاهرة .

"قاموس الكتاب المقدس" ، ١٩٩٤ . تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن
اللاهوتيين . الطبعة التاسعة . دار الثقافة ، القاهرة .

القزويني ، ذكريا بن محمد ، ١٩٦٥ . "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" . دار
التحرير للطبع والنشر ، القاهرة .

"معجم ألفاظ القرآن الكريم" ، ١٩٨٩ . الجزء الأول (طبعة منقحة) . مجمع اللغة
العربية ، القاهرة .

"المعجم الكبير" ، ١٩٧٠ . الجزء الأول - حرف الهمزة . مجمع اللغة العربية ، القاهرة .

المعجم الكبير ، ١٩٨١ . الجزء الثاني - حرف الباء . مجمع اللغة العربية ، القاهرة.

المعجم الوسيط " ، ١٩٨٥ . جزآن (الطبعة الثالثة) . مجمع اللغة العربية ، القاهرة .

The International Commission on Zoological Nomenclature, 1985.
International Code of Zoological Nomenclature , 3rd ed. International
Trust for Zoological Nomenclature, London.

بين الفصحى والعامية المصرية *

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف

الزملاء الأجلاء :

السيدات والسادة :

اللغة هي المرأة التي تحمل شخصية الأمة وهويتها على مر التاريخ ، إذ تستوعب جميع جوانب حياتها العملية والدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية . وهي تتطور من الزمن صورا مختلفة من التطور على نحو ما تطورت العربية في الجاهلية ، وتفرعت منها لهجات كانت أسماها لدى العرب لهجة قريش حامية دينهم الوثني ، وتأزرت مع الدين عوامل اقتصادية وسياسية جعلتها تسود في الجاهلية جميع لهجات العرب القبلية كما تسود ألسنتهم في الشعر والخطابة. وما هذه اللهجة القرشية إلا الفصحى التي ننطقها اليوم ، وقد نزل بها القرآن الكريم ، فزادها تمكينا في ألسنة العرب وأضفى عليها بياضا رائعا ببلاغته المعجزة. وأخذت منذ الفتوح الإسلامية تكتسح لغات البلدان التي

افتتحها المسلمون شرقا وغربا ببلاغتها الآخذة بمجامع القلوب، واكتسحت الفارسية في إيران، والنبطية والآرامية في العراق، والسريانية واليونانية في الشام والقبطية واليونانية في مصر، والبربرية واللاتينية في المغرب، واللاتينية وفرعها من الرومانية في الأندلس. وكل هذه اللغات قهرتها الفصحى في جميع تلك الأقطار وحلت مكانها في ألسنة سكانها فهم يتكلمون بها ويتخذونها للتعبير بها عن مشاعرهم وعواطفهم وعقولهم وأفكارهم. وأكب العرب - ومعهم الشعوب الإسلامية المستعربة - على وضع العلوم تلبية لدعوة القرآن والحديث النبوي إلى العلم والتعلم ، وأخذت توضع العلوم الإسلامية من تفسير للقرآن وفقه وغيره، وبالمثل العلوم اللغوية من نحو وغيره. ونقلوا إلى الفصحى كل ما لدى الأمم الأجنبية من علوم الكيمياء

* أقيمت هذه المحاضرة في الجلسة التاسعة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق

٣ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م.

إلهية لا تنفصم عراها ، استقرت في
ضمايرهم وضمائر أسلافهم على تعاقب
العصور ، وحدة لها قداسة تستمدّها من
القرآن الكريم الذي أكرم الفصحى باتخاذها
لغته ، وأضفى عليها من جلاله ما جعلها
خالدة بخلوده ، وإنها لعنوان حضارتنا ،
ولسان علومنا وآدابنا، وستظل الأمة العربية
- في مصر وغير مصر - تضمها - كما
ضمتها طوال أربعة عشر قرناً أو تزيد -
إلى قلوبها وأفئذتها ، وستظل تعتزُّ بها في
المستقبل كما اعتزت بها في الماضي ، لأنها
جوهر كياننا القومي العربي الإسلامي ،
جوهر ثابت إلى أبد الآبدين.

وإن العامية المصرية لترمقها في
تجمل، وتتطلع - منذ أوائل القرن الحاضر -

للحاق بها مستعيرة منها كثرة من ألفاظها ،
وهي كثرة ازدادت كلما قطعنا شوطاً من
السنين ، ومن المؤكد أن عاميتنا - الآن في
جيلنا - أقرب إلى الفصحى مما كانت عليه
في الجيل الماضي، وستظل تقترب منها جيلاً
بعد جيل متخطية إليها الفوارق والفواصل
حتى تذوب فيها نهائياً. وإن واجب
وزارات الإعلام في الديار العربية : مصر
وغير مصر أن تتسع في استخدام الفصحى
بجميع وسائلها الإعلامية، وخاصة في
مسلسلاتها الإذاعية والتلفزيونية، وبذلك
تستجيب تلك الوزارات لرغبة عميقة في
نفوس الشعب المصري والشعوب العربية.

شوقي ضيف

نائب رئيس المجمع

الأحزاب فى العشرينيات من القرن الحاضر، وعنيت من حينئذ بشئون الأدب والثقافة ، وأفردت للأدب مجلات أسبوعية وشهرية ، وعنيت مجلة المقتطف منذ ظهورها بالعلوم الغربية. وقد استطاعت الصحف أن تبسط فصيحانا الحديثة إلى أقصى حد ، وأن تقترب بها قرباً شديداً من لغتنا اليومية.

وازدهرت للفصحى الحديثة الخطابة السياسية وما تناولته من مبادئ فى الحريات وحقوق الشعب السياسية على لسان زعمائنا وخطباء الأحزاب الناهيين. ونشأ فى مصر نظام القضاء الحديث ومعه نظام المحامين والمدعين العامين ، ونشأت معهما للفصحى الحديثة الخطابة القضائية ، واشتهر فيها كثير من الخطباء القانونيين ، ونشأت الخطابة الاجتماعية فى النوادى والحفلات العامة.

ولم يكن بمصر فى العصور الوسطى قصص بالفصحى سوى قصص الأنبياء والمقامات ، وهى قصص قصيرة مسجوعة، فلما اطلع المصريون - فى العصر الحديث - على ما فى الآداب الغربية من قصص طويلة أخذوا ينقلون بعضها إلى الفصحى مع محاولة تمصيره ، وأمضوا فى ذلك فترة ، ثم

أخذوا - فى القرن الحاضر - يضعون قصصاً طويلة على غرارها. ونشط وضع هذه القصص مع نهضة الأدبية ، فتكاثر كتاب القصة الاجتماعية والنفسية والتاريخية. وتكثر بجانبها مجموعات الأقاصيص الفصيحة القصيرة ، ويرز فيها وفى القصة الطويلة أسماء كثيرين من القصاص الناهيين.

وبدأنا - منذ أواسط القرن الماضى - بإقامة مسارح على شاكلة المسارح الأوربية وظللنا طويلاً نمثل عليه مسرحيات غربية محصرة ، ثم أخذ كتابنا - فى القرن الحاضر - يؤلفون بالفصحى مسرحيات تراعى أصول الفن المسرحى ، وازدهر هذا الفن منذ الثلاثينيات فى هذا القرن - وكثرت الأعمال المسرحية القيمة التى تُعدُّ بالعشرات، وكثر معها الكتاب المسرحيون البارعون.

وعلى نحو ما حدث لشر الفصحى فى العصر الحديث من نهضة أدبية كبرى كذلك حدثت لشعرها نهضة مماثلة، كان رائدها محمود سامى البارودى الذى رد للشعر المصرى حيويته، وخلصه من أثقال البديع وقبوده، وخلفه حافظ وشوقي

١٠ وشعرهما يفيض بالعواطف الوطنية والدينية والقومية . وتحدث في الشعر المصرى موجة متأثره بالمترع الرومانى الغربى ، وتعقبها موجة ثانية هى موجة شعر التفعيلة المتحرره من الإيقاع المتكامل للشعر العربى . والفصحى فى هاتين النهضتين الكبيرتين لشعر مصر ونثرها حققت لها أعمالا أدبية عظيمة.

واقترنت بالفصحى فى البلدان العربية المختلفة عاميان تفرعت منها متخذة طوابع خاصة فى كل بلد، نشأت من التقاء الفصحى بلغات تلك البلدان المحلية وأوضاعها فى نطق الكلام مما أدخل على ألفاظ الفصحى صوراً مختلفة من التحريف، وأيضاً فإن تلك العاميات لم تكن تعرف الإعراب الذى تتميز به الفصحى ، فأهملتها فيها. وبذلك أصبحت لكل بلد عربى عامية متميزة ، بها بعض ألفاظ استبقتها من لغاتها المحلية الأصلية ، وخاصة أسماء البلدان وبعض المواضع. ولا نعرف بالضبط التاريخ الذى شاعت فيه عامية كل قطر عربى على لسان أهله وشعبه، ومن المؤكد أنها بدأت فى مصر منذ القرن الثالث الهجرى، غير أن أول نصوص وصلتنا منها إنما وصلتنا من

القرن السادس الهجرى، إذ نجد ابن سناء الملك شاعر صلاح الدين يودع كثيراً من نهايات موشحاته أو أقفالها الأخيرة بعض ألفاظ عامية مصرية ، ويكتب أسعد بن ممتى الشاعر الموظف فى دواوين صلاح الدين وخلفائه من أبنائه كتاب " الفاشوش فى حكم قراقوش " محافظ القاهرة لعهد صلاح الدين ، وفيه كتب باللغة الدارجة المصرية مجموعة نواذر ساخرة مضحكة من أحكام قراقوش الدالة على حمقه وعقلته المفرطة.

ونلتقى فى مصر - منذ القرن السابع الهجرى - بسير للبطولة العريضة ، منها سيرة الهلالية ورحيل بنى هلال وبعض القبائل القيسية إلى المغرب فى القرن الخامس ونشوب حروب بينهم وبين المغاربة، ويستولون على بعض مدنها، ويقودهم فى تلك الحروب بطلان عربيلان: أبو زيد الهلالي ودياب بن غانم والأحداث فى السيرة غائمة ، وهى مكتوبة باللغة اليومية شعراً ونثراً ، وتعلق بها الشعب المصرى فى حضره وريفه ، وعاده يلقيها منشداً على ربابة وتسميه العامة الشاعر . وما كتبه مصر بالعامية سيرة سيف بن

ذى يزن وبطولته فى حروبه مع الأحباش فى
أواخر العصر الجاهلى ، وسيرة عننترة ،
وهى ملحمة كبرى للبطولة العربية وفيها
يحارب عنتر كما يسمّى فى السيرة - بجميع
الميادين التى حارب فيها العرب منذ الفتوح
الإسلامية، وتمتد بطولاته وحروبه إلى عصر
الحروب الصليبية وميادينها وإلى إسبانيا
وبعض المدن الأوربية. وتكتب بالعامية
سيرة الظاهر بيبرس سلطان مصر المملوكى
ساحق التتار والصليبيين ، مصورة بطولاته
العظيمة. وكتبت فى عصر المماليك بالعامية
المصرية ألف ليلة وليلة مع إضافة طائفة
كبيرة من القصص المصرية إليها مثل قصه
علاء الدين وعلى الزيق والمصباح العجيب
وحكاية الصعيدي وزوجته الإفرنجية وهى
تصور الصراع بين المسلمين والصليبيين.
وكل من أضافوا القصص المصرية الكثيرة
إلى ألف ليلة وليلة وكذلك كل من كتبوا
سير البطولة والقصص الشعبية السالفة لا
تعرف أسماؤهم لأنهم من أبناء الشعب.
المصرى الذين يقدمون أعمالهم للشعب ،
ولا يهمهم أن تعرف أسماؤهم إذ لا يبتغون
بها شعره ولا ما يشبه الشهرة.

وكانت تمثل بالعامية بعض
مسرّحات هزلية على مسرح خيال الظل ،
وهو مسموح دمي متحركة متحاوره ،
ومن أطرفها مسرحية طيف الخيال التى
كانت تمثل فى عصر السلطان الظاهر
بيبرس، وهى مسرحية شعرية نثرية تعرض
مشكلة الخاطبة - حينئذ - وما كان ينشأ
عنها من أغلاط ومفارقات فى حقائق
الزوجين ، وتكتظ بالهزل والفكاهة
والدعابة. وتكثر الأزجال بمصر منذ القرن
الثامن الهجرى ويشتهر فيها غير زجال.
ونلتقى فى القرن التاسع الهجرى بإمام
واعظ فى أحد المساجد بالقاهرة وكتابه
نزهة النفوس ومضحك العبوس وهو يمجج
بأزجال وأقاصيص ونوادير عامية فكهة.
ويكتب فى العصر العثمانى شيخ واعظ
كتابا عاميا يسميه هز القحوف يصور فيه
ظلم العثمانيين للمصريين فى نوادر لاذعة
لدعا شديدا ونمضى إلى العصر الحديث
ويخرج يعقوب صنوع صحيفته العامية
"أبونضارة" ويصحبها نارا كاويه مملوءة
بالسخرية المرء على الخديوى إسماعيل
وسياسته الحمقاء وعلى الخديوى توفيق
والامتيازات الأجنبية والإنجليز . ويخرج

عبد الله نديم في عهد توفيق صحيفته
"التنكيت والتبكيث" ثم "الأستاذ" ويفرد
فيهما صحفا عامة لمحاورات وأزجال
تعرض عيوبنا الاجتماعية والسلوكية،
والانسياق الشديد نحو الحضارة الأوروبية
بصور ساخرة متهمكة تمكها شديدا.
وتكثر المجلات العامة الهزلية منذ أوائل
القرن الحاضر، وتكتظ بالأزجال والنوادر
والنكت والقفش مثل الأرغول والسيف
والمسامير وخيال الظل، ثم الكشكول
ومجلة الفكاهة، وكان يرأس تحريرها
حسين شفيق المصري مبتدع شخصية
الشاويش شعلان عبد الموجود وابتدع
أبوابا كثيرة فكهة. ويتكاثر الزجالون من
مثل محمود رمزي نظيم وبديع خيرى، وله
تمثيلات عامة فكهة مثلها نجيب الريحاني،
ومن أبدع الزجالين - منذ العشرينيات -
في القرن الحاضر - بيرم التونسي، ولا يزال
زجالون بارعون يطفوننا - اليوم -
بأزجالهم.

وفي القرن الحاضر - وخاصة منذ
منتصفه - يكثر الكتاب الذين يؤثرون
العامة في كتابه قصصهم وأقاصيصهم
وكأنهم يعيدون لنا ذوق أسلافهم في

الحقب الماضية حين اختاروا العامة لكتابة
السير والقصص الشعبية. وينشئ يعقوب
صنوع - لعهد الخديوى إسماعيل مسرحا
بالقاهرة على شاكلة المسارح الأوربية،
وألف له فرقة مثلت عليه بالعامة ما زودها
به من مسرحيات غربية ممصرة. ولم تلبث
الفرق المسرحية السورية واللبنانية أن
وفدت على مصر ومثلت مسرحيات
فرنسية ممصرة كثيرة. ويعنى المصريون منذ
أوائل القرن الحاضر بتأليف الفرق
المسرحية، يأخذون في تأليف مسرحيات
كثيرة، ويزدهر التأليف للمسرح منذ
منتصف القرن الحاضر، ويرى كثيرون من
المؤلفين له أن تكون العامة أداة التعبير في
مسرحياتهم على السنة شخصوها
المختلفين.

ومن حين إلى حين منذ أواخر
القرن الماضي إلى اليوم يدعو بعض
أصحاب العامة إلى استبدالها بالفصحى في
الكتابة الأدبية محتجين بأنها لغة التخاطب
والحديث في الحياة اليومية وأنها ألصق
بالنفوس وأصدق في التعبير عن الخواطر،
وفاتهم أن ذلك إنما يشعر به من لا يتقن
الفصحى ولا يستطيع الإنابة بها عن

نحوالجه، ومن المؤكد أن العامية على الرغم من طواعيتها لنا في الحديث كل الطواعية لا تحمل لنا علما ولا فكرا عميقا ولا نظريات سياسية أو اقتصادية ولا تشريعات وقوانين ولا دراسات سيكولوجية أو اجتماعية ولا دينا وأعمالا روحية، إنها لهجة قلما تحمل لنا أعمالا وراء مطالب الحياة والفكر اليومي ، وفيه إذن هذه الخصومة التي يثيرها في الحين بعد الحين ضد الفصحى بعض كتاب العامية؟ وفيه هذا النضال؟. وأنا موقن أن هذه الخصومة لم تحدث في العصور والحقب السالفة قبل العصر الحديث فلم يحدث أن أحدا ممن كان يكتب الأزجال أو يكتب السير والقصص الشعبية في العصور الوسطى لهج ضد الفصحى مطالبا بأن تحل العامية في أدب أسلافنا محلها ، وبالمثل لم يدع أحد من أصحاب الفصحى ضد العامية وأعمالها، بل كانت دائما الطائفتان مسن الكتاب بسالفصحى والكتاب بالعامية يتعايشان في وئام وسلام. وظل أهل الفصحى إلى عصرنا يرتضون من الكتاب بالعامية ما يكتبونه أزجالا أو أشعارا عامية أو قصصا وأقاصيص أو مسرحيات ، فلم

حريتهم كاملة فيما يكتبون ولا يتعرضون لهم أى تعرض، وكان ينبغي أن يجاريهم من يدعون للكتابة بالعامية فلا يثيرون ضد الفصحى أى خصومة لأنها هي الأم وهى الأقوى بكنوزها الأدبية والعلمية ، وهى التى تملك من أفراد الشعب المصرى - ومن أفراد دعاة العامية أنفسهم فى رأينا - أفئدتهم وعقولهم وقلوبهم ، بدليل نراه تحت أبصارنا ولا يغيب عنا ، وهو أن الصحف التى تخاطب الشعب المصرى - منذ أواسط القرن الماضى إلى اليوم - تتخذ الفصحى أداة فى مخاطبته ، ويقرأها يوميا فى مصر صباح مساء أعداد وفيرة تعد بالملايين.

ويزعم دعاة العامية أن الفصحى وافدة غريبة على مصر ، وهى لغة المصريين منذ ألف وأربعمائة عام ، وليس فى العام كله لغة حيه اليوم أطول حقا تاريخية من تاريخ الفصحى فى مصر ، وهم فى ذلك الزعم كأهم لا يعرفون أن العامية التى يطالبون بأن تحل محل الفصحى هى بنتسها نشأت من ثقافتها بالشعب المصرى الذى لم يكن يعرف الإعراب فى لغة الديموثيقية الشعبية القديمة ، ودخلتسها تحريفات فى قواعدها ولحق بعض حروفها بسبب سلبية

المصريين الموروثة وبسبب لهجات بعض القبائل النجدية التي استوطنت مصر ، وهي بذلك لهجة عربية أحدث من الفصحى تداولها على ألسنة المصريين.

ويقول أصحاب الدعوى إلى العامية إن التمسك بالفصحى يؤول بنا إلى أن تكون لنا دائما ازدواجية أو ثنائية في اللغة التي نستخدمها ، وينبغي أن نكتفى باللغة اليسيرة السلسة وهي العامية الخالية من الإعراب ومشكلاته ، والتي لا تحتاج معها إلى تعلم ، والتي يجيدها أفراد الشعب سليقة وطبعا ، والتي نستطيع أن نصور بها كل ما يجرى في نفوسنا وخواتمنا دون أى مشقة ، والتي يستعملها أفراد الشعب ويتفاعلون معها مباشرة.

والقول بأن وجود العامية مع الفصحى عندنا يحدث ازدواجية لغوية أو ثنائية قول من لا يعرفون أن اللغات العالمية قديما وحديثا كانت فيها ولا تزال هذه الثنائية ، فقديمًا كان للغة اللاتينية في إيطاليا التي كتب بها فرجيل وسنيكا وشيشرون لهجة عامية يتخاطب بها أفراد الشعب في روما ، وحديثا كان راسين وكورني وموليير وفيكتور هيغو يكتبون أعمالهم

بالفرنسية الأدبية لا باللهجات الفرنسية السوقية ، تماما مثل أدبائنا حين يرتفعون عن العامية ويكتبون بالفصحى.

وأما ما يقولونه من أن العامية لا تحتاج إلى تعلم مثل الفصحى ، وأنها تعيش في الأفواه والأسماع دون الفصحى التي تحتاج معها إلى الدرس والتعلم ، فهو قول غير دقيق لأن كل اللغات الحية يدرسها أبناؤها ويتعلمونها تعلمًا صحيحًا ، ويتذوقون أدبها. وأيضًا فاقم أن الفصحى تمرنت طوال أربعة عشر قرنًا على أداء الأفكار ، وأنه لم تستعص يوما على أداء فكرة علمية أو فلسفية ، وقد اتسع مجالها واتسعت ليونة ألفاظها وأساليبها على أيدي كبار كتابنا وشعرائنا طوال العصر الحديث ، سوى ما أحدثته الصخف فيها منذ أواسط القرن الماضي حتى جعلتها اليوم تقترب قربا شديدا من لغتنا الدارجة اليومية.

ويقول دعاة العامية إن الفن يقوم على محاكاة الواقع ، ومحاكاته في الأزجال والقصص وحوار المسرحيات إنما يتم - بدقة - عن طريق التعبير بالعامية التي تحاكي الواقع في المجتمع المصري محاكاة تامة في أحاديث أهله . والقول بأن المحاكاة

في الأدب تستلزم أن ينقل الواقع فيه بلغته العامة قول غير صحيح ، لأن المحاكاة في الأدب والفن لا تقتضى دقة النقل فيهما عن الواقع بحيث يكون العمل الفنى أو الأدبى مطابقا له تمام المطابقة ، بل إن اكتمال الدقة في المطابقة فيهما قد يفسدهما، إذا قد يتحولان إلى ما يشبه النقل في التصوير الفوتوغرافى إذ هذا النقل الآلى لا يعد فنا ، فالفن دائما تحرير في الواقع على نحو ما يعرف في لوحات الرسامين وألحان الموسيقيين، لأن الفنان دائما - ومثله الأديب - لا ينقل الواقع نقلا أصم وإنما يستوعبه ويتمثل روحه ويضفى عليه من خياله وذهنه ما نتمثله به ونجد فيه متاع فنيا أو أدبيا ، وكأنما يرفع عنه حجابا كان يغلقه ويستره عن أبصار الناس العاديين ، والفنان بذلك - ومثله الأديب - كأنما يصنع الواقع من جديد. ليس عمل الأديب - إذن - نقل الواقع وإنما صناعته صناعة جديدة ، تحاكيه بصورة أقوى ، وما قوتها إلا ما يضيفه إليها الأديب من مخيلته وفكره وأدواته الأدبية ، فالزجال - مثلا - حين يحاول نقل واقع شعورى أو حدث اجتماعى يبرزه في عبارات سائغة موقعه

بنغم يؤثر به في قارئه بحيث يصبح عملا فنيا تاما ، ومثله الوشاح صانع الموشحات، غير أنه يتفوق عليه من حيث الفن الخالص، لأنه ينظم موشحه بالفصحى التى طالما بث فيها الوشاحون والشعراء على مدى أربعة عشر قرنا من السمات والصفات الجمالية ما يعوز الزجل إلى حد كبير. وما يقال في الزجل والموشحة يقال مثله في القصة الفصيحة والعامة ، وقد يُظنُّ أن العامة تستحب في القصة بأكثر من الفصحى ، لأنها تتناول جوانب الحياة فى المجتمع وهى فى تناول الأفواه والشفاه ولا مشقه فيها ولا عُسرَ ، ومن يقولون ذلك يتناسون ما فى القصة الفصيحة من البيان العربى القويم الذى تُصغى إليه القلوب: قلوب المثقفين والعامة جميعا ، وأيضا فليس الأساس فى روعة القصة قائما على اللغة وحدها ، فأهمُّ منها بناء القصة بناءً فنيا محكما بحيث تترابط جزئياته ووحداته ترابطا عضويا بما تعتمد عليه من أحداث مثيرة وحبكة قصصية متقنة ، وهى تختلف من قصَّاص إلى قصَّاص بما يُضفى عليها من ومضات شعوره وفكره. وقد يُظنُّ أن لغة المسرحية تناسبها العامية لا

الفصحى لأنها شفوية مثلها ، أما الفصحى
فلسفة التعبير الكتابي ، والعامية لذلك أكثر
مواءمة للمسرحية، غير أن من ينعم النظر
في فن المسرحية يراها تلتزم قواعد فنية
كثيرة ينبغي توفرها فيها ، كما ينبغي أن
تتوفر فيها الألفاظ الموحية، والفصحى
تتفوق على العامية فيما تحمل من هذه
الألفاظ ، وأيضاً فإن العامية لا نظام لها في
التعبير يجعلها سهلة الانقياد للممثل بينما
الفصحى مذلة لما يحتاجه الممثل من
أوضاع مختلفة في الصياغة.

فقول دعاة العامية بأن الحوار
المسرحي والقصصي ينبغي أن يكتب
بالعامية طلباً لدقة المحاكاة بجانب حقائقهما
الأدبية - وقد نقل إلى الفصحى كبار
الترجمين من المصريين مسرحيات شكسبير
وراسين الشعرية وأعمال القصاص
الفرنسيين والإنجليز وغيرهم من أدباء
الغرب ، وأدوا معانيها وأفكار الشخص
المختلفين فيها بفصحى سديدة أدقها أداء
دقيقاً - وبذلك تسقط دعوى دقة المحاكاة
في العامية بالقياس إليها في الفصحى كما
سقطت الدعوى السابقة.

ويقول دعاة العامية إنها لغة الشعب
بينما الفصحى لغة فئة مثقفة محدودة ،
والعكس هو الصحيح إذ العامية لا تطرد
بصورة واحدة لا في الشعب المصري ولا
في غيره من الشعوب العربية ، وفي مصر
عاميتان كبيرتان : عامية صعيدية لأهل
الصعيد ، وعامية بحرية لأهل الدلتا ،
وللمدن المصرية عامية تختلف كثيراً أو قليلاً
عن عامية أهل الريف ، وللقاهرة عامية
تختلف عن عامية أهل الإسكندرية ، بينما
كل أهل العاميات في مصر تتخذ الفصحى
لغة لها لا في التعليم والثقافة فحسب ، بل
في جميع شؤونها الدينية وفيما تقرأ من
الصحف اليومية ، فهي اللغة الجديرة بأن
تسمى لغة الشعب المصري لا العامية
المحصورة في فئة محدودة تستخدمها أزجالاً
أو قصصاً وأقاصيص أو تمثيلات مسرحية.
ومن المؤكد أن كل ما ينتجه
أدباؤنا في العامية أدب محلي لا يعدو
انتشاره أسوار مصر، إذ لكل بلد عسري
عاميته بحيث لا يفهم الشامى ولا العراقي
ولا المغربي فهما واضحاً ما يكتب بالعامية
المصرية ، بينما كل ما ينتجه أدباؤنا
الفصحى أدب عربي يخرق هذه الأسوار

إلى البلدان العربية منتشرا فيها من الخليج إلى المحيط ببيان واضح تمام الوضوح، ولو كان أدباؤنا الكبار اصطنعوا العامة فيما كتبوا من آثار لأعرض الناس من الشرق الأوسط جميعه عن قراءتهم ، ولما أقبلوا هذا الإقبال العظيم على اقتناء أعمالهم نثرا وشعرا ، ولما حظيت مصر بزعامتها الأدبية بين البلاد العربية ، كما تحظى بها اليوم وهي زعامة تتبوؤها طوال العصر الحديث، ولن تنتحى عنها في أدبها ، لأن أدباء العامة لا تعنيهم هذه الزعامة وهمهم في شيء ، بل ستظل - بكل ما تستطيع - تحافظ عليها بفضل الفصحى وما ينتجه أدباؤنا الأفاضل فيها من أعمال أدبيه قيمة.

وإن في تمسك أدبائنا الكبار وصحافتنا بالفصحى التي تجمع بيننا وبين البلاد العربية في لسان عربي واحد لشعورا قويا بأننا جميعا أسرة واحدة وهي أسرة في حاجة إلى التعاون في مضمار المصالح والمنافع وما قد يلم بنا من أحداث وعطوب. وإن شعب مصر والشعوب العربية اليوم لفي حاجة قصوى لتوثيق هذه الرابطة اللغوية حتى تحسب الدول الغربية في عصرنا حسابهم ، وقد أصبح واضحا أن

الدول الغربية لا تعيش اليوم منعزلة بعضها عن بعض ، إذ تجمع شملها في تكتلات على فكر اقتصادي أو سياسي واحد، على نحو ما نرى من تكتل الدول الأوربية في السوق الأوربية المشتركة، وفي اتحاد التعاون الأوربي، وتكتلها مع أمريكا في حلف الأطلسي. ومن المؤكد أن تكتل مصر والدول العربية في لسان عربي واحد من شأنه أن يجعلهم قوة متحدة كبرى في مضمار السياسة العالمية، ولنا عبره بالوحدة اللغوية بين إنجلترا والولايات المتحدة، فإن الرابطة اللسانية بينهما هي التي جعلت الولايات المتحدة في القرن الحاضر تدخل في الحربين العالميتين اللتين اشتعلتا فيه ضد ألمانيا لحماية إنجلترا شقيقتها الناطقة بلغتها. وفي ذلك ما يصور بقوه حاجة مصر وشقيقتها العربية إلى التمسك بالفصحى حتى تحميها في معارك السياسة وتنازع البقاء.

أيها السادة :

إن الفصحى أوثق الروابط التي تربط أبناء الأمة العربية مصريين وعربين مصريين في جميع بقاع الأرض شسرقا وغربا، وإلما لتجمعهم في وحدة روحية

مخطوطة فريدة مجهولة

للأستاذ الكبير فهمي المدرس(*)

للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين

فهمي المدرس وبخط يده ، أراد جمع شعره مرة واحدة ولكن ظروفه لم تسمح له بذلك ، لأنني وجدت بعض القصائد في أوراق متفرقة معها لم يدونها فيها.. من هذه القصائد قصيدة عنوانها ((في مدح صاحب السماحة والسيادة السيد داود أفندي قادري زاده)) منها:

برزت بمنظرها البهي الأنور

ورنت بطرف ناعس متكسر

كشفت نقاب الحسن عن وجنتها

ومشت بفرط دلالها بتبخر

وهي قصيدة أقرب إلى شعر القرن

التاسع عشر أسلوباً ومعنى .. أو من شعر

عبد الغفار الأخرس .. وقصيدة أخرى

نظمها إبان معركة السفور والحجاب التي

ثارت عندما أصدر قاسم أمين كتابه

((تحرير المرأة)) ولكنه لم يتخذ موقفاً

واضحاً إنما جاء برأي جديد هو الدعوة إلى

نبذ أمية الرجل قبل البحث في سفور المرأة لأن تعليم الرجل الأمي أولى من سفور المرأة ، ووقع هذه القصيدة بتوقيع (بنت فهر)^(١).

وصف المخطوطة:

كتبت على ورق صقيل ودفتر ممتاز مجلد سميك مبطن. طول المخطوطة ١٩ سم، وعرضها ١١,٥ سم. ولصغر حجم المخطوطة كتب كل شطر في سطر واحد ، وأكثر الصفحات فيها ١٦ سطراً. المدرس:

كان (١٩٤٤م) سياسياً مشهوراً وتربوياً معروفاً. ولم يعرف عنه أنه شاعر، كان رئيس أمناء بلاط الملك فيصل الأول^(٢) ، وأصبح مديراً عاماً للمعارف وأول أمين لمشروع جامعة حديثة في العراق.

في المخطوطة اتجاه واضح في ذم الاتحاد والترقي الذي قام بالانقلاب العثماني

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة العاشرة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٤ من ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٤ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م.

(١) الحديث عن السفور والحجاب موجود في كتابي ((الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية)).

(٢) عين في ٣١ آب ١٩٣١ م.

وأعلن الدستور سنة ١٩٠٨م وغير الاتجاه
الإسلامي إلى القومية الطورانية ومحاربة
الإسلام والعرب بعنف .

في العراق:

بعد سقوط الدولة العثمانية ذهب
إلى دمشق لبناء الدولة العربية الجديدة التي
شكلت برئاسة الملك فيصل، ولكنها
أسقطت بيد الجنرال (غورو).

وكان المدرس في باريس مع الوفد السوري
للدفاع عن حق العرب وبقي فيها، وأخذ
يجمع شعره فيها ... ثم عاد إلى العراق ،
وعين في بلاط الملك فيصل ورأى العراق
تحت سيطرة الإنكليز ، واختلف معهم
فأبعد عن البلاط . أحس بنفسه أثر معاهدة
"سايكس بيكو" في تمزيق الدولة العثمانية
والعرب .. وأحس بوطأة الاستعمار
على بلده فلم يرض عن الحكم البريطاني.

محتويات المخطوطة:

بدأ جمع شعره في باريس وأرخ
بعض هذه القصائد ، وحوث المخطوطة
سبع قصائد، وأول قصيدة هاجم فيها
العهد الطوراني مطلعها:

سارت تؤم سراة القوم مرقال

أدماد دلعة ضاقت بها الحال

وعدد أبياتها ١٨٢ بيتاً. أما القصيدة الثانية
فمطلعها:

جَسْرٌ حسامك واركب هامة الخطر

واضرب رقاب العدا إن كنت من مضر
وترك خمس صفحات بيضاء وكتب
القصيدة الثالثة ومطلعها:

يا أنجما في سماء العلم قد طلعت

لنشر نور على الآفاق في الظلم
وعدد أبياتها ١٢٧ ، ثم قطع خمس
ورقات وترك ثلاث صفحات بيضاء على
صفحة منها بالقلم الرصاص:

يا بنت باريس تنحى واذهي

عني وكُفِّي يا فتاة ملامي
ولكن القصيدة لا وجود لها في
المخطوطة ويظهر أنها قصيدة غزلية أتلّفها
فيما أتلّف من شعره. ووجدت في بقايا
الصفحات المتطوعة (وأبيت ليلي لا) وكلمة
(ألا تفوزا) وقطع أربع ورقات وترك صفحة
بيضاء وكتب القصيدة الرابعة وعنوانها (من
المستنصرية إلى صوريون) ومطلعها:

سلام على ربع العلوم وأهله

سلام على عهد الولاء يجدد
وعدد أبياتها ٢٢ بيتاً وترك ٧
ورقات وصفحة واحدة وكتب قصيدة بلا

عنوان، لكنه كتب في أعلاها ((١٩٢٠-
مارس (Paris 14 Rue Lalo) ، وفي
السطر التالي "تليت بمحضر سادات العرب
في باريس قبل الاستقلال في الشام" ،
ومطلعها:

حَيُّ الطلول الدارسات دهورا

وَقَفَنُ قُلُوصِكَ عندها والعيرا

وعدد أبياتها ٤٦ بيتاً وهي القصيدة

الخامسة ، ثم قطع ثلاث ورقات وترك

ورقة بيضاء ، وكتب القصيدة السادسة ولم

يضع لها عنواناً، ولكنه أثبت عنوانه في

باريس وكتب في أعلا القصيدة "بمحضر

جماعة من العرب في دار المدرس في باريس

١٥ مارس ١٩٢٠" ومطلع القصيدة:

جاء البشير وولت الأعداء

قوموا سراعا أيها الشهداء

ويظهر أنه كتبها بعد سقوط الاتحاد

والترقي ، وعدد أبياتها ٣٢. ثم ترك بعض

الأوراق البيضاء وبذلك نظم ثلاث قصائد

في شهر واحد في ١ و ١٠ و ١٥ من شهر

مارس وكتب اسم الشهر مرتين (مارس)

ومرة واحدة (مارت).

أما القصيدة السابعة فقد جاءت

بعد أن ترك صفحة واحدة ودون عنوانه في

أعلاها وهو ((باريس سه ن كلو - البيت
الأزرق ١٠ مارس ١٩٢٠) ومطلع
القصيدة:

طاب النسيم وطاب الأرواح

فخذى العقول وصفقى يا رياح

وعدد أبياتها ١٣ بيتاً وبقي في

الدفت ١٧ ورقة بيضاء.

والخلاصة المخطوطة حوت سبع

قصائد: وإذا جمعنا عدد الأبيات فتكون:

١٨٤، ١٢٧، ٣٨، ٢٢، ٤٦، ٣٢، ١٣ = ٤٦٢

وإذا أضفنا إلى المخطوطة القصائد التي لم

يدونها الشاعر فيها وهي:

١- إن يكن في الفتاة ما تدعيه. وعدد

أبياتها ١٢

٢- إن يكن في الفتاة يا شيخ نقص. وعدد

أبياتها ٣٢

٣- ماذا يحاول من يعادى المعهدا. وعدد

أبياتها ٨٧

٤- هو الموت لا يبقى من الناس باقيا. وعدد

أبياتها ١٨٨

٥- برزت بمنظرها البهى الأنور. وعدد

أبياتها ٥٥

وعدد الأبيات التي لم تدون في المخطوطة

تكون ٣٧٤

فيكون مجموع شعر الشاعر في
المخطوطة وخارجها $384 + 374 = 836$.
وهي حصيلة شعرية جيدة بالقياس إلى
بعض المجموعات الشعرية المعاصرة.
أدبه:

كان فهمي المدرس كاتباً بارزاً
وذكياً لامعاً، وإدارياً معروفاً، درس
الأدب الجاهلي في إستانبول في الجامعة،
باللغة التركية^(*)، وطبع هذه الكتاب وبقي
طلابه يحتفظون بنسخ منه. كان شديد
الاعتزاز بالعرب والإسلام وأشاد بهم
وبمواقفهم وانتصاراتهم في الجاهلية
والإسلام. وشاهد تدهور الخلافة العثمانية،
وحكم الاتحاد والترقي، وتأسيس دولة
عربية في الشام، ورأى كيف أجهضت
معاهدة سايكس - بيكو السرية أحلام
العرب عندما زحف الجنرال غورو على
دمشق وسحق الجيش العربي في واقعة
ميسلون.

وكثر في شعره أسماء الشعراء
العرب والقادة والأماكن التي وردت في
تاريخ العرب مثل امرئ القيس وعمرو بن
كلثوم وعنترة وقُصَّ بن ساعدة وذو يزن
وقحطان، والخورنق والسدير، وكيف كان

(*) تاريخ أدبيات عربية الآستانة.

المسلمون يحكمون العالم وأصبحوا اليوم
شعوباً وقبائل وأممًا تتحارب وتتقاتل، فأراد
أن يحث العرب على النظر إلى تراثهم
ويعث الثقة والعزيمة بذكر تاريخهم، فذكر
موقعة ذي قار، وخسارة الأحباش في
الاستيلاء على مكة المكرمة، وذكر علاقة
هارون الرشيد بشارلمان، وتقديم العلوم
والفنون والآداب عند العرب والمسلمين
وعدل الإسلام في قصة جبلة بن الأيهم
وعدل عمر بن الخطاب في قصة القبطي.
كما أشار إلى الأماكن التي وصلها الإسلام
لهداية الناس، مثل جيحون والوادي الكبير
وهمدان وهرات وقسطل وشريش وقرطبة
ونيسابور، وذكر حرية الرأي في حكاية
الأعرابي مع عمر بن الخطاب، وقوة الدين
الإسلامي عندما قيل: لو وجدنا فيك
اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا، وجواب
الخليفة الذي حمد الله على أن يجد من يقوم
اعوجاجه.

إنها إشارات يعرفها التاريخ الإسلامي،
أراد أن يبعث الثقة بالنفوس الحائرة والجيل
المغترب المضطرب الحائر فقال:
سادت بكم أمة سادت مفاخرها
على المفاخر من عادٍ إلى إرم

سادت بكم أمة في العلم دان لها
أولو الفصاحة والآداب والحكم

سادت بكم أمة والله ما خضعت
للضيم يوماً ولا ذلت لدى عظم

قوم هم شيدوا للمجد منزلة
قبل النبوات في عهد وفي قدم

أراد الأديب أن يذكر العرب المتنـاحرين
والمتمزقين بالعرب الذين كانوا كتلة واحدة

يلفها الإيمان والحب، وقد اعتصموا بجبل
الله في ظل مساواة الإسلام وعدله بالافتداء

بالرسول الكريم وهدى القرآن فقال:
هذا محمد خير الخلق من مضر

هدى المفاخر هدى غاية النعم
فالله يحكم والقرآن شاهدنا

والدين يعدل بالأحكام للأمم
وإن من ينكر الآيات ساطعة

فعينه عميت والأذن في صمم
والرجل أستاذ يرى للعلم المترلة

الأولى على أن يقوم على التراث الأصيل
والجد والإخلاص.

وجدّدوا لقدم العلم مثزلة
وشمروا شمروا عن ساعد الهمم

واستنجدوا العلم في ايقاظ قومكم
فغاية الجهل مهواة إلى العدم

وفي هذه الفترة كان العربي والمسلم
والشرقي يحسون إحساساً واحداً مترابطاً

فلم تكن الحدود قد وضعت والإقليمية قد
غرست وجوازات قد طبعت، فكل مثقف

يرى وحدة الشرق والعرب والإسلام تضم
الجميع، فقد كان الشرق والعروبة

والإسلام في اتحاد وقوة فقال شوقي:
إن العروبة لفظ إن نطقت به

فالشرق معناه والإسلام والضاد
وكان همّ العرب وحدة الجزيرة

العربية بما فيها العراق والشام ومصر،
لذلك فعندما تحل بمصر مشكلة أو بأية

قطعة من الوطن العربي نرى كل العرب
يحسون بها، فقال الشاعر يخاطب مصر:

لاتخشين يامصر كيذا للعدا
إن ضلت الآراء والأهواء

يامصر لست عن البلاد وأهلها
ببعيدة إن حانت الشحنةاء

ونجد ذلك الفكر الشرقي العربي
الإسلامي عندما يقول:

لبنان منى والبقاع وصورها
وطنى وعندى كلها زوراء

لا فرق بين حجازنا وشامنا
جسد يثن وكلنا أعضاء

إنه عصر كان الفرنسيون في الشلم
والإنكليز في العراق ومصر، والطيحان في
ليبيا.

الاتحاد والترقي :

لا أريد الحديث عين مؤامرة العرب
والصهاينة ضد الدولة العثمانية، ولحلح
السلطان عبد الحميد، فقد ذكرها التاريخ
وكان نتيجة المؤامرة ، سيطرة الاتحاد
والترقي، وتمزيق الدولة وتحولها من دولة
مسلمة إلى دولة طورانية جعلت القومية
التركية فوق كل شيء، ونسبت كل
الشعوب وعادتها، وجعلت أنصارها في
الوظائف الكبيرة من الجهلة والأميين ..
وبدلت مظاهر الدين الإسلامي وغير
رجال الاتحاد والترقي أسماءهم العربية إلى
أسماء طورانية ، مثل جنكيز وتيمور
وأرطغرل وتركوا الأسماء العربية مثل محمد
وعليّ والحسن وسعد وعمر والعباس
وأخذوا يحكمون بما تشاء أهواؤهم بلا
شرع يردعهم، أو لا قانون يوجههم، حتى
الدستور الذي أعلنوه أهملوه فكان الحاكم
كما قال:

فحاكم الشعب زنديق وحارسه

مضلل وأمين الملك دجال

يسدّ خرقاً بخرقٍ وهو راقعه
كما إذا سد وجه الشمس غربال
من ذا يقوم بأعباء العباد ومن

يحمي البلاد ومن للخطب يحتال؟
فالمدرس وضع النقاط على الحروف
بعد أن رأى إصبع الغرب في كل ما يحدث
للدولة العثمانية ... من ضياع للمثل
والأخلاق والمعايير ... فقد عبث الاتحاد
والترقي بالدولة، لضيق الفكر والمكتسب
الفردى، وتآلم عندما رأى الجهلة يحكمون
البلد فقال:

أعرش هارون يعلوه علي سفه

من آل جنكيز أوغاد وأدغال؟
أف لتاج علا هاماً مضللة

من بعد هام عليها الحكم ينهال
الإنسانية في شعره:

وفي قصائده الإنسانية الرائعة تختلط
بالمشاعر العربية والإسلامية :.. إذ أن
الاتحاديين لم يكتفوا بالحكم، بل أخذوا
بافتك العرب وشنقوا جماعة في دمشق
وبيروت بعد محاكمة عسكرية صورية في
عالية .. وكان هذا الفكر المحدود المتعصب
سبباً في ضياع الدولة وتمزقها .. وندامة
هؤلاء من حيث لا ينفع الندم، وقتلهم في

كل مكان حلوا فيه لاسيما القيادة الذين
قاموا بالانقلاب، ورأى المدرس هذه النهاية
وهو في باريس فقال:

زال العدا ثم زال الملك واندرسوا

وهم علي الرغم أحياء وما زالوا
أجل إنهم (أحياء عند ربهم يرزقون)...

العراق:

وقد فتك الاتحاديون في العراق
وأخذوا النساء والأطفال إلى الأنسا ضول ،
فتركوا في كل بيت رنة حزن وصوت
عويل وأسى عميقا، وتحول العراق جنة
الأرض إلى أطلال وخرائب فقال:

إن الجنان التي كانت تُظللّه

أضحت هشيما فلا ظل ولا ضال
كم قتلوا سادة واستخفروا أهما

فويل لهم معشر للنمجد قتال

الشريف حسين:

إن ما حاق بالدولة العثمانية من
أعمال الاتحاد والترقي ترك أثرا عميقا في
نفوس العرب، وكان من جراء ذلك ثورة
الشريف حسين في التاسع من شعبان،
وكان المدرس قد آله تخريب الاتحاديين
ورأى في الشريف حسين وسيلة إنقاذ
فانضم إليه وناصره ومدحه.

الحرية وباريس:

إن الظلم الذي سيطر على الدولة
من حكم الاتحاديين وغيثهم في مقدرات
الناس كان واضحا أصاب كل عربي، ولم
قارن المدرس حالة هؤلاء بالحالة العامة في
باريس وجد البون شاسعا، فقد وجد حرية
التنقل والخطابة والصحافة في فرنسه حرة
ككل الحرية، لا يخاف زائر الليل ولا مراقبة
الأمن ولا تدخل الشرطة، لهذا فباريس جنة
الحرية ، القانون هو المسيطر لا سطوة
حاكم ولا رأى سلطان عليه فقال:

تعالوا تعالوا إن باريس معبد

به الناس أحرار به الحق يقصد

ولن تحرر الشعوب إلا بالثورة ولن تحصل
على الحرية إلا بالقوة فقال:

إن الحقوق تمردت إلا على

من جرد العضب الصقيل وجددا

لاتدل إلا بالسيوف أدلة

فالحق في حد السيوف تولدا

تأسيس الجامعة:

أراد المدرس أن يحقق حلمه أستاذ
بتأسيس جامعة حديثة علي غرار جامعات
أوربا التي زارها، مثل كمبردج وأكسفورد
وباريس (السوربون) لأنه آمن بأن الأمة لن

تتطور إلا... بالعلم ... كان واسع الأحلام
سبق عصره .. لكن قوبل بمعارضة شديدة
وأخفق المشروع برغم الإعداد له ، وبناء
أول بناية له وتخطيط جميع مرافقها، لهذا تألم
الشاعر فقال:

يا غافلاً مما يراد به أفقُ

من غمرة السكرات فالحادى حدا

ومنها

يا شرقُ جدّد ما استطعتْ، على الذى

ضاق الخناق عليه أن يتهدا

وبكى تدم آماله فى رفع مستوى أمته، لأن

العلم هو الذى رفع من قدرة الغرب الذى

أخذ حضارته من العرب فقال:

لو كان للدمع الخلود مُقدّراً

لأُقيمتُ منه نائحاً ومُعَدّدا

مجد طواه الدهر مجداً شامخاً

لله طودٌ صار يوماً فدفا

وتلفت يمنة ويسرة فرأى ما حاق بالأمة من

تناذل وتمزق، وقارنه بعهد الرسول الكريم

فاستنجد به فقال:

أحمدُ أدركُ بطانة أمة

لولاك ما بسطتْ على الدنيا يدا

جار الزمان وما وعوا وتفرقوا

شيعةً، فعاد عليهم فاستعبدا

لم يبق للعربى مأوى آمن

يأوى إليه مُتَّهماً أو مُنَجِّدا

لله ذلك العربى الضائع التائه الذى

لا يجد له مكاناً يحتمى به أو مأوى يلسوذ

به، ما أشد قساوة الأيام عليه!

الحجاب والسفور:

ومن الأمور التى جاءت فى

المخطوطة معركة السفور والحجاب التى

ظهرت فى مصر عندما نشر قاسم أمين

كتابه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) وتأثر

بها كتاب العراق، ودارت معارك فى

الجرائد والمجلات بين مناصر ورافض،

ولكن المدرس وقف موقفاً جديداً .. فلم

يناصر السفور أو يقف مع الحجاب، إنما

عالج المشكلة العامة التى سيطرت على

الشعب كله، إنها مشكلة التأخر العقلى،

والأمية التى رانت على الرجال، أراد أن

يتعلم الشعب قبل أن يبحث فى قضية

الحجاب والسفور التى ليست ضرورية فى

هذه الفترة، فقال للأدباء والأولياء:

أصلح الشعبَ إن أردتَ صلاحاً

كل قوم صلاحهم نفسى

ما يُفيد الحجاب عبداً رقيقاً

ذلتهم أكفهم والعصى

ولعاه يرد على الزهاوى الذى نشر
قصيدة قال فيها:

مزقنى يا ابنة العراق الحجابا

واسفرى فالحياة تبقى انقلابا

فن الشاعر:

يمتاز شعر الشاعر بجزالة الأسلوب وقوة
النسج، متأثراً بالشعر الجاهلى والحياة العربية
فيه، وبعض الآثار من الشعر العباسى
والعصر الأموى، لكن السمات البدوية فى
الصحراء هى الغالبة، فقد وصف الناقة بأنها
أدماء، وسرداحة، لأنه درس الأدب
الجاهلى فترة طويلة .. إضافة إلى أن عصره
لم يكن قد انتشرت فيه المواصلات الحديثة،
حتى انه نقل كتبه بعد سقوط الدولة العربية
فى الشام على أربعة جمال إلى بغداد وأخذ
الجمال منه (١٦٠ ليرة ذهبية). ومن تأثره
بالعصر الجاهلى قال:

سارت تؤم سراً القوم مرقالُ

أدماء دلعة ضاقت بها الحالُ

القرآن الكريم:

ويظهر أثر القرآن الكريم فى شعره

بوضوح فقال:

هَذَا بِلَاغٍ بِهِ ذِكْرِي وَتَبْصَرَةُ

وَحَسْبُ ذَا اللَّبِّ تَفْصِيلٌ وَإِجْمَالُ

الجديد:

ووجدته متأثراً بالكلمات الحديثة

التي كانت تنتشر فى المتكطف والمقطم
والهلال، فأدخلها فى شعره، مثل "الأثير
والإكسير والسيارات والدستور والنجوم".

وهى كلمات شاعت مع الفكر الجديد
الذى جاء من الترجمة عن الغرب.

المحسنات اللفظية:

وفى شعره بعض المحسنات اللفظية
التي جاءت عفواً خاطر مثل قوله.

أعرش هارون يعلوه على سفه

من آل جنكيز أوغاد وأدغال

وقوله:

داروا على دارا فحلوا ملكه

واستورثوا الكلدان والآشورا

صوره الشعرية:

وله صور شعرية جميلة منها:

عجبتُ أن تحمل الأطواد شامخة

والأرض مادت بهم ترتجُ فى دعرٍ

ومنها:

عجبت للظلم نيران مسعرة

كيف استويت ولم تندكُ من دعرٍ

عليك أفدة طارت محلقة

تنوح كالورق إذا ناحت على الشجر

وأخيراً برغم الإيذاء والظلم الذى
أصابه من بنى وطنه كان رقيق الخلق، جميل
الشمائل، فقد فضل أهله وأرضه على كل
أرض وبلاده على كل بلد زاره، وفاء وحباً
وحنيناً قال:

أحاديث دهر كلهن مصائب

نشرن فلم يخلف لها الدهر طاوياً

أحاديث أوطاني وأهلى وعترتى

وأبناء قومى ثم نفسى وماليا

أحاديث أرض مارضيت بغيرها

مقيلاً ولا عن أرضها كنت ساليا

أحاديث عن وادى الفرات ودجلة

ومن ذا رأى - قل لى بربك - وادياً

التجديد:

والغريب أنى وجدت قصيدة

الزهاوى التى نشرها فى الكلم المنظوم التى

نظمها بغير قافية موحدة عند الشاعر بين

الأوراق التى وجدتها مع المخطوطة، ونُشر

بعضها فى ديوان الزهاوى، وسمى هذا

الشعر بالشعر المرسل، واكتفى بالوزن دون
القافية ومنها هذه القصيدة.

يعيش رخيَّ البال عشر من الورى

وتسعة أعشار الورى بؤساء

أما فى بنى الأرض العريضة قادر

يُخَفِّفُ ويَلاتِ الحياة مقيلاً

إن نقل القصيدة بيده ووضعها مع

أوراقه دليل على اهتمامه بالتجديد.

هذه فكرة عامة عمن المخطوطة

وعسى أن يُتاح لى طبعها، لإعادة ذكرى.

إنسان أراد الخير لوطنه، والتطور والتجديد

لكنه سبق زمانه فجُوزى بالعقوق، ومات

خائفاً فى داره وكم من مخلصين وعباقر

ماتوا فى وطننا دون أن يكثر بهم الوطن؟

إنه التخلف الحضارى الذى ران على الأمم

المتخلفة التى سميت ناميةً تخديراً.

يوسف عز الدين

عضو الجمع المراسل من العراق

توحيد المصطلح العلمي العربي

من طور الهم إلى طور الفعل *

للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط

لم يخرج المرء من طور الهم إلى طور الفعل،
لم يكن لهما هذا أى أثر، وأنا أزعم أننا -
في مجال توحيد المصطلح العلمي العربي -
مازلنا في طور الهم، على كثرة ما عقدناه
من مؤتمرات، وما أصدرناه من قرارات وما
استفقرناه من خلفاء، ولن ينفعنا ولن ينفي
العجز عنا أن يكون ههنا هذا ناشباً في
ضمائرنا، ما لم نتقل به إلى طور "الفعل"
العتيد.

نعم، قد ترى في بعض مبادي
العلم محاولات جادة لهذا التوحيد، ولكنها
ستظل قاصرة إذا لم يتفق على لهج لا حب
يسلكه العلماء العربون كلهم أجمعون،
ترعاه مؤسسة ذات سلطان لغوي جملي
كهذا المجمع الموقر أو اتحاد الجامعات،
وقضية السلطان الجماعي هذه،
قضية تطرقت إليها على هجلي ولمستها
لماً رفاقاً قبل بضعة سنين، يوم تحدثت
في مجمع اللغة العربية الأردني عما أسميته
"نظرية الضرورة العلمية". وأنا عائد إليها

هذا الشعر الجاهلي المعجب، الذي
لم أر - في ما قرأت من شعر الأمم - أقدر
منه على سبر أغوار النفس، ولا أصدق
منه في وصف طبائع الأشياء.. يطيب لي
أن أستشهد منه اليوم بيت للحارث بن
حلزة يشكرى يقول فيه:

إنما العجز أن تهّم ولا تفعل

(م) والهم ناشب في الضمير
فهو - لله دره - يصف في ما يصف،
موقفاً من مواقف النفس البشرية،
يتجسس في طورين اثنين يمر بهما
الإنسان، وتمر بهما الجماعة كذلك، في
النهوض بأمر من الأمور: طور الهم؛
"تهّم"، وطور الفعل: "تفعل"! وقد صح
عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
- في ما رواه أبو داود - أن أصدق الأسماء
حارث وهمام. فالهم صفة لازمة من
أصدق صفات الإنسان، وطور نفسي
لأبد منه استعداداً لطور الفعل، ولكنه
"شرط لازم غير كاف" كما يقولون. فما

* ألقى هذا البحث في الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر المجمع بتاريخ ٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ -

الموافق ٥ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م.

الآن إن شاء الله وإلى " نظرية الضرورة باختصار "، فلكلتيهما شأن كبير في ما نحن بصددّه اليوم.

فقد تواطأ علماء العربية منذ عهد الخليل ، على أن لهذه اللغة الشريفة أصلاً كان عليه بنياؤها. وذلك وجهٌ من أهم أوجه عبقرية الخليل ، وبُعْدٌ رائع من أبعاد ذهنيته الرياضية الفذة ، تلك الأبعاد التي لانكاد نعرف لها مُجْتَمَعَةً نظيراً في عباقرة الأمم جميعاً. وقد كان للخليل - رحمه الله - فضلُ ابتكار هذا التصوُّر الذي تقبَّل ظلاله علماء العربية من بعده. ويُخيَّل إلى أنه بفضل ذهنه الرياضي الفريد ، قد قام بعملية استيفاء راجع مذهِشة ، تابعه فيها سيويه ومن جاء بعده ، وتوصلوا منها إلى صرح جميل كأنه ممرّد من قوارير ، لاترى فيه عوجاً ولا أمتاً ، ولا تُحِسُّ فيه شذوذاً ولا خللاً.

وهذا التصوُّر أشار إليه ابن جني في "الخصائص" [٦٤/١] فقال: "اعلم أن واضع اللغة لما أراد صَوِّغَهَا ، وترتيب أحوالها ، هَجَمَ بفكره على جميعها ، ورأى بعين تصوُّره وجوهَ جملها وتفصيلها ، وعَلِمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ من رَفْضِ ما شَنَعَ تألفه

منها... فتَفَاه عن نفسه ، ولم يُمرِّره بشيء من لفظه...".

وبمثل ذلك قال خَلْقٌ من علماء العربية كثير. وكانوا ينطلقون دائماً من وجود هذا الأصل - الصَّرح ، الذي يتَّصف بالحُسْن والجمال ، بل كادوا يصفونه كذلك بالكمال.

وكان من مكملات تصوُّرهم هذا وجودُ موقفٍ موحدٍ يَقِفُه جميع واضعي اللغة ، حتى عبَّروا عن ذلك - كما صنع ابن جني - بلفظ الواحد: "واضع اللغة". "وذلك لأن العرب وإن كانوا كثيراً مُتَشَبِّهين ، وخالقاً عظيماً في أرض الله غير متَحَجِّرين ولا مُتَضَاغطين ، فإنهم بتجاورهم وتلاقِيهم وتزاوُرهم يَجْرُونَ مَجْرَى الجماعة في دار واحدة...". [الخصائص: ١٥/٢]

وما كان لمثل هذه "الجماعة اللغوية" في نظرهم أن تَرْتَكِبَ خِلَافَ الأولى.. "وكيف كانوا يكونون في ذلك على ضعف من القياس والجماعة عليه؟ أفتُجْمَعُ كافَّةُ اللغات على ضعف ونقص؟...". [الخصائص: ١٥/٢]

.. وذلك أنهم وزنوا حينئذٍ
أحوالهم ، وعرفوا مصاير أمورهم ، فعلموا
أنهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني ،
وأنها لأبد لها من الأسماء والأفعال
والحروف ، فلا عليهم بأيها بدءوا ،
أبالاسم أم بالفعل أم بالحرف ، لأنهم قد
أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بهنَّ جُمع ،
إذا المعاني لا تستغنى عن واحد منهن ! هذا
مذهب أبي علي ، وبه كان يأخذ ويفتي..
[الخصائص: ٣٠/٢]

وذلك أن للأشياء أصولاً كما
يقول المبرد في "المقتضب" [٣٨٣/١].
وقد تبين لهم أن "الأصل" في
الأسماء أن تُنَوَّن وأن تُدْخَلْها حركة الجرّ ،
وأن "الأصل" في الأفعال أن تُبْنَى. فالأفعالُ
- كما يقول سيبويه [٦/١] - أثقل من
الأسماء ، لأن الأسماء هي الأول وهي أشدُّ
تمكُّناً ، فمن ثمَّ لم يلحقها [أي الأفعال]
تنوينٌ ولحقها الجزم والسكون... والأفعالُ
كلُّها - كما يقول أبو سعيد السيرافي
[٤/١] "حقها أن تكون مسكنة الأواخر ،
والأسماءُ كلُّها حقها أن تكون مُعْرَبَةٌ".

ولكن علماء العربية لم يلبثوا أن تبينوا أن
"واضع اللغة" لم يكن من البلادة بحيث
يضع اللغة ويستريح ، وإنما هو "واضعُ

نشيط حرك" لم يعجبه أن يجمد على ما
توصل إليه من ببيان ، وإنما أخذ يُهنِّدُهُ من
هنا ويُشدِّبُهُ من هناك ، حتى يبلغ به غايةَ
الجمال.

"وكان أبو الحسن يذهب إلى أن ما
غُيِّرَ لكثرة استعماله إنما تصوِّرَتْهُ العرب قبل
وضعه ، وعلمت أنه لأبد من كثرة
استعمالها إياه ، فابتدعوا بتغييره ؛ علماً بأن
لأبد من كثرته الداعية إلى تغييره".
[الخصائص: ٣١/٢]

ولعل من أبرز ملامح هذه الظاهرة
أي النحو باللغة منحى الجمال ، ما يُطلقون
عليه طلب الخِفة أو الاستخفاف ، أو النأي
عن الاستثقال.

واستمع إن شئت إلى ابن جني في
الخصائص [١٢٥/١ . ٢٤٩] وهو يحدثك
عن شيخه أبي علي "عن أبي بكر عن أبي
العباس أنه قال: سمعت عُمارة بن عَقِيل
يقرأ "وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ" بالنَّصب. قال
أبو العباس: فقلت له: ما أردت؟ فقال:
أردتُ (سابقُ النَّهارِ) فقلت له: فهلاً قُلْتَهُ؟
فقال: لو قُلْتَهُ لكان أوزن. ففي هذه
الحكاية لنا ثلاثة أغراض مستنبطة منها:
أحدها تصحيح قولنا: إن أصلَ كذا كذا ؛
والآخر قولنا: إنما [أي العرب] فعلت كذا

لكذا ، ألا تراه إنما طلب الخفة؟ يدل عليه قوله: لكان أوزن أى أثقل في النفس وأقوى ، من قولهم: هذا درهم وازن، أى ثقيل له وزن ؛ والثالث أنها [أى العرب] قد تنطق بالشئ: غيره في أنفسها أقوى منه ، لإثارها التخفيف".

"وكان الخليل يجوز خطايا وما أشبهه على قولهم في مِندَرى: مَدَارَى ، وفي صحراء: صَحَارَى لا على الأصل ولكنه يراه للخفة أكثر". [المقتضب: ٢٧٩/١]

"ومن ذلك قولهم: (عَمَبَر) ، أبدلوا النون ميماً في اللفظ وإن كانت الميم أثقل من النون ، فخففت الكلمة ، ولبس قيل (عَمَبَر) بتصحيح النون لكان أثقل". [الخصائص: ٢٠/٣]

ومثل عَمَسِير: "قَمَبَض" و "شَمَبَاء". [المخصص: ٧٣/٢]

"واعلم أن التضعيف مسستقل... وقوم من العرب إذا وقع التضعيف أبدلوا...". [المقتضب: ٣٨١/١]

ومن أمثلة العُدول عن الأصل لوجه الجمال أيضاً أن الكوفيين أجازوا قلب الياء الأصلية واواً ، فأجازوا في تصغير شَيْخ "شَوَيْخاً" كما أجازوا قلب الألف المنقلبة عن ياء واواً ، كما في نَاب و "نَوَيْب"

واستدلوا على ذلك بأنه سُمِع "بَوَيْضَة" تصغيراً لبيضة. وقالوا كذلك "عَوَيْسَة" في تصغير العين. ولا شك في أن الكوفيين قد جَنَحُوا لذلك استخفافاً ، لخفة النطق بالواو بعد الضمة واستثقال النطق بالياء بعدها ، إذ الضمة والسواو أختسان متجانستان، أما الضمة والياء فمتنافرتان.

ومن أمثلة ذلك أنهم "أجازوا الحذف في بعض المواضع استخفافاً" [الخزانة: ١٨/١] ؛ وأنه "إذا كان الحرف لا يتحمل بنفسه ، حتى يدعو إلى اخترامه وحذفه ، كان بأن يضعف عن تحمّل الحركة الزائدة عليه أخرى وأحجى. وذلك نحو قول الله تعالى: "وَاللَّيْلُ إِذَا يَسِيرُ" و "ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ" ، و "الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ" ، وقوله:

... .. وما

قَرَقَرُ قَمَرُ الْوَادِ بِالشَّاهِقِ

وقال الأسود بن يعفر:

* فَالْحَقْتُ أَخْرَاهُمْ طَرِيقَ الْإِهْمُ *

بلا واو للوقوف عليها كذلك...".

[الخصائص: ٢٩٢/٢] "وحُذِفَتْ [أحرف

العلّة] أيضاً استخفافاً ، كما تحذف الحركة

لذلك ... وقال رؤبة:

* وصَّانِي الْعَجَّاجِ فِيمَا وَصَّنِي *

يريد: وصَّاني ، وقال الله عزَّ اسمه:
"وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ" وقد تقدَّم نحو هذا ؛
فنظير حَذَف هذه الحروف للتخفيف
حذف الحركات أيضاً ، في نحو قوله:

* وقد بدا هُنْكَ من المُنْزَرِ *

وقوله:

* فالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ *

وقوله:

* إِذَا اعْوَجَّجْنِ قَلْتُ صَاحِبُ قَوْمِ *

وقوله:

* وَمَنْ يَتَّقْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ *

وقوله:

* أو يرتبطُ بعضَ النفوسِ حِمَامُهَا *

[الخصائص: ٣١٦/٢ ، ٣١٧]

".. ومنه إسكائهم نحو رُسُلٍ ، وَعَجُزٍ ،
وَعَضُدٍ ، وَظَرْفٍ ، وَكَرْمٍ ، وَعِلْمٍ ، وَكَبِدٍ ،
وَعُصْرٍ . واستمرارُ ذلِكَ في المضموم
والمكسور دون المفتوح ، أدلُّ دليل -
بفصلهم بين الفتحة وأختيها - على ذوقِهِمُ
الحركات ، واستثقالهم بعضها واستخفافهم
الآخر . فهل هذا إلا لإنعامهم النظر في هذا
القدر اليسير المحتَقَر من الأصوات ، فكيف
بما فوق من الحروف التَّوَام ، بل الكلمة من
جملة الكلام؟". [الخصائص: ٧٥/١]

ومن ذلك قراءة أبي عمرو بن
العلاء في قوله تعالى: "فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِئِكُمْ"
[البقرة: ٥٤] بإسكان الهمزة في "بَارِئِكُمْ"
ومثلها "يَنْصُرُكُمْ" و "يَجْمَعُكُمْ" و
"أَسْلَحَتْكُمْ" روى ذلك كله بالتسكين.
[الحجة في القراءات السبع لابن خالويه: ٥٤]

وهكذا تبين لعلماء اللغة ، أن ثمة
نزوعاً دائماً إلى الخروج على الأصل، ثم إلى
الخروج على القياس على الأصل ، وتلصق
عملية طبيعية تراولها الجماعة ويؤاويلها
الأفراد ، وتتجلى فيها حيوية اللغة، فإذا
مارستها العربُ جماعةً كانت مقبولةً على
الإطلاق وحلت محل الأصل.. وإذا مارسها
الأفراد مقبولة في بعض الأحوال وأُطْلِقَ
عليها اسم "الضرورة".

وإنما يحدث ذلك بألية يُطلق عليها
الخليل وسيبويه اسم "التشبيه" ، ويطلق
عليها نحاة آخرون اسم "الحمل" ، فكسبان
بنيان العربية نفسه ليس بنيان راكذٍ محامل،
ولكنه بنيان متفاعل حرك. ففيه مستويات
مختلفة من التعبير ، تتوالت بينها الكَلِمُ
استجابةً لسطوة الجمال أو سلطان النغم ،
كتلك المستويات المختلفة من الطاقسة في
نواة الذرة ، تتوالت بينها الذريرات من
جراث سطوبة طاقة خارجية ترتفع بها من

مستوى إلى آخر ، كما أن فيه ساحات كحقول الجاذبية ، تجذب البنى المتشابهة بعضها إلى بعض.

وآلية الجاذبية هذه تراها مثلاً في ما

ذكره ابن جنى عند حديثه عن "ديممة" و "ديم" ... إلى أن قالوا: ديممت السماء ودومت ؛ فأما "دومت" فعلى القياس وأما "ديممت" فلا استمرار القلب في ديممة وديم... إلى أن يقول: "حملته على الإبدال أقوى ؛ ألا ترى أنه قد حكى في مصدره "ذيماً"؟ فهذا مجتذب إلى الياء مدرج إليها ملخوذ به نحوها". [الخصائص: ٣٥٥/١]

واستمع - إن شئت - إلى قول

سيبويه [٩٣/١]: "وقد يشبهون الشيء بالشيء وليس مثله في جميع أحواله ، وسترى ذلك في كلامهم كثيراً". وقوله [١٣٠/١]: "يشبهون الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله ولا قريباً منه ، وقد ذكرنا ذلك في ما مضى وسنذكره أيضاً إن شاء الله".

وقوله [٦/١]: "اعلم أن ما شارع الفعل المضارع من الأسماء في الكلام ووافقه في البناء ، أجرى لفظه مجرى ما يستثقلون ، ومنعوه ما يكون لما يستخفون ؛ فيكون في موضع الجر مهتوحاً: استثقلوه حيث

قارب الفعل في الكلام ووافقه في البناء ، وذلك نحو: "أبيض" و "أسود" و "أصفر" فهذا بناء "أذهب" و "أعلم".

فهذا الذى أسلفناه يبين خروج

الجماعة اللغوية على الأصل لوجه الجمال. ولكن الجماعة اللغوية تخرج على الأصل أيضاً لوجه الدقة العلمية. "وذلك أن العرب كما تُعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها ، بالشعر تارة ، وبالخطب أخرى ، وبالأشجاع التى تلتزمها وتكلف استمرارها ، فإن المعانى أقوى عندها ، وأكرم عليها ، وأفخم قدراً في نفوسها". [الخصائص: ٢١٥/١]

وفي ذلك أيضاً يقول ابن جنى:

"وأما غير هذه الطريق من الحمل على المعنى وترك اللفظ ، كتذكير المؤنث وتأنيث المذكر وإضمار الفاعل لدلالة المعنى عليه ، وإضمار المصدر لدلالة الفعل عليه ، وحذف الحروف ، والأجزاء التوأم ، والجمل ، وغير ذلك ، حملاً عليه وتصوراً له ، وغير ذلك مما يطول ذكره ويُملّ أيسره ، فأمرٌ مُستقرٌ ومذهبٌ غير مستنكر". [الخصائص: ٢٣٧/١]

ويقول في "فصل الحمل على المعنى": "اعلم أن هذا الشَّرْجَ غَوْرٌ من العربية بعيد ، ومذهبٌ نازحٌ فسيح ، قد وَرَدَ به القرآن وفصيحُ الكلام مثَوْرًا ومنظومًا ، كتأنيث المذكر ، وتذكير المؤنث ، وتصوْرُ معنى الواحد في الجماعة ، والجماعة في الواحد ، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول ، أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً ، وغير ذلك مما تراه بإذن الله". [الخصائص: ٤١١/٢]

ومن أمثلة ذلك مسألة "ما" التي تعمل عمل "ليس". قال سيبويه [٢٨/١]: "هذا باب ما أُجْرِيَ مُجْرَى "ليس" في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ، ثم يصير إلى أصله ؛ وذلك الحرف "ما": تقول: "ماعبدُ الله أخاك" و "مازيدٌ منطلقاً". وأما بنو تميم فيُجرونها مُجْرَى "أما" و "هل" وهو القياس ، لأنها ليست بفعل ، وليس "ما" كـ "ليس" ، ولا يكون فيها إضمـلر. وأما أهل الحجاز فيشبهونها بـ "ليس" ، إذ كان معناها كمعناها".

وقال ابن جني "الـلغة التميميَّة في "ما" هي أقوى قياساً وإن كانت الحجازيَّة أسيرَ استعمالاً... فمتى رابك في الحجازيَّة

ريبٌ من تقلب خبر أو نقضِ النقي ، فَرِغْتَ إذ ذاك إلى التميمية ؛ فكأنك من الحجازية على حَرْد ، وإن كَثُرَتْ في النظم والنثر". [الخصائص: ١٢٥/١]

"وسببُ هذه الحمول والإضافات والإلحاقات كثرةُ هذه اللغة وسَعَتُها ، وغَلَبَةُ حاجةِ أهلها إلى التصرُّف فيها ، والتَّرَكُّح في أثنائها لما يلابسونه ويكثرون استعماله من الكلام المشور ، والشعر الموزون ، والخُطْب والسُّجوع ، ولقوَّة إحساسهم في كل شيء شيئاً ، وتخيلهم ما لا يكاد يشعر به من لم يألف مذاهبهم". [الخصائص: ١٢٥/١]

ومن أمثلة ما عدلت به العرب عن الأصل، للفرقة والفصل بين معنى ومعنى ، تصغير الأسود (اللون) على "أَسَيِّد" والأسود (الحيّة) على أَسَيِّود ، وقالوا كذلك في العَلَم "حَيَوَة" تمييزاً عن "الحَيَة" الثعبان ، وقالوا في تصغير عيد "عَيِّد" ولم يقولوا "عَوَيْد" منعاً لالتباس تصغير "عيد" بتصغير "عود".

ومن هذا الضرب في القراءات قراءة أبي عمرو: "وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا"

[الإسراء: ٧٢] بإمالة "أعمى" الأولى ،
"وعلة أبي عمرو في فتحه الثاني أنه اسمٌ في
موضع المصدر ، والأول ليس بمعنى
المصدر، فأمال الأول وفتح الثاني للفرق"
[الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن
أبي طالب]

ومما يغيّر لوجه الجمال تارةً ولوجه الدقة
العلمية تارات: باب النسب.

ففى "اللسان" [ح ر م] عن الأصمعى قال:
"والنَّسَبُ فى الناس إلى الحَرَمِ حِرْمٌ"
بكسر الحاء وسكون الراء ، فإذا كان فى
غير الناس قالوا: ثَوْبٌ حَرَمَى.. وذلك
للفرق الذى يحافظون عليه كثيراً ويعتادونه
فى مثل هذا.

ومثله فى "اللسان" [و أ ب] عن ابن برى:
"المرئىّ منسوب إلى امرئ القيس
على غير قياس ، وكان قياسه مرئىّ على
وزن مرعى" ولكنهم أخرجوه على هذا
الوزن ليفرقوا بينه وبين ما يرى.
وفى الممتع "للنشلى القيروانى"
[١٤٥، ١٤٠]:

"عن أبان بن ثعلب وكان عُربانيًا عن
عكرمة عن ابن عباس إلخ... قوله:
"عُربانيًا" فإن هذه الألف والنون تُزادان فى

النسبة ليفرقوا بين العربىّ اللهجة والعربى
النَّسَب".

وفى "التلخيص" "لأبي هلال العسكري"
[٢٦٩/١]:

"بيتٌ أرْبَعَاوِيٌّ: بُنِيَ على أربع طرائق"
وفى "اللسان" [ب ك ر]:

"وبنو بَكْرٍ فى العرب قبيلتان. إحداها بنو
بكر بن عبد مناف بن كنانة ، والأخرى
ابن وائل بن قاسط ، وإذا نُسِبَ إليهما
قالوا "بَكْرِيٌّ". وأما بنو بكر بن كلاب
فالنسبة إليهم "بكرأويون".

ومثله [ع م ر]:

"العَمْرِيُّ بالفتح نسبة إلى عَمْرٍو.
والعَمْرَوِيَّةُ فرقة من المعتزلة منسوبون إلى
عمرو بن عبيد".

"وقد تشتقُّ العرب من الاسمين اسمًا
واحداً لاجتناب اللبس ، وذلك لكثرة ما
يقع "عبد" فى أسمائهم مضافاً ، فيقولون فى
النسب إلى عبد القيس: عَبْقَسِيٌّ ، وإلى
عبد الدار: عَبْدَرِيٌّ ، وإلى عبد شمس:
عَبْشَمِيٌّ...". [المقتضب: ١٣٣/٣]

ويرى ابن السّيد البطليوسنى فى
"الاقتضاب" [١٥٧] "أن العرب ربّما
حاكت المعنى باللفظ الذى هو عبارة عنه
فى بعض المواضع. ويوجد ذلك تارةً فى

صفة الكلمة وتارةً في إعرائها. فأما في الصفة ، فقولهم للعظيم اللحية: لِحْيَانِي وكان القياس أن يقول لِحْيِي ، وللعظيم الرقبة: رَقَبَانِي والقياس رَقَبِي ، وللعظيم الجُمَّة: الْجُمَّانِي والقياس جُمِّي ، فزادوا في الألفاظ على ما كان ينبغي أن يكون عليه، كما زادت المعاني الواقعة على نظائرها".

ومثل ذلك عند المبرد: "في كثير الشعر: شَعْرَانِي" [المقتضب: ١٤٤/٣] ، وعند ابن سيده في "المخصص": "سَبَلَانِي: ضخم السبلة" [٦٥/١] ، و"رجل كَلَمَلَانِي: جيّد الكلام ، فصيح" [١٢٢/٢] ، و"مَنْظَرَانِي: حَسَنُ الْمَنْظَر" [١٥٤/٢] ، وكذلك "مَخْبِرَانِي" [١٨٠/٤] ، و"سيف هُنْدُوَانِي: منسوب إلى الهند" [٢٥/٦] ، وفي "اللسان" [أ ن ف]: "رجل أَنَافِي: عظيم الأنف ، وعُضَادِي: عظيم العضد ، وأَذَانِي: عظيم الأذن".

ويقول المبرد في "المقتضب" [١٤٥/٣]: "واعلم أن أشياء قد نُسِبَ إليها على غير القياس للبس مرةً ، وللاستثقال أخرى ، وللعلاقة أخرى. والنسب إليها على القياس هو الباب. فمن تلك الأشياء قولهم في النسب إلى زينة: زَبَانِي وإنما

الوجه: زَبْنِي ... ومن ذلك قولهم في النسب إلى الشام واليمن: يَمَانِي يَافَتِي ، وشَامِي يَافَتِي، فجعلوا الألف بدلاً من إحدى الياعين ، والوجه: يَمَنِي وشَامِي. وقللوا في النَّسَب إلى تَهامة: تَهَامِي فاعلم ، ومن أراد العوض غير ، ففتح التاء ، وجعل تَهَامِيَّةً على وزن يَمَن فتقديره: تَهَم فاعلم ، ويقال في النسب إليه تَهَام فاعلم ؛ ففتح التاء تبين لك أن الاسم قد غير عن حذّه".

وقد أنشد أبو العباس المبرد في "الكامل" [٣١٦/١] بيت إسحاق بن خلفٍ في وصف لحية:

كالأنبجاني مصقولاً عواضها

سوداء في لين خد الغادة الرود
"ولم يُنكر ذلك - كما يقول ابن السّيد في "الاقتضاب" [٢٢٢] - وليس في مجيئه مخالفاً للفظ منبج ما يُبطل أن يكون منسوباً إليها ، لأن المنسوب يرد خارجاً عن القياس كثيراً ، كمروزي ورازي ونحو ذلك".

وفي مقابل ذلك روى ابن سيده عن الأصمعي: "كساء منبجاني: منسوب إلى منبج ؛ قال أبو حاتم: فقلت له: لِمَ فتحت الباء وإنما نسبت إلى منبج؟ قال:

خَرَجَ مَخْرَجَ مَنْظَرَانِي وَمَخْبَرَانِي * عَلَى * أَلَا
تَرَى الزِّيَادَةَ فِيهِ وَالنَّسَبَ مِمَّا يَغَيِّرُ لَهُ
الْبِنَاءُ؟! [اللسان: ن ب ج].

"وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ مَرُّ وَعَلَيْهِ
"قُشْبَانِيَّتَان"... وَكَأَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى قُشْبَانَ
جَمَعَ قَشِيبَ خَارِجاً عَنِ الْقِيَاسِ لِأَنَّهُ نَسَبُ
إِلَى الْجَمْعِ. قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ: "كَوْنُهُ مَنْسُوباً
إِلَى الْجَمْعِ غَيْرُ مَرْضِيٍّ، وَلَكِنَّهُ بِنَاءٌ
مُسْتَطَرَفٌ لِلنَّسَبِ، كَالْأَنْبِجَانِي". [اللسان:
ق ش ب]

خلاصة القول أن الجماعة اللغوية
تخرج عن الأصل لوجه الجمال تارة،
ولوجه الدقة العلمية تارة أخرى، أو قل:
عنايةً باللفظ خطرة، ومراعاةً للمعنى
خطرة أخرى. حتى قال ابن السِّيد
البطليوسي في "الاقتضاب" [٢٨١]: "إن
الأصول قد تُرْفَضُ حتى تصيرَ غيرَ مستعملة
، وتُستعمل الفروع ، كرفضهم استعمال
أَيْتَقَ وَقَسِيَّ وأشياءَ وأعيادٍ على الأصل".

فأنت ترى قوة السلطان الجماعي
في الخروج على الأصل ، ومن أجل ذلك
أزعم أننا بحاجة إلى مثل هذا السلطان في
ما نحن بصددده ، وسأعود إلى ذلك - إن
شاء الله - بعد قليل.

ما الذي يحدث الآن عندما يمارس
الأفراد ما مارسته الجماعة؟

إن هذا هو الذي يطلقون عليه اسم
"الضرورة" ، وهي تتجلى في اتجاهين
اثنين: الاتجاه الأول هو الخروج على
الأصل اقتداءً بما فعلته الجماعة اللغوية في
بعض الأحوال ، والاتجاه الثاني هو العودة
إلى الأصل ببعض ما أخرجته الجماعة
اللغوية عن أصله.

يدلُّنا على الاتجاه الأول بعض ما
قال سيويه [٨:١-١٠]: "اعلم أنه يجوز في
الشعر ما لا يجوز في الكلام من صَرَفٍ ما
لا يَنْصَرَفُ: يَشَبَّهُونَهُ بِمَا يَنْصَرَفُ مِنْ
الْأَسْمَاءِ... وَحَذَفَ مَا لَا يُحْذَفُ: يَشَبَّهُونَهُ
بِمَا قَدْ حُذِفَ وَاسْتُعْمِلَ مُحْذَوْفًا... وَرَبَّمَا
مَدَّوَا مِثْلَ مَسَاجِدَ وَمَنَابِرَ... شَبَّهُوهُ بِمَا
جُمِعَ عَلَى غَيْرِ وَاحِدَةٍ فِي الْكَلَامِ... وَمِنْ
الْعَرَبِ مَنْ يَثْقُلُ الْكَلِمَةَ، إِذَا وَقَفَ عَلَيْهَا
وَلَا يَثْقُلُهَا فِي الْوَصْلِ، فَإِذَا كَانَ فِي الشَّعْرِ
فَهُمْ يُجَرِّوْنَهُ فِي الْوَصْلِ عَلَى حَالِهِ فِي
الْوَقْفِ..." إلى أن يقول في شبه قاعدة
[١١/١-١٢]: "وليس شيءٌ يُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ
وَهُمْ يَحَاوِلُونَ بِهِ وَجْهًا".

أما الاتجاه الثاني في مسيرة الضرورة ، فهو اتجاه معاكس لعملية الخروج الجماعية على الأصل: هو ردُّ إلى الأصل أو إجراء عليه ، يصدر عمّا أودعه الله سبحانه في سليقة الشاعر من تراث الجماعة اللغوية ، فيجعله يعود إلى الأصل متهدّياً بهدًى هذه السليقة. فمن كلام الخليل في ما يرويه سيبويه [٥٩/٢]: "كما قالوا حين اضطروا في الشعر فأجروه على الأصل" ومن كلام سيبويه [١٦١/٢]: "واعلم أن الشعراء إذا اضطروا إلى ما يجتمع أهل الحجاز وغيرهم على إدغامه أجروه على الأصل... وهذا في الشعر كثير". ومن كلام المبرد: "الضرورة تُردُّ الأشياء إلى أصولها" [المقتضب: ٣٥٤/٣]. والقاعدة في ذلك كما يضعها المبرد: "ويكفيك من هذا كله ما ذكرت لك من أن الشاعر إذا اضطرَّ ردُّ الأشياء إلى أصولها" [المقتضب: ٢٨٢/١]. وهو قد أمعن في ذلك حتى أجاز في الضرورة الرجوع إلى الأصل مطلقاً وإن لم يردَّ به سماع.

تجد ذلك في مثل قوله:

"إذا اضطر شاعرٌ جازَ له أن يردَّ مبيعاً وجميع بابِه إلى الأصل فيقول:

"مبيوع"... فأما الواو ، فإن ذلك لا يجوز فيها... هذا قول البصريين أجمعين ، ولست أراه ممتنعاً عند الضرورة" [المقتضب: ٢٣٩/١].

"وحكى الفراء عن الكسائي أن بني يربوع وبني عقيل يقولون "حَلَى مصووغ" بواوَيْن ، وثوب مَدُووف ، وثوب مَصُون ، وفرس مقوود ، وقول مقوول. وأما البصريون فلم يعرفوا شيئاً من هذا" [الاقتضاب: ٢٧٥]. والحق أنه ليس قول البصريون أجمعين ، فسيبويه يقول [٣٦٧/٢]: "وقد جاء مفعول على الأصل فهذا أجدر أن يلزمه الأصل قالوا: مخيوط ولا يُستنكر أن تجيء الواو على الأصل".

وأنا لا أفهم من الضرورة الشعرية - كما فهم بعض النحاة - أنها "ماليس للشاعر عنه مندوحة" ، وأنها أمر كراه مستقبح ، يلجأ إليه الشاعر إجماعاً كما يلجأ المضطر في مخمصة إلى أكل المنخقة أو الموقوذة ، ولا أقول مع أبي الفتح: إن العرب قد تلزم الضرورة الشعر في حال السعة أنساً بها واعتياداً لها وإعداداً لذلك عند وقت الحاجة إليها [الخصائص: ٣٠٣/٣] ، وإنما أفهم منها كما فهم

الجمهور - على ما يذكره البغدادى فى
"الخزانة" [١٥/١] - أنها " ما وقع فى الشعر
دون النثر ، سواء كان عنه مندوحة أو
لا" .. بل أفهم منها أكثر من ذلك: أنها -
كالوزن والقافية - مئة امتلاك ناصية
الشعر والتمكّن من التصرف فيه.

ولقد وهم من وهم من علماء
العربية - فى ما يخيّل إلى - حين قاسوا
الضرورة الشعرية على الضرورة الشرعية ،
وما هى فى حقيقة الأمر بذاك ، ولكنها -
فى ظنى - كالذى قال الأخطل:

لكلّ قرارة منها وفجّ

أضأة ماؤها ضررٌ يَمُورُ

قال ابن الأعرابى: ماؤها ضررٌ أى نمر فى
ضيق ، وأراد أنه غزير كثير فمجارىه تضيق
به وإن اتسعت. [اللسان: ضرر ر].

وهذا حال الشاعر وهو يعانى
تجربته الشعرية. فإنه قد يجد اللفظة وقد
اتسقت مع القياس ، غير قادرة على أن
تعبّر عن مستوى من الشعور حلقاً إليه ،
فيميل إلى لفظة أخرى خارجة عن القياس ،
لإحساسه أنها أبلغ فى التعبير عن أحاسيسه
ونقل هذه الأحاسيس إلى سامعه. وإلا فما
الذى ألجأ جريراً إلى استعمال الكلمة

نفسها مصروفةً وغير مصروفة فى بيتٍ
واحد:

لم تلتفّع بفضلٍ مئزرها

دعدٌ ولم تُغذّ دعدٌ بالغلبِ

وقد كان له عن ذلك مندوحة ،

إلا أنه ربما رأى فى صرف "دعدٍ" الأولى
لطيفةً من لطائف التعبير ، يتناغم فيها
تعاثقُ الضمّتين مع مشهد التلّفع ، أو لعلّه
قد شاء لسامعه أن يقف وقفةً قصيرة مع
سكون التنوين ، يستوعب فيها المشهد
الأول قبل أن يؤكّده بمشهد ثانٍ مستأنف.

وقد يكون لارتكاب الضرورة علةٌ

يمثلها قولُ أبى النجم:

قد أصبحت أمّ الخيار تدعى

علىّ ذنباً كلّهُ لم أصنع

قال البغدادى فى "الخزانة"

[١٧٥/١]: ورواية الرفع عند علماء البيان

هى الجيدة ، فإنها تفيد عموم السلب ،

ورواية النصب ساقطة عن الاعتبار ، بل لا

تصحّ ، فإنها تفيد سلب العموم ، وهو

خلاف المقصود... ورأيت للفاضل اليمنى

على هذا البيت كلاماً أحببتُ إيراده ، وهو

قوله: معنى هذا البيت أن هذه المرأة

أصبحت تدعى علىّ ذنباً ، وهو السيبُ

والصلح والعجز وغير ذلك من موجبات
الشيخوخة... ولم أصنع شيئاً من ذلك
الذنب، ولم ينصب "كله" لأنه لو نُصِبَ مع
تقدمه على ناصبه لأفاد تخصيص للنهي
بالكل، ويعود دليلاً على أنه فعل بعض
ذلك الذنب؛ ومراده تزيه نفسه عن كل
جزء منه، فلذلك رفعه إيذاناً منه بأنه لم
يصنع شيئاً منه قط، بل "كله" بجميع
أجزائه غير مصنوع".

فالدقة في التعبير عن المراد هي التي
سأقت أبا النجم إلى هذه الضرورة. وفي
مثل ذلك يقول البغدادى: "قد يكون
للمعنى عبارتان أو أكثر، واحدة يلزم فيها
ضرورة، إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال...
ولاشك أنهم في هذه الحال يرجعون إلى
الضرورة، لأن اعتنائهم بالمعاني أشد من
اعتنائهم بالألفاظ. وإذا ظهر لنا في موضع
أن ما لا ضرورة فيه يصلح هناك، فمن
أين يُعلم أنه مطابق لمقتضى الحال؟".
[الخزانة: ١٥/١]

فهذه الضرورة العلمية التي تدعو
إليها الدقة هي التي أتحدث عنها اليوم،
داعياً إلى الاعتداد بهذين الاتجاهين في
ركوب الضرورة، والسير على مناهجهما
في سبيل الحقيقة والدقة العلمية، ولكنني

أدعو - كذلك - إلى أن تقوم الجماعة
اللغوية بذلك - وهي لجان التوحيد ثم
المجامع واتحاد المجامع - فتستمد الألفاظ
المولدة على الضرورة من السلطان الجماعي
قوة كقوة الخارج على الأصل في ما
أخرجته الجماعة اللغوية عن أصله حتى
أصبح أرسخ من الأصل وأثبت.

وهذا أمرٌ أقرُّه على هذا المجمع
الموقر، توطئةً وتسهيلاً لصوغ المصطلح
العلمي. وقد سبق لي أن اقترحت مثل ذلك
قبل عام في حديث بمجمع اللغة العربية
الأردني، وذكرت أنه لأبد لنا من إعداد ما
أسميته "مقدمات منهجية وضع المصطلح
العلمي وتوحيده"، وهي دلائل إرشادية
ينبغي إعدادها خير إعداد، وجعلها في
متناول كل من يريد مزاولة وضع
المصطلح، لتكون دليلاً هادياً له في هذا
السبيل، وقلت إنه لأبد من أن تضطلع
بإعدادها سلطة لغوية جماعية كاتحاد
المجامع، أو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
بتكليف من اتحاد المجامع.

وأهم هذه الدلائل الإرشادية - في
نظري - كتاب يمكن أن نطلق عليه اسماً
من قبيل "المرشد في قواعد وضع المصطلح

العلمي" ، وتتفق على أن يشتمل على الأبواب التالية:

الباب الأول: مجموعة من المبادئ أو القواعد اللغوية التي يُستَرشدُ بها بشكل عام، تُذكر فيها القاعدة بأحرف بارزة ، مقتبسة - إن أمكن - بنصّها من أحد علماء اللغة الأعلام ، ثم تدوّن بالتفضيل مسوّغات القاعدة وتطبيقاتها. فنأخذ القاعدة الأولى مثلاً من ابن فارس: "أجمع أهل اللغة إلا من شدّ عنهم أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض" [الصاحي: ٣٣]. ونأخذ القاعدة الثانية من أبي عثمان المازني: "كلّ ما قيسَ على كلام العرب فهو من كلام العرب" [الخصائص: ٣٥٧/١]. ونأخذ الثالثة من ابن جني: "الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيبٌ غيرُ مخطيء" [الخصائص: ١٢/٢] تُكملها مقولةُ أبي حيّان: "كلّ ما كان لغة لقبيلةٍ قيسَ عليه". [الاقتراح للسيوطي: ٩٣] ونأخذ الرابعة من السيوطي عن أبي حيّان: "علّةُ الضرورة التشبيهُ لشيء بشيء أو الرد إلى الأصل" [الأشباه والنظائر] تُكملها مقولة المبرّد: "الضرورة تُردُّ الأشياء إلى أصولها" [المقتضب: ٣٥٤/٣] وقوله: "قد

يجيء في الباب الحرف والجرفان على أصولهما وإن كان الاستعمال على غير ذلك ليدلّ على أصل الباب" [المقتضب: ٩٧/٢]. ونأخذ القاعدة الخامسة حول التضمين من ابن جني: "إن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدّى بحرف والآخرُ بآخر ، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفيّين موقع صاحبه" [الخصائص: ٤٠٨/٢] تُكملها مقولة ابن هشام: "قد يُشربون لفظاً معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه ويسمّون ذلك تضميناً" [المغني: ١٨٥/٢] ونأخذ سادسة القواعد من أبي هلال العسكري: "الكلمة الأعجمية إذا عُرِّبتْ فهي عربية" [التلخيص: ٢٦٧/١]... وهكذا.

أما الباب الثاني من "المرشد" المقترح ، فيسوق القواعد المتعلقة بقياسية عدد من الصيغ ، تسهيلاً للنسج على منوالها ، وإن لم يعن ذلك الالتزام الصارم بها. وقد كان لهذا الجمع الموقر فضلُ السبق في إقرار عديد من هذه القواعد والصيغ وإصدارها منجّمةً ، مثل صيغة فَعَال ، وفَعَلَ ، وفَعُول ، وفَعَالَة ، وفَعَالَة ، وفَعُولَة ، وفَعَالَة ، وفَاعِلَة ، وتَفَعَال ، ومثل السين والتاء

للاتخاذ والجعل ، ولحوق التاء لاسم المكان، وتوهم الحرف الزائد أصلياً ، وجواز الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وقياسية المصادر الصناعية ، وجواز استعمال "لا" مركبة مع الاسم ، وقياسية التعدية بالهمزة ، وجواز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه ، وقواعد غير ذلك كثيرة.

والحاجة تدعو الآن إلى درج هذه القرارات مرتبة ، في باب واحد من أبواب هذا المرشد ، تشتمل فصوله على البحوث التي كتبها عدد من العلماء الأجلاء توطئة لهذه القرارات.

ويؤلف الباب الثالث من "المرشد" المقترح دليلاً بالأحوال التي يجوز فيها الخروج على مألوف اللغة للضرورة العلمية: كأن نجيز مع البصريين صَرَفَ ما لا ينصرف وقَصَرَ الممدود ، ونجيز مع الكوفيين تَرَكَ صَرَفَ ما ينصرف ومدَّ المقصور.. وهكذا ، مع إتباع كل رخصة من هذه الرخص ببحث يسوغها. وهذه الضرورات التي تبيحها الجماعة اللغوية تمثل عوناً ثميناً لكل من دُفع إلى مضايق المصطلح العلمي.

أما الباب الرابع فيضم قائمة بالسوايق واللواحق ، يُراعى قدر الإمكان أن تكون مستوعبة ، ويوضع فيها بين قوسين اسم الحقل الدلالي أو الحقول الدلالية التي تعود إليها كل سابقة أو لاحقة ، ولا سيما إذا كان ثمة اشتراك في اللفظ واختلاف في المعنى.

ويضم الباب الخامس قائمة تشتمل على الرموز والمختصرات بالعربية ، وطرق ترجمة المختصرات الأجنبية إلى العربية. وهو باب تَمَسُّ الحاجة إليه في هذه المرحلة.

وأنا أناشد هذا الجمع الموقر أن ينهض بعبء هذا "المرشد" المقترح الذي ينوء بغير الجمع ، وأعدُّ بأن يقوم البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية - الذي أشرف برياسته - بتقديم الدعم كله: مادي ومعنوي إلى الجمع في إصدار هذا الكتاب - المرجع.

وتما يُعدُّ أيضاً من مقدمات المنهجية ويساعد الذين يزاولون صوغ المصطلح العلمي ، كتاب يشتمل على عشرات بل مئات من القوائم الدلالية في كل فرع من فروع العلم ، تضم كل منها

أسرة دلالية واحدة ، وتُجَنَّبُ العلماء استعمال اللفظة الواحدة لأكثر من مسمّى في نفس الحقل الدلالي.

كذلك يُعَدُّ من هذه المقدمات كُتَيِّبات تُجَرِّد المصطلحات المتوافرة في كتب التراث العلمي لا تُحاشِ المعاجم. فهذا أبو عمرو بن العلاء - وهو كما يقول ابن سلام في طبقات فحول الشعراء [١٤/١] - أوسعُ علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، يقول: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير" [طبقات فحول الشعراء: ٢٥/١].

وكأى من لفظة أجنبية أعياناً العثور على لفظة من بابتها في ما بين أيدينا من معاجم ، ثم عثرنا عليها عَرَضاً في تضاعيف أحد الكتب ، أو في غير مَظَنَّتِها من مواد المعجم ، فقلنا لأنفسنا: وى كلن هذه اللفظة لم تُخَلَقْ إلا لمثل هذا المعنى الذى نبحث عن اسم له!

ويعجبني ما رواه ابن منظور في "اللسان" [في مادة "ب خ ع"] عن ابن الأثير: "وطال ما بحثت عنه في كتب اللغة والطب والتشريح ، فلم أجد البعْخاخ بالباء مذكوراً في شيء منها". فكتسب الطب

والتشريح إذن بعضُ مظان ابن الأثير إلى جانب كتب اللغة.

ومن الأمثلة على ذلك أن كلمة "الحَدَقَة" في المعاجم تعنى ما نطلق عليه في مصطلح اليوم اسم "القُزْحِيَّة" ولكنك تجد في كتاب "المنصوري" للرازي [الورقة ٣٠ من المخطوط] ما يلي - في وصف هيئة العين: - "... ويعلم الرطوبة البيضية جسم رقيق مُخَمَّلٌ الداخل حيث يلي البيضية ، أملس الخارج ، ويختلف لونه في الأبدان ، فربما كان شديد السواد ، وربما كان دون ذلك ، وفي وسطه حيث يحاذي الجليدية ثقب يتسع ويضيق في حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية إلى الضوء ، فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع في الظلمة ، وهذا الثقب هو الحدقة". و"الحدقة" كذلك - في كثير من كتب الطب والتشريح.

ومثال آخر ، هو ذلك الغشاء من أغشية الجنين الذى يقال له بالأجنبية allantois والذى حار الأطباء المحدثون في ترجمته فقالوا: "الوشيق" ، وقالوا: "اللqانقى" تشبيها بهذه الأمعاء التى تؤكل ، وقال بعضهم بل هى "اللفائفى" تحرفت إلى "اللqانقى" وهكذا ، إلى أن رأيتُ في

"كامل الصناعة" لعليّ بن العباس [١١٨/١]
قوله: "وقد يتولد على الجنين من داخل
غشاءان ، أحدهما يقال له "السقاء" وهو
اللفائف ، والثاني السّلى. فأما السقاء فهو
دون المشيمة ويترأى إلى قرني الرحم ،
ويشبه من شكله باللفافة، وهو نافذ إلى
مثانة الجنين، ومنفعته أن يقبل بول
الجنين..". فقد أطلق على هذا الغشاء اسم
"السقاء" كما ترى ، وهي كلمة جميلة
ولكنك لا تجدها في المعاجم بهذا المعنى.

ومثل ذلك بعض ما تواطأ عرب
العصر الحاضر على استعماله بالمعنى نفسه
على اختلاف أمصارهم وأقطارهم
كمصطلح "الكاحل" الذي تجده مستعملاً
في جلّ البلدان العربية بمعنى "ذلك الجزء من
الطرف السفلى الذي يعلو القدم" ، وفي
ظني أن مثل هذا التواطؤ يؤثّر لهذا الحرف
في لغة الضاد وينأى به عن عامي الكلام.

هذه - في نظري - أهم مقدّمات
المنهجية التي ينبغي إعدادها تيسيراً لواضعي
المصطلح وتسديداً لعملهم. وليس يعسني
ذلك بالطبع أن تنتظر إبحار هذه المقدّمات
ولكن من الخير أن نعمل على إعدادها
بأسرع ما يمكن.

أما "منهجية وضع المصطلح العلمي
العربي وتوحيده" نفسها ، فإنني أزعّم أن ما
جرت عليه لجنة إعداد المعجم الطبي
الموحد، يصلح نواة أساسية لها ، وأسمحُ
لنفسى أن أعرض في ما يلي أهم بنود هذه
المنهجية:

(١) تُستعمل لفظة عربية واحدة مقابل
التعبير الأجنبي ، ولا تُستعمل المترادفات إلا
في ما ندر وعند الضرورة ، وبذلك يتحقق
توحيد المصطلحات. وحين توجد بعض
الألفاظ الشائعة جداً في بعض البلدان
العربية دون بعض ، وتفضّل عليها
مصطلحات أخرى ، يُكتب المصطلح
المفضول بين قوسين بعد المصطلح المفضّل
، وبأحرف أصغر حجماً ، وذلك تسهيلاً
لائتلاف المصطلح المفضّل من جهة ، مع
الإيحاء بضرورة العدول عن المصطلح
المفضول في الوقت نفسه.

(٢) إذا وجدت عدة مترادفات أجنبية
للمفهوم الواحد لأسباب تاريخية ، يُترجم
أصلحها لتأدية المعنى ، ويوضع في مقابلها
جميعاً ، مع الإشارة بحساب المترادفات
الأخرى إلى التعبير الذي ألف على ترجمته،

بوضعه بعد علامة المساواة (=) بين قوسين.

(٣) إذا كان للمصطلح الأعجمي أكثر من دلالة واحدة ، يوضع مصطلح عربي مقابل كل دلالة ، وترقم هذه المصطلحات إظهاراً لتمايزها ، ويستحسن بيان الحقل الدلالي الذي ينتمي إليه المصطلح بين قوسين.

(٤) ينبغي درس المصطلح الأجنبي دراسة وافية والتعرف على مدلوله العلمى ومفهومه الدقيق ومعناه الاصطلاحي الخاص المستعمل فى حقل الاختصاص ، قبل الإقدام على وضع مقابله العربى . ولا يُنصح بترجمة المصطلح ترجمة حرفية ، أو استعمال مرادفاته الموضوعية لدلالات خاصة فى حقول اختصاصات علمية أخرى.

(٥) لا يجوز اعتماد لغة أجنبية واحدة - مهما كان لها من السيادة - مصدراً وحيداً للمصطلحات الأجنبية ، وإنما يُترجم اللفظ الأجنبى الذى هو أفضل فى تأدية المعنى ، فيُترجم اللفظ الإنكليزى أحياناً والفرنسى أحياناً أو غيرها من ألفاظ اللغات الأخرى ، بحيث يكون الهدف دائماً دقة المعنى ووضوحه.

(٦) تُستعمل الألفاظ العربية المتداولة أو التى سبق أن استعملها علماء العرب الأقدمون ، إذا كانت تفى بالغرض العلمى ، وإلا يُجتهد فى وضع لفظ جديد مناسب . وتؤخذ بنظر الاعتبار المصطلحات التى وضعتها المجامع ، واللجان المتخصصة ، والعلماء.

(٧) يُكتفى بوجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوى ومدلوله الاصطلاحي ولا يشترط فى المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمى .
(٨) يُبتعد عن الكلمة المُثَقَّلَة بعدة معانٍ ، فيُحاولُ العثور على ألفاظ لا تشترك مع سواها بقدر الإمكان ، ولا سيما تلك التى تشترك فى حقل دلالى واحد.

(٩) يُلتزم قدر الإمكان بالقوائم الدلالية ، والسوابق واللواحق ، والصيغ القياسية التى يُعدّها الجمع الموحد.

(١٠) يجوز اللجوء أحياناً إلى النحت أو التركيب المزدجى ، إذا كانت اللفظة المنحوتة مفهومة مقبولة ، أو شائعة ، أو منسوبة . ولكن النحت يحتاج إلى ذوق سليم خاصة ، فكثيراً ما تكون ترجمة الكلمة الأعجمية بكلمتين عربيتين أو أكثر

أصلح وأدل على المعنى من نحت كلمة يحجها الذوق ويستغلق فيها المعنى. ويراعى في المركبات المزجية التي تعتبر مصطلحات أن تجعل اسماً واحداً إعراباً وبناءً ، فلا يُعَرَّب الجزء الأول من مصطلح "الاثنا عشرى" مثلاً وإنما يحتفظ هذا المصطلح بشكله في جميع أحواله.

(١١) يفضل تقدير محذوف- في بعض المصطلحات، التي تتألف من جملة ، على التركيب المزجى أو النحت ؛ فيقال مثلاً: "الشریان تحت الترقوى" بتقدير محذوف هو "العظم" بَدَلْ أن يقال "الشریان التَحْتَرُقوى" أو التَحْت ترقوى".

(١٢) لا حَرَجَ في استعمال-الكلمات الدخيلة أو المستعربة حين اللزوم ، ولا سيما حين تتعذر تأدية المعنى المراد ، أو حين تكون الكلمة العربية المقترحة أشدَّ عَجْمَةً من الكلمة الدخيلة ، أو يكون اللفظ مما اشتهر وشاع استعماله ، أو يكون قد اكتسب صفة العالمية بدخوله كما هو في كل لغات العالم أو جلّها.

(١٣) يُلتَزَم في هذه الكلمات الدخيلة أو المستعربة اختيار اللفظ الأسهل من بين مختلف اللغات الأجنبية ، لنقله إلى العربية

بأخف ما يمكن على اللسان العربى ، دون التزام لغة أجنبية واحدة. فيقال مثلاً في مصطلح الكيمياء "هيدروكسيد" لا "هايدروكسايد" ويُقال "يورانيوم" لا "أورانيوم" ويُقال "بزموت" لا "بِزْمَث" ، ويُقال "لياز" لا "لاييز" . ويُسمى إلى الانسجام قدر الإمكان فيقال "فيزيولوجيا" لا "فيسيولوجيا" لأننا قلنا "الفيزياء" أو "الفيزيقي" ولم نقل "الفيسياء" أو "الفيسيقي" ، وهكذا.. كما يُحَرَّص في نهاية الكلمات على التمييز بين اسم العلم وبين ما ينسب إليه فنكتب "الجيولوجيا" و "الباثولوجيا" مثلاً بالألف لنميزها عن الطبقات الجيولوجية أو التغصيرات الباثولوجية التي نكتبها بالتاء.

(١٤) لا داعى لاستعمال حروف غير الحروف العربية كالباء والفاء ، وإنما يُنقل الحرف إلى أقرب حرف عربى إليه ، فترسم "P" باء ، و "V" فاء. أما حرف "G" فيعَرَّب "غينا" إلا إذا كان يُلفظ جيماً صحيحة.

(١٥) نظراً إلى صعوبة توافر الشكل "التشكيل" في المطابع والمناسخ ، ينبغي عدم التخرج من استعمال الأحرف اللينة

في الكلمات المعربة حتى لا يلتبس اللفظ ،
على أن يُستغنى عنها إذا لم يكن ثمة التباس ،
كما ينبغي عدم التخرج - في استعمال
هذه الأحرف الينة - من التقاء السلكين ،
استثناساً بالمد اللازم في القرآن الكريم
حيث يلتقي حرف اللين بحرف ساكن
يؤلف الجزء الأول من الحرف المشدد. ولا
حاجة لبدء الكلمات الساكنة الأول بألف ،
اكتفاءً بالاختلاس في نطق هذا الحرف
الساكن ، أو بتحريكه.

(١٦) ينبغي الحرص في استعراب الكلمة
على وضعها في صيغة يسهل جمعها والنسبة
إليها والاشتقاق منها ، ويفضّل عدم
استعرابها إن لم تتحقق فيها هذه الشروط.
(١٧) يعتبر المصطلح المستعرب عربياً
يخضع لقواعد اللغة العربية ، ويجوز فيه
الاشتقاق ، وتستخدم فيه أدوات البدء
والإلحاق.

(١٨) يجوز التصرف في صيغ النسبة ،
للتمييز أو منع اللبس ، كما تجوز النسبة
إلى المفرد والجمع.

(١٩) يجوز التوسع في استعمال لام
الإضافية ضمناً لوضوح المصطلحات التي
تألف من جملة ، فيفضل مثلاً أن يُقال:

"الطبقة الحبيبية للبشرة" لا "طبقة البشرة
الحبيبية" ويُقال: "الرأس الأمامي للعضلة
ذات الرأسين" لا "رأس العضلة ذات
الرأسين الأمامي". وذلك استثناساً بأن من
مواضع اللام أن تكون بمعنى "من" ومثّل
قولهم: "سمعت لزيد صياحاً" أي: من زید
صياحاً. كما يجوز التوسع في استعمال
اللام الأخرى التي تكون موصلة لبعض
الأفعال إلى مفعولها فيقال مثلاً: "العامل
المُطلق للهرمون المنبه للجريب".

(٢٠) ينبغي ترجمة أسماء الأجناس والأنواع
في تصانيف الأحياء من حيوان ونبات
وجراثيم ، ولا يجوز أن تُستعرب بحجة أنها
أسماء أعلام ، فاسم العلم فرعٌ من اسم
الفرد ، والفرد تحت النوع وتحت الجنس.
ويمكن ، بل يحسن ، في التعليق العالي
إضافة الاسم الأعجمي إلى جانب الاسم
العربي.

(٢١) يجوز التخصيص بقاء التانيث
لضرورة التمييز ، فيقال اللوح واللوحه ،
والكيس والكيسة ، والجيب والجيبة، وما
أشبه ذلك.

(٢٢) تذكر صيغة جمع المصطلح بين
قوسين إذا لزم الأمر.

وَبَعْدُ ، فَأَنَا أَدْعُو أَحْيَرًا هَذَا الْجَمْعَ
المَوْقَر ، إِلَى النِّظَرِ فِي بِنُودِ هَذِهِ الْمُنْهَجِيَّةِ
المُقْتَرَحَةِ ، وَتَبْنِيَّهَا إِنْ كَانَتْ صَائِبَةً ، أَوْ
تَعْدِيلَ مَا يَحْتَاجُ مِنْ بِنُودِهَا إِلَى تَعْدِيلٍ . فَقَدْ
آنَ لَنَا أَنْ تَكُونَ لَنَا مِنْهَجِيَّةٌ وَاحِدَةٌ
مُوَحَّدَةٌ ، وَأَنْ تَصْدُرَ عَنْ هَذِهِ السُّلْطَةِ
اللُّغَوِيَّةِ الْجَمَاعِيَّةِ ، لِأَنَّ صُدُورَ أَمْثَالِهَا فِي مَا
مَضَى ، عَنْ عَدِيدٍ مِنَ الْمُؤْتِمَرَاتِ وَمَكَاتِبِ
التَّنْسِيقِ الَّتِي تَفْتَقِرُ إِلَى هَذَا السُّلْطَانِ
الْجَمَاعِيِّ ، لَمْ يُفْلَحْ فِي وَضْعِهَا مَوْضِعَ
التَّنْفِيزِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا فِي مَجَالَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ .

وَأَنَا أَعْتَذِرُ إِلَيْكُمْ مِنْ كَثْرَةِ مَا
اقْتَرَحْتُهُ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ عُذْرِي أَنَّ الزَّمَانَ
سَبَّاقٌ ، وَأَنْ رَكِبَ الْعِلْمَ الْحَثِيثَ السَّيْرَ لَنْ
يَبْطِئَ مِنْ إِيقَاعِهِ فِي انْتِظَارِ الْمُسْتَرِثِينَ ،
وَأَنْكُمْ الْأَمَلُ الْبَاقِي لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي تَبَوُّثِ لُغَةٍ
التَّنْزِيلِ مُبَوَّأٌ صِدْقٍ فِي مَسِيرَةِ الْعِلْمِ
وَالْحَضَارَةِ .

"وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ،
وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" .

محمد هيثم الخياط

عضو الجمع المراسل

من سورية

المصطلحية والمصطلحات

(قراءة في مشروع معجم مصطلحات علم المياه

من مشروعات مكتب تنسيق التعريب) (*)

للأستاذ أحمد شفيق الخطيب

سيادة الرئيس:

أيها العلماء الأجلّاء :

أيها الزملاء الأكارم :

"مشروع معجم مصطلحات علم

المياه" - هو أحد مشروعات خمسة يُعدّها مكتب تنسيق التعريب للعرض على مؤتمر التعريب الثامن ، ويُفترض أنّها درست في الندوة التي عُقدت في دمشق في الفترة ما بين ١٩ - ٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٤ (**).

حول المنهجية التي يتبعها المكتب في إعداد هذه المشروعات ، نقرأ في مقدمة المعجم ما مفاده أن المنهجية التي انتهجها مكتب تنسيق التعريب في مشروعاته المعجمية مرّت بمراحل ثلاث:

في المرحلة الأولى كان المكتب يجمع مادة المشروع الأولى للمعجم ، ويوزّعها على اللجان الوطنية للتربية والثقافة والعلوم ، وعلى الجهات المختصة ، في البلاد العربية لإبداء الرأي. ثمّ يُعرض العمل على ندوة مُتخصّصة لدراسته.

بادئ ذي بدء أسجّل تقديرى وتقدير جميع العاملين في حقول المصطلحات، بل تقدير أهل العربية على اختلاف اهتماماتهم، ممّن عرفتهم أو قرأت لهم ، لتلكم المعلمة الشائخة في المغرب الشقيق - أعني مكتب تنسيق التعريب في الرباط.

وأعرب عن فائق التقدير والإكبار لجهود جميع العاملين فيه ، ومعه ، على مدى ثلث القرن الماضي منذ ١٩٦١ - بدءاً بمديرة على مدى جيلٍ من الزمن علامتنا الفاضل الأستاذ عبد العزيز ابن عبد الله ، حتى مديره الحالي الصديق الدكتور أحمد شحلان ؛ لهم جميعاً كلّ التحية والإكبار.

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثانية عشرة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٩ من ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٩ من أبريل (نيسان) سنة

١٩٩٥ م.

(**) ظروف التواصل البريدى حالت دون حضوري هذه الندوة .

في المرحلة الثانية اتبع المكتبُ أسلوبًا آخر يتمثلُ في تكليف خبير "تلمسُ" فيه الكفاءة العلمية واللغوية كي يُحضّرَ مُسوّدَة مشروع المعجم - ثلاثي اللغة - مُستفيدًا مما صدرَ عن المعاجم العربية أو الهيئات والجامع (لعلها "المراجع") المختصة من معاجم ومؤلفات ؛ وغالبًا ما يعتمدُ على قدرته الذاتية ومعلوماته الخاصة".

بعد ذلك يُعهدُ بهذه المُسوّدَة إلى خبيرٍ آخر مُراجعٍها وتدقيقها ، لكي تكتسبَ الوثيقةُ صفةَ "مشروع المعجم"^(١).

ثمَّ يقوم المكتب بتوزيع المشروع على اللجان الوطنية للتربية والثقافة والعلوم وجهات الاختصاص في الأقطار العربية للنظر فيه وإبداء الملاحظات عليه تمهيدًا لعرضه على ندوة مُتخصّصة لدراسته.

وفي المرحلة الحالية (الثالثة) نهجَ المكتبُ نهجًا جديدًا في إعداد مشروعات خمسية من المعاجم - في مصطلحات "التقنيات التربوية" و "الإعلام" و "علم المياه"

و "الاستشعار عن بعد" و "الفنون التشكيلية".

ويتمثل هذا النهج الجديد في عقد اتفاقيات مع هيئات عربية أو أكاديمية مُتخصّصة تقوم بإعداد المشروعات الأولية مُستأنسة بما يُزودها به المكتب من مراجع وقوائم مصطلحية ، تدخّل في صُلب الموضوع ، مما صدر عن الجامع اللغوية والاتحادات العلمية والجامعات والهيئات المُتخصّصة. وهكذا تمَّ إعداد المشروعات المعجمية الخمسة الآتية الذُكر^(٢).

وقبل أن أستعرض عيّنات من هذا المشروع - مُفصلةً في فئات تُحدّد نوع الشكوى المنهجية أو الشكاوى المصطلحية فيها ، أعرّضُ وحضراتكم أساسيات عامّة مُتعارفة في مجال المصطلحية والمصطلحيين ووضع المصطلحات.

إن مهنة المصطلحي ، كما تعلمون ، لما تتحدّد معالمها في العالم العربي ، فليس هنالك برامج مُتعارفة ، ولا

(١) من مُداخلة مكتب تنسيق التعريب في مؤتمر التعريب السادس ، كما ترد ص ٢٣ ، العدد ٣١ من مجلة اللسان العربي (كانون الأول "ديسمبر" ١٩٨٨). وهذه المراحل مُلخصة في المُقدمة العامة لمشروع معجم مصطلحات المياه - كما في مقدمات مشاريع المعاجم الأخرى.

(٢) وكان أن تمَّ إعداد مشروع معجم علم المياه - موضوع قراءتي اليوم من قِبَل فريقٍ عمل برئاسة الدكتور م.م. تحت إشراف المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق. وحديثٌ بالذكر

أن هذا المركز أشرف أيضًا على إعداد مشروع معجم الاستشعار عن بُعد (مما قد يضيف أهمية مضاعفة على قراءتي هذه).

طُرُق تأهيل محدّدة ومرسومة ، لإعداد المتخصّصين في المصطلح والشؤون المصطلحية^(*). ومعظم ، أو ربّما كلّ المتخصّصين الذين أعرّفهم ، تعلّموا المهنة بجهودهم وإمكاناتهم الشخصية ولم يدرسوها كعلم ؛ إنّما توافرت لهم خلفيات دراسية تثقيفية علمية ولغوية ساعدت في هذا التأهيل.

لكن مهما يختلف المتطّرون في تقنيات المصطلحية ومساقاتها ، فهناك أساسيات لا خلاف فيها لما يُمكن اعتباره بعض مؤهلات المصطلحي ، ولعلّها لا تختلف كثيراً عن المتطلّبات الأساسية لأعمال الترجمة العلمية والتقنيّة الناجحة. ولعله يُمكن تلخيص هذه المتطلّبات في أساسيات خمس.

١ - معرفة دقيقة بلُغتي التعامل - لغة الأصل ولغة الهدف. فقديمًا قالوا: صاحب الترجمة ينبغي أن يكون ذا علم واف باللغتين ؛ أو كما وصفه الجاحظ في بيانه

"أعلم الناس باللغة المنقولة واللغة المنقولة إليها حتى يكون فيهما سواءً وغاية".

٢ - إلمام كاف بمادة الموضوع. ويركّزون اليوم على المصطلحي الواسع التخصّص ، وليس بالضرورة المتخصّص في الموضوع نفسه.

٣ - خبرة عمليّة بالمنهجية المصطلحية مدعّمة بالتراث المصطلحي القديم والحديث، وتعرّف المشهور منه - على الأقلّ في مجال الموضوع مدار البحث.

٤ - موهبة عمادها ذكاء مُدرّب يُمكن من ملء الثغرات في النص الأصلي ، وخيال واسع يُمكن من تصوّر العُدّة أو الشيء أو العملية موضع البحث ، ومقدرة سليقية تمكّن المصطلحي من التعامل مع اللفظ في سياقه بوضوح وإيجاز ودقّة.

٥ - دراية وبصيرة تُوجّهان الاختيار لانتقاء المرادف المصطلحي الأنسب من المعاجم ذات العلاقة أو الكتابات المنشورة حول الموضوع.

(*) أذكرُ أنه في إحدى الندوات التي كان لي مشاركة فيها قدّم بحثان بالعربية يتعلّقان بهذا الموضوع - أولهما للأستاذ عبد اللطيف عبيد حول "تدريس علم المصطلح في الوطن العربي - تجربة معهد بورقية للغات الحيّة" ، وثانيهما بحث للدكتور محمد حلمي هليل بعنوان "نحو تعليم المصطلحيّات والتدريب عليها - مشروع للعالم العربي". كما قدّم في تلك الندوة بحث قيم بالإنكليزية للأستاذ هلموت فيلبر "المصطلحية في عالم اليوم" قام بترجمته الدكتور حلمي هليل ونُشر في العدد ٣٠ من مجلة اللسان العربي ؛ وفيه إشارة إلى برامج تدريسيّة في علم المصطلح تُقدّم في جامعات كندا والنمسا والدانمارك وإنجلترا وغيرها - وهي جديرة بأن نتعرفها ونفيد منها بما يتلاءم ولُغتنا وأوضاعنا.

- بصراحة يا سيادتي لقد افتقدت الكثير من هذه الأساسيات خلال قراءتي عينات متعددة من "مشروع معجم مصطلحات علم المياه" أستعرضها مع حضراتكم في فئات قد تكون متداخلة أحياناً - وأبدأ بفئة الأساسية الأولى.

* التمكن من لغة الأصل (المنقول عنها) ولغة الهدف (المنقول إليها)*. إلى حضراتكم الأمثلة:

36) Aggressive: quality of water that attack metals & concrete chemically by dissolution.

هدام (مياه مُخرّبة): نوع من الماء الذى يهجم على المعادن والأسمنت كيميائياً فيُخرّبها بالانحلال.

عدوانى (أكال): صفة للمياه الحاوية مواد أكالة للفلزات والإسمنت تُسبب انحلالها كيمياوياً.

("هدام" أو "مُخرّب" تقابل "destructive" ؛ وبالنسبة للمياه لعلها تنطبق أكثر على مياه السيول والفيضانات.

ليس ما يمنع ترجمة aggressive بمقابلتها المتعارف "عدوانى". ولولا خوف اللبس بـ "عادى" لقلت "عادى".

40) Air-dry

هواء جاف: حالة تعادل أو توازن بين

الرطوبة الموجودة بين مسامات عينة ما صخرية وبين الهواء أو الجو.

المدخل صفة وليس اسماً - لذا نقول:

مُجفّف فى الهواء أو هوائى التجفيف أو هوائى الجفافية - مثلاً:

air-dry timber,
air-dry rxck, ect.

49) Algae control :control of growth of micro-organisms in water bodies.

تحكّم بالطحالب: التحكم بنمو العضويات الدقيقة جداً فى الأجسام المائية.

الترجمة المناسبة لـ control هنا هى "مكافحة"، فنقول: مكافحة الطحالب: مكافحة نمو المتعضيات الميهرية فى الكتل أو التجمّعات المائية.

55) Allochthonous: Said of material originally from a different locality than the one where it is deposited.

مادة منقولة: نوع من المادة الناجمة عن توضع مواد حدثت فى غير مكان توضعها الأصلى.

المدخل هنا صفة لا اسم. فنقول:

دخيل ، مجلوب أو جليب النشأة: مثلاً الصخر الذى يتكون فى معظمه من مواد منقولة من موقع آخر.

(*) مواد هذه الفئة، كما مواد سائر الفئات التالية، مُرتبة ألفبائياً حسب ورودها فى مشروع المعجم.

191) Bore. حُفْرَة (ثَقْب).

(Trou de forage "F").

(Bohrung "G").

ثَقْبُ (الحَفْر). قُطْرُ الحَفْر (أو التجويف)
الداخلي.

200 (& page 235)

Breaking strength.

قوة الكسر (قوة التهشيم أو التحطيم) —
قوة التكسّر.
مقاومة الكسّر.

مُقابِل "strength" في هذا السِّياق نَقول
"مُقاومة"، فالمفهوم هنا ليس "قوة الكسر"،
بل قوة مقاومة.

204) Brine: Water containing more
than 100.000 ppm total dissolved
solids.

مالح جدًا ، ملحٌ أجاج.
"ماء مالح" أو "ماء ملح". (المدخل هنا
اسمٌ وليس صفة).

268) Cement bond.

ملاط اتصال (ملاط الوصل).
رَابِطَة (أو وَصْلَة) إسْمَنْتِيَّة. (الموصوف هنا
"bond" لا "cement").

269) Cement grout: Cement slurry
of pumpable consistency.

مزيج ملاطى للملء الفراغات: طين ملاطى
أو اسمنتي قابل للضخ بشكل مستمر.
رَوْبَة إسمنت: ملاط رقيق القوام ضَخوخ.

108) Argillaceous: Property of
rocks containing clay in non-
negligible proportions.

غَضَارِي: خاصية الصخور التي تحوى كمية
غير مهملة من الغضار.

السياق هنا يأنف الترجمة الحرفية لـ non-
negligible. يُقال: "كمية لا يُستهانُ بها".

123) Autochthonous: Of
sedimentary material originating &
deposited at about the same
location.

رُسُوبات تَوْضُعية متَبَقِّية: مواد رسوبية
ناجمة عن ومتوضعة في نفس المنطقة التي
نتجت عنها.

هنا المدخل أيضًا صفةٌ وليس اسمًا —
فنقول:

مَكَانُ النشأة: تَكُونُ وتراكُمُ في الموضع
الذى نشأ فيه (كالمُلاح الصخرى).

185) Block & tackle: Hoisting
device in the derrick for lifting and
lowering of drill pipe and casing.

كُتْلَة الرِّفْع والإِنْزال: جِهَازُ رَفْع وإِنْزال
على جسم الحفارة يستخدم لرفع وإِنْزال
أنايب الحفر وأنايب الإكساء.

بَكَارَة: بَكَراتُ الرِّفْع وحبالُها في بُرْج الحَفْرِ
لِرفْع وإِنْزال أنايب الحفر والتغليف.

كُتْل لافا.

188) Block lava.
لَا بَا كُتْلِيَّة — (الموصوف هو "اللابا").

311) Cloud-burst.

انفجار سحابة.

شُبوب: وابل من المطر المنهمر.

349) Confined water: Water separated from the atmosphere by impermeable rock stratum.

ماء مَضْغُوط: ماء مفصول عن الجو

بواسطة طبقة صخرية كثيفة غير نفوذة.

ماء حَبِيس (أو مَحْصُور): تفضله عن الجو

طبقة صخرية صَمَاء (غير نفوذة).

395) Corrosive: Property of water attacking its conduits.

قابِلٌ للتأْكُل: خاصية الماء الذى يقوم

بالهجوم على قنواته وأنابيبه التى تنقله.

أَكَّال: خاصية الماء الأَكَّال أو الحات

كيماوياً لِمَسَالِكِهِ:

(الماء الذى "يهاجم" قنواته وأنابيبه هو

الـ"أكَّال" وهى الـ"قابلة للتأْكُل").

586) Dripstone: Rock formed by evaporation of dripping water film containing calcite.

صخر ناتج عن التبخر والتقطير المائى:

صخر ناتج عن تبخر الماء الذى يكون على

شكل قطرات على سطح رقيق مائى يحوى

الكالسيت (فحمات و كربونات

الكالسيوم).

حَجَرُ القَطْرِ (أى صَخْرُ الهَوَابِطِ

والصَّوَاعِدِ): صخر ناتج عن تبخر الماء

المُتَقَطِّر من غِشاء ما جِرى أو يحوى الكالسيت.

(فى B تابع 143)

Fresh-water barrier.

عائق مائى عَذْب.

"عَذْب" لا تصف عائقاً طبعاً. هو "عائق

ماء عَذْب" أو "عائق مياه عذبة" (كما

ترجم صحيحاً فى F) أو "عائق من المياه

العذبة" (يُحَقَّن لِمَصَدِّ جريان مياه البحر

المالحة باتجاه الطبقات المائية القريبة

من السواحل البحرية).

808) Galvanometer: Sensitive current meter.

جهاز قياس التيار (غلفانومتر): عداد

لقياس التيار الحساس.

غلفانومتر: جهاز قياس حساس للتيار أو

مقياس حساس للتيار.

(الحساس وصف للمقياس وليس للتيار).

854) Gneiss. غنايس.

نايس. فالـ G فى Gneiss صامته لألفظ.

1012) Incrustation: Deposition of mineral matter by water.

ترسُّب: توضع مواد معدنية وفلزية بواسطة

الماء.

تَقَشُّورَتَغَطُّ أو تَغْطِية بِقِشْرَة صلبة من

ترسُّات معدنية مائية.

("تَقَشُّور" وِزَانُ "تَبْلُور" بمعنى "تَكُونُ قِشْرَةً صُلْدَةً").

1050) Interbedded: Pertaining to beds or sedimentary material intercalated in a parallel fashion into a main stratum.

طبقات مُتداخِلَة: ما يَخْتَصُّ بالطبقات أو المواد الرُّسوبيَّة المتداخِلَة بين بعضها على شكل متوازٍ لتشكل طبقة صخرية واحدة. مُتداخِلَة بين الطبقات أو مُتداخِلَة التَّطْبِيق: وَصَفٌ لِطبقات أو مواد رسوبية مُقَحَّمة تعاقبياً وبشكلٍ متوازٍ في طبقة رئيسية. (المدخل صفة وليس اسماً).

1230) Mesophyte: Plant growing under intermediate moisture conditions.

نبات ذو جذور متوسطة العمق: نبات ينمو تحت شروط رطوبة معتدلة أو متوسطة.

نبات الرُّطوبة المتوسطة: نبات ينمو في ظروف الرطوبة المعتدلة أو المتوسطة (*).

1290) Mud port: Opening in drilling tool through which drilling mud extrudes.

مرفأ طين الحفر، مكان خروج طين الحفر: فتحة في جهاز الحفر التي يقوم طين الحفر من خلالها بالاندفاع خارجاً وبقوة.

"فُتْحَة الطين" أو "فُتْحَة طين الحفر": فتحة في عُدَّة الحفر ينبثق منها طين الحفر.

1351) Oven-dry: Degree of dryness of porous sample after drying in oven at specified temperature.

درجة التجفيف في الفرن: درجة التجفيف الخاصة بعينة مسامية بعد تجفيفها في فرن التجفيف بدرجة حرارة معينة.

"مُجَفَّف في الفرن" أو "فرنُّ التجفيف" أو "فرنُّ الجفافية": درجة جفاف عينة مسامية بعد تجفيفها في فرن على درجة حرارة معينة. (المدخل هنا صفة وليس اسماً).

1432) Pillow lava. وسائد اللافا.

الموصوف هو الـ "lava" - لذا نقول "لابا وِسَادِيَّة".

1440) Pipe wrench..

لَوِي الأنبوب - لَوِي الأنبوب - تحريف الأنبوب.

مفتاح (ربط) الأنابيب.

("wrench" هنا هي في سياق

"adjustable spanner" لا wrenching

ولا twisting).

1824) Spillway: Device for the escape of excess water.

مبنى فائض مائي - سدّ - حاجز مائي: جهاز لمرور المياه الزائدة أو الفائضة.

(*) النباتات، من حيث رطوبة البيئة، إما مائية مُفرطة الرطوبة hydrophyte، أو معتدلة (متوسطة)

الرطوبة mesophyte، أو جفافية (شحيحة الرطوبة) xerophyte.

قناة تصريف الفائض ، مَفْيَنْض: وسيلة
انفلات الماء الفائض.

1859) Stratum: Sedimentary bed or layer.

طبقة صخرية رسوبية: طبقة رسوبية مُعَيَّنة.
طبقة: طبقة رسوبية.

2120) Waste products.

كمية النفايات - نواتج النفايات.
نَوَاتِجُ فَضَلَاتِيَّة: نفايات (تُطْرَحُ بعد عملية
مّا).

2199) Well-sorted grains:
Assortment of grains having the same diameter.

تصنيف حبيبات جيّد - فرز حبيبات جيّد:
تصنيف وفرز للحبيبات بحيث تكون لها
ابعاد قطرية متشابهة.

حبيبات جيّدة التصنيف: تصنيف (أو
تشكيلة) حبيبات متساوية القطر.
(المقصود "الحبيبات المصنّفة جيّداً" وليس
التصنيف الجيّد لها).

2215 (& 2214) Wilting coefficient;
Wilting point: Soil moisture content at which plants wilt.

عامل فقدان الرطوبة وتسبب الهشاشة في
النبات - نقطة فقدان الرطوبة وتسبب
الهشاشة عند النبات: كمية الرطوبة في
التربة التي يحصل عندها فقدان للرطوبة
وهشاشة في النباتات.

مُعَامِلُ الذُّبُول - نقطة الذُّبُول: المحتسوى
الرطوبي في التربة عند بدء الذُّبُول.

(العربية ليست فقيرة إلى حدّ استعمال
كلمات للتعبير عن wilting).

*الأساسية الثانية تفترض أن يكون واضعو
المصطلحات مُلمّين بأجواء الموضوع أو
المواضيع والمجالات العلمية المتعلقة بتلك
الاصطلاحات، كي تأتي مصطلحاتهم
صحيحة دقيقة الأداء، ومتوافقة مع ما هو
مُتعارف بين أهل العلم والصناعة في العالم
العربيّ.

المصطلحات التالية المقترحة أو الموضوع
للمداخل المقابلة في العينات التي قرأتها من
1509) Pump liner.

حاملة المضخة ، حامل أسطوانة المضخة.
(Chemise de pompe "F").
بطانة المضخة:

1550 & (1230) Receiving water
course.

استقبال المجرى المائي: تلقى المجرى
المائي.

مجرى الماء المُستقبل. (الموصوف هو
watercourse ، ويُكتب كلمة واحدة لا
اثنين).

1627) Rockfill.

الملء الصخري:

صخرى الحشوة: ذو حشوة صخرية.

(والعبارة تُكتب بشحطة صغيرة "hyphen". وتُستخدم صفة بمعنى:

صخرى الحشو composed of large rock or stone loosely placed
rock-fill dam سد صخرى الحشو أو سد ركامي).

1738) Shot drilling: Method of drilling where shot dropped into the bore hole through the drill pipe exercises abrasive action on the bottom hole.

الحفر بالتفجير - الحفر باستخدام طلقات الرمي: طريقة حفر تستخدم فيها طلقات تُسقط ضمن البئر، أو حفرة البئر خلال أنبوب حفر معين والتي تقوم بتفتيت وتحطيم على قاع الحفرة أو البئر المراد حفرها.

الحفر بخردق الفولاذ: طريقة حفر يسهم فيها خردق الفولاذ، المُسقط في ثقب الحفر عبر أنبوب الحفر، بفعله الأكال في عملية الحفر.

(في هذا السياق "shot" تعني "خردق" الفولاذ).

1754) Sieve retention: Material retained on a sieve.

احتفاظ المنخل للحبيبات - احتجاز المنخل للحبيبات: المادة المحتفظة على المنخل أو الغربال على شكل حبيبات.

الشرح المعطى يحدد مفهوماً آخر للمصطلح هو:

مُسَبِّقاتُ المنخل، حُفالةُ الغريلة: ما يبقى في المنخل (أو الغربال) بعد النخل (أو الغريلة).

مشروع معجم مصطلحات المياه يشكو من عِلل علمية معرفية أساساً مع تداخل العنصر اللغوي أحياناً في تعقيد الخل. إلى حضراتكم الأمثلة التالية:

4) Absolute atmosphere: 10 dyne per cm²
جَو مطلق: ويساوى ١٠ دينة لكل سنتيمتر مربع.

الجو المطلق أكثر من ذلك بمئة ألف مرة ؛ فالجو المطلق يساوى ١٠ نيوتن على السنتيمتر المربع - علماً أن ١ نيوتن = ١٠^٥ داين (*).

82) Anhydride: Anhydrous calcium sulphate.

أنهدريت: كبريتات الكالسيوم اللامائية.
لفظة "أنهدريت" لا تقابل المصطلح "anhydride" ؛ لكن الشرح ينطبق

(*) الضغط الجوى = حوالى كيلوغرام على السنتيمتر^٢ ، في حين أن الداينة تساوى المليون نيوتن تقريباً.

فيزيائياً ، الضغط الجوى المعيارى = ١,٠١٣٢٥ × ١٠^٥ نيوتن على المتر^٢ ، (أى = ١,٠١٣٢٥ نيوتن على السم^٢).

عليها. العلة هنا في الخطأ المطبعي للمدخل

Anhydrite الذي صوابه Anhydrite.

206) Dubble gauge: Stage recorder based on principle of equating a gas pressure to water level.

مقياس ضغط مضاعف.

محطة تسجيل قائمة على مبدأ تساوى ضغط الغاز مع منسوب الماء.

مقياس ضغط مُسَجَّل: مُسَجَّل مناسب يعتمد على مبدأ ارتباط ضغط الغاز (في

الفقاعات) مع منسوب الماء بمعادلة مُحَدَّدة. الحكم بأن Dubble هي

Double مُتسرِّع، فالشرح لا يُبرِّر ذلك، بل يشير إلى Dubble. ثُمَّ إِنَّ

Stage recorder لا تعني "محطة تسجيل" بل "مُسَجَّل مناسب". والمقابل الصحيح

لـ stage في هذا السياق ليس "طور" ولا "مَرحلة"، كما هو وارد مُقابل المدخل

١٨٣٠، بل "منسوب" - كما هو وارد مقابل المدخلين ٢١٥٧ و ٢١٥٨.

401) Creep: Slow plastic deformation of a solid.

تشوّه (تغيُّر): تشوّه لدائنيّ بطيء لجسم صلب معيّن.

تزحُّف: تشوّه الجامد اللدان بفعل الثقل المستمر عليه.

(لفظة "تشوّه" تُقابل

(deformation, deformity, malformation, desfigurement, ect. 947) Housing.

إسكان - منزلي - سكني.

المفروض هنا أنها "مَبَيَّت"، مَقَرٌّ، مُرتكَن (لآلة أو لجزء من آلة).

988) Hygroscopic coefficient: Amount of absorbed water on surface of soil particles in an atmosphere of 50% relative humidity at 25°C.

عامل امتصاص الماء من سطح التربة: كمية الماء المُمتَصَّة من جزيئات سطح التربة في جوٍّ يحوي ٥٠% من التربة النسبية في درجة حرارة تساوي ٢٥ درجة مئوية.

معامل الاسترطاب: كمية الماء التي تمتصُّها جُزيئات سطح التربة... ؛ هذا هو مفهوم "استرطابي" hygroscopic الذي تعريفه بالإنكليزية كما يلي:

Absorbing or attracting water from the atmosphere (or the air) 1268 Momentum

القوة الدافعة.

كمية التحرك ؛ شرحها بالإنكليزية هو: The quantity of motion of a moving body= its mass X velocity.

(والقوة الدافعة شيء آخر، فقد يكون للسيارة الصغيرة ذات قوة ٤ أحصنة "كمية تحرك" أكثر من سيارة أكبر قوة ٥٠.

حصاناً - إذا كانت الأولى تسير بسرعة
١٠٠ كلم/الساعة والثانية تسير بسرعة
٢ كلم/الساعة).

1443) Pilot tube: Device to
measure flow velocity through
pressure differences.

أنبوب مُرشِد - جهاز قياس سرعة الجريان
- أنبوب رئيسي: جهاز لقياس سرعة
الجريان أو التدفق من خلال الاختلافات
والفروق في الضغوط.

الشرح يُبين أنه "أنبوب بيتو": جهاز يقيس
سرعة هريان المائع بفارق الضغط "pilot"
خطأً مطبوع (صوابه pitot) ، لا ينبغي أن
ننجر وراءه.

1645) Runoff: Discharge of water
through surface streams of a
drainage basin; sum of surface
runoff and groundwater flow that
reaches the streams.

الجريان السطحي ، الجريان المائي: جريان
أو تصريف المياه خلال المجارى أو الجداول
المائية السطحية لحوض تصريف معين ؛ أو
هو مجموع الجريان السطحي وجريان المياه
الجوفية التي تصل إلى الجداول النهرية أو
المائية.

الصرف (أو الانسياب) السطحي ؛ المدد
السطحي. (المصطلحان المقترحان لا بأس
بهما ، لكنهما يغطيان فقط واحداً من

مفهومى المصطلح الإنكليزي كما هو
مشروح. المفهوم الآخر هو "المدد
السطحي").

1830) Steage: Water surface
elevation at a point (along stream,
in lake, etc.) above an arbitrary
datum.

طور - مرحلة: ارتفاع سطح الماء عند
نقطة ما (على طول نهر أو جدول مائي أو
بحيرة إلخ) فوق مستوى إرجاع عشوائى
اعتباطى لا على التعيين.

stage هنا يقابلها "منسوب" ، ويُترجم
arbitrary datum بـ "مستوى أو نقطة
إسناد مُختارة".

(واضح أن الترجمة هنا أُخذت عن
القواميس العادية - لا المتخصصة - دون
مراعاة السياق الموضح في الشرح).^(*)

2111) Walking beam: Oscillating
beam used to produce the rise &
fall of the tools in cable-tool
drilling.

عارضة المسير - عاتق المسير: عارضة أو
عاتق مُهتَز أو متذبذب يُستخدم لإحداث
ارتفاع وانخفاض في معدّات الحفر الموجودة
في آلة الحفر بالدق أو الطرق الخاصة بحفر
الآبار المائية.

ذراع مُترجّحة: ذراع مُترجّحة لإعمال
معدّات الحفر الكبلى.

(*) جديرٌ بالملاحظة أن المعجم إياه يورد "منسوب" مقابل stage في مدخلين مقابل water stage (رقم
٢١٥٧ و ٢١٥٨) ، حيث وُفق العاملون هناك في الوقوع على المرجع المُصطلحيّ المناسب.

29) Advection: Phenomenon of cold air mass intruding & interrupting evaporation & causing condensation due to heat loss.

خاصية الحمل: هي الظاهرة التي يسببها (لعلها "التي تُسببها كتلة") الهواء البارد التي تقتحم وتغزو الهواء مسببة انقطاعاً في التبخر وتكثيفاً للماء وذلك بسبب فقدان الحرارة أو الخسارة في الحرارة.

"الحمل" هو المصطلح الحراري المتعارف مقابل convection ، ونحن هنا بصدد مصطلح آخر هو advection اصطلاح على أن يقابله بالعربية مصطلح التأفق (*).

93) Anticline: Upfolded stratum.

مُحدَّب: طبقة مطوية نحو الأعلى.
مُحدَّب مُقابل convex. هنا "طية مُحدَّبة" أو "حدبة" أو "قبوة" أو "حنيرة".

163) Bathometer: Instrument for measuring water depths in wells.

عداد قياس عمق مياه الآبار (جهاز قياس عمق ماء الآبار): جهاز لقياس أعماق المياه في الآبار.

2135) Water hammer: Abnormally high pressure rise in a pipe when sudden changes in flow occur.

ارتفاع ضغط الماء المفاجيء في أنبوب ما: ارتفاع عالٍ في ضغط الماء وبشكلٍ شِبادٍ غير طبيعي في أنبوب ما عند حدوث تغيرات مفاجئة في الجريان والتدفق المائي. طَرَقُ الماء: ارتجاجٌ بطَرَق الماء على جدران الأنبوب عند توقّف أو اضطراب السريان (وارتفاع الضغط) فجأة. (أهل الصنعة يقولون "طرق الماء").

* موادّ الفئة الثالثة مُختارة لعللٍ مُصطلحية أو منهجية أساساً ؛ لكن يظلّ العاملُ اللغوي - من حيث لغتنا الأصل والهدف - في كثير من الحالات ، أحسدّ مُسببات الخلل المُصطلحي فيها.

إليكُم العينات من هذه الفئة:

16) Acidizing of wells.

إضافة حمضٍ إلى البئر.

إحماضُ البئر.

(*) ويؤيد مناسبة هذا المصطلح التعريف الذي يورده معجم وبستر الجدول الثالث مقابل

advection الذي نصّه: The horizontal movement of a mass of air which causes changes in temperature or in other physical properties of air; of. Convection كذلك تتأكد لنا صلاحية مصطلح التأفق بمقارنة التعريف العلمي لمصطلح أحسر ذي علاقة هو

مصطلح advection fog الذي يقابله بالعربية مصطلح "ضباب التأفق" Advection fog: a type of fog caused by the horizontal movement of moist air a cold surface and the consequent cooling of that air to below its dew point.

مِعْمَاق ، مِقْيَاسُ أَعْمَاق : جِهَازُ قِيَاسِ
عُمُقِ الْمِيَاهِ فِي الْآبَارِ. (وَلَا دَاعِي
لِلْمِصْطَلَحِينَ الَّذِينَ يَصْلُحُ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا شَرْحًا لِلْمِصْطَلَحِ الْإِنْكَلِيزِيِّ لَا
تَسْمَةُ لَهُ).

214) Butterfly valve.

صِمَامٌ عَلَى شَكْلِ فَرَّاشَةٍ.

صِمَامٌ فَرَّاشِيٌّ.

275) Chain gauge: Water level
measuring device consisting of a
chain.

جِهَازُ قِيَاسِ مَنْسُوبِ الْمَاءِ الْقَائِمِ عَلَى
اسْتِخْدَامِ السَّلْسَلَةِ: جِهَازُ قِيَاسٍ لِمَنْسُوبِ
الْمَاءِ مُؤَلَّفٌ مِنْ سَلْسَلَةٍ.

مُحَدَّدُ قِيَاسِ سِلْسَلِيٍّ. (لَمْ نَقُولْ فِي ثَمَانِي
كَلِمَاتٍ مَا نَسْتَطِيعُ قَوْلَهُ فِي ثَلَاثٍ؟).

283) Check valve.

صِمَامُ التَّأَكُّدِ.

صِمَامٌ صَادٌّ: غَيْرُ مُرْجِعٍ.

(check) فِي هَذَا السِّيَاقِ تَحْمِلُ مَعْنَى
"الْكَبْحُ" وَ "الْصَدُّ" وَ "الزَّنْقُ الْلَارْجُوعُ" ،
لَا مَعْنَى "التَّدْقِيقُ" وَ "التَّأَكُّدُ" وَ "الضَّبْطُ"
(إِلْخ).

338) Concrete.

أَسْمَنْتٌ.

خَرَسَانَةٌ.

390) Core bit: Tubular & internally
hollow drilling bit cutting
cylindrical rock samples.

(*) وَلَا مَانِعَ حَتَّى أَنْ يُقَالَ "لُقْمَةُ لُبِّيَّةٍ" أَوْ "لُقْمَةُ اللَّيِّاتِ".

رَأْسُ الْحَفْرِ الْخَاصِ بِأَخْذِ الْعَيِّنَةِ الْأُسْطُوَانِيَّةِ
الصَّخْرِيَّةِ: رَأْسُ الْحَفْرِ الْأَنْبُونِيِّ وَالْمَفْرَغِ
دَاخِلِيًّا الَّذِي يَقْطَعُ الصَّخْرَ إِلَى عَيِّنَاتٍ
أُسْطُوَانِيَّةٍ.

لُقْمَةُ الْعَيِّنَاتِ اللَّبِّيَّةِ(*): لُقْمَةُ حَفْرِ أَنْبُونِيَّةٍ
لِاقْطَاعِ الْعَيِّنَاتِ اللَّبِّيَّةِ.

479) Derrick: Frame structure
containing hoisting devices in a
drilling installation.

الْمِرْفَاعُ (الرَّافِعَةُ): بِنَاءٌ عَامٌ يَحْوِي أَجْزَاءَ
رَفْعٍ وَتَحْمِيلٍ فِي بِنَاءِ آلَةِ الْحَفْرِ الْعَامَةِ.

بُرْجُ الْحَفْرِ. إِنْشَاءٌ هَيْكَلِيٌّ يَحْمِلُ الرُّوَافِعَ فِي
مُنْشَأَةِ حَفْرِ.

(Derrick) بِالْإِنْكَلِيزِيَّةِ تَحْمِلُ الْمَعْنَيْنِ (١)
الْمِرْفَاعَ (٢) بُرْجَ الْحَفْرِ ؛ الشَّرْحُ الْمُرَافِقُ هُنَا
يُعَرِّفُ الْمَعْنَى الثَّانِي . فَإِذَا نَرِيدُ إِيرَادَ الْمُرَادِ

الْآخَرِ نُضِيفُ حَيْثُ تَعْرِيفُهُ بِمِثْلِ: Any of
various devices for lifting &
moving heavy objects.

نَبِيْطَةٌ أَوْ جِهَازٌ لِرَفْعٍ أَوْ نَقْلِ الْأَجْسَامِ
الثَّقِيلَةِ.

799) Fumarole: Volcanic
exhalation of gases mainly water
vapor.

فُتْحَةٌ بُرْكَانِيَّةٌ تَخْرُجُ مِنْهَا الْغَازَاتُ الْحَارَّةُ
وَالْبُخَارُ: نَفْثُ بُرْكَانِيٍّ لِغَازَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ
وِخَاصَةً بِخَارِ الْمَاءِ.

نافثة (بركانية) أو داخنة: زفرٌ بركانيٌّ غازيٌّ مُعظَمُهُ من بخار الماء.

(ولعلَّ التعريف التالي هو الأفضل: "فوهة بركانية تنبعثُ منها الأدخنة والغازات").

1000) Imbibition: Fluid displacement in porous media due to capillary forces alone.

امتصاص (إزاحة السائل بالخاصية الشعرية): إزاحة سائل ما في وسطٍ مسامي بسبب تأثير القوى الشعرية وحدها.

تشرب. ("امتصاص" مُقابل absorption أو suction).

1002) Impedance: Apparent resistance of a conductive system when alternating current is applied.

مُقاومة ظاهريّة (إعاقة التيار المتناوب):

المقاومة الظاهريّة لنظام ناقل أو جملة ناقلة

كهربائيًا عند تطبيق تيارٍ متناوبٍ عليها.

مُعاوَة: المُقاوَة الظاهريّة لمنظومةٍ مُوصَّنةٍ

عند تسليط تيارٍ مُتناوبٍ.

("مُقاوَة" مُقابل resistance. ومصطلح

"المُعاوَة" مُقابل impedance هو من

المصطلحات العلميّة المُقرّة من قبل مختلف

الجامع والاتحادات العلميّة العربيّة. أما

"تطبيق" فلا يَسْتَسِيغُها السِّياق مُقابل

apply (هنا).

1057) Interface: Contact plane of two immiscible liquids.

السطح الفاصل بين سائلين غير قابلين للامتزاج (برزخ فاصل): سطح الاحتكاك بين سائلين غير قابلين للامتزاج بعضهما ببعض.

مُصطَلَح "سَطْح بَيْنِي" يُوْدِي كامل معنى المُصطَلَح الأجنبيّ. وتُعرّفه —: سَطْح التماس بين سائلين لا مَزوجِيّين. (لفظة "الاحتكاك" في الشرح الوارد في النص غير مناسبة).

1120) Laminar flow.

جريان خطّي.

جريان صفحيّ. (صفحيّ مقابل laminar

وخطّي مقابل linear).

1176) Magma: Molten rock substance formed within the earth from which igneous rocks originate.

ماغما - مواد صخرية مصهورة ذات

حرارة مرتفعة جدًا: مادة صخرية مصهورة

ذائبة تتشكل ضمن الأرض ومنها تتشكل

أصلاً الصخور الاندفاعية.

صُهارة ، ماغما: مواد صخرية مصهورة في

باطن الأرض تتشكّل منها الصخور النارية

(البركانية. مُصطَلَح "صُهارة" من

المصطلحات الناجحة والشائعة.

1213) Measuring weir: Device to measure flow rates indirectly through the weir head.

شبكة القياس - مصيدة القياس - سياج
قياس: جهاز لقياس معدلات الجريان
بشكل غير مباشر عن طريق رأس شبكة أو
مصيدة قياس معينة.

هَذَارُ قِياس: وسيلة لقياس معدلات التدفق
بشكل غير مباشر من خلال ثلمة في أعلى
الهدار.

1379) Peat: Decomposed mainly
vegetable matter.

نبات مُتَضَخَّم: مادة متفسخة نباتية بشكل
رئيسي. أو نسيج نباتي متضخم جزئياً
بسبب التفسخ الجزئي في الماء ونبات
مختلفة الأنواع.

خُث: مادة نباتية في الغالب متفسخة
ومتفحمة جزئياً.

(مُتَضَخَّم لِجَلِّهَا خَطَأً مَطْبَعِيٌّ لِمُتَفَحَّم).

1414) Photomultiplier:

جهاز القياس في الصور الجوية،
مُضَاعِف ضَوْئِيٍّ أو صِمَامٌ ضَوْئِيٌّ
مُضَاعِف (يُسَمَّى أَيْضاً multiplier)
phototube.

1421) Phreatophyte: Desert plant
with deeply penetrating roots
reaching the water table, growing
mainly along stream course.

نباتات الصحراء ذوات الجذور العميقة التي
تصل لمنسوب المياه الجوفية: نباتات

صحراوية تخترق جذورها أعماقاً تصل إلى
منسوب المياه الجوفية ، وتنمو بشكل
رئيسي على طول مجاري الجداول النهرية.
نُتِبُ المياه الجوفية:...

1515) Quagmire: Wet and unstable
land area.

أَرْضٌ طَرِيَّةٌ هَتَزَةٌ تحت القدم: أرض رطبة
غير مُستَقَرَّةٌ هَتَزَةٌ لأقل حركة.

(أَرْضٌ) سَبَّخَةٌ: أرض رِخْوَةٌ رَطْبَةٌ وغير
مُستَقَرَّةٌ.

1518) Quicksand.

رمل متحرك أو زاحف: رمل مفتت ممتزج
مع الماء تغرق فيه المواد الثقيلة بسرعة
كبيرة.

رملٌ سَوَاخٌ ، وَعَثٌ: رملٌ سريع الانهيار.

1570) Redox potential: Oxidction
potential.

كمون الأكسدة والإرجاع: كمون لعملية
الأكسدة والإرجاع الكيماوي.

جُهد الأكسدة: جُهد الأكسدة
والاختزال.

("كُمون" أو "كامنة" مُقَابِل potential لا

بأسها ، ولكن جرى استحداثها غالباً في
مواقع محدّدة مثل طاقة كامنة

potential energy أو potential

capacity. الإرجاع تقابل reduction في

الطب "للكسور مثلاً" ؛ هنا "اختزال" ل
إرجاع).

1714) Setting of cement.
process of hardening of cement.

وضع الملاط – قساوة الملاط:

عملية القساوة التي تطرأ على الملاط
المستعمل.

شكُ الإسمنت: عملية تصلب الملاط.

1728) Shear strength.

قوة القصّ ، قوّة الجزّ.

المفهوم هنا ليس قوّة القصّ ، أو ما يُقصّ ،
بل "مقاومة القصّ".

1806) Solubility.

الانحلالية – قدرة الانحلال.

الذوبانية أو الذووية: قابلية الذوبان.

(مُصطلح "الانحلالية" يحمل معاني مُتعدّدة
– لعلّ فيها جميعاً شيء من "الذوبانية").

1882) Sublimation: Direct
conversion of water from its solid
state to the vapor phase.

تحوّل من صلب إلى بخار مباشرة.

"التسامي" مُقابل "sublimation" هو
المصطلح المُتعارف في كلّ السياقات –
المادية والمعنوية. (ويمكن إضافة مصطلح
"التصعّد" أيضاً هنا كمرادف).

1939) Syncline.

مُقعّر – مقعّر جيولوجي – حوض
جيولوجي.

مُقعّر مقابل concave ؛ هنا "قَعيرة" ،
"طَيّة مُقعّرة" ، "وَقبة".

2000) Topography: Physical
features of a geographical area.

الطوبوغرافيا: المظاهر الفيزيائية لمنطقة
جغرافية معيّنة.

مُقابل features هنا، الأنسب "مَعالم". أما
physical فالمُقابل المناسب لها هنا "طبيعي".

2093) Vesicular: Containing small
circular cavities.

تكهُفِي ، ذو فتحات كهفيّة : يحوى على
كهوف أو تكهُفَات صغيرة دائرية الشكل.
حُويصلي ، مُفجّى : يحوى فجوات دائرية
صغيرة.

(عندما نتكلم عن vesicular المفهوم هنا
تنفّطات أو مَجَلات صغيرة كما على الجلد
أو فى النباتات الطافية أو بنية الصخر أو
المعدن الإسفنجيّ القوام. مفهوم الكهوف
شيء آخر).

2117) Washover: Liberating a
stuck tool by drilling over it with
an overshot (Surforage "F").

تنظيف علوى من أجل تحرير مُعدّات حُفَر
عالقّة في بئر ما؛ تحرير آلّة أو إحسدى
معدّات الحفر العالقّة في مكان ما في البئر
وذلك بالحفر فوقها بواسطة آلات مسنّنة
وإخراجها بعد ذلك.

اجترافٌ فوقى: تحريرٌ عُدَّةٍ عالقةٍ بالحفر فوقها بأداة التقاط السواقط.

(overshot: a fishing tool sued to recover lost pipe in a drilled well).
2224) Xerophyte.

نبات متلائم للحياة مع نقص المياه في بنيته: نبات متلائم بنيويًا للحياة والنمو بقدر محدود من الماء وخاصة عن طريق ميكانيكية أو آلية الحد من النتج النبلى أو عن طريق القيام بتخزين الماء في بنيته المميزة.

نباتٌ جفافى^(*): نباتٌ مُكَيَّفٌ للحياة والنمو بالقليل من الماء بوسائل متنوعة (كتشخُّن الأدمة أو التغشى الراتينجى أو الزغب الكثيف) تحدُّ من النتج أو تتيح إمكانية لاختزان الماء (كنباتات الصحلى والسبخات الملحية أو الحامضية).

*العينات التالية اخترتها من قراءاتى فى مشروع معجم مصطلحات المياه لعلل فى مجالات الدَّراية والفِطنة والمنطق والمُخيلة والسليقية... إلخ مما أدرجته كأساسية رابعة فى مُتطلبات المصطلحية الفاعلة ، وهذه العينات أيضًا لا تخلو - كسابقاتها من خللٍ فى الأساسيات الأخرى. فهذه الأساسيات ، فى الواقع، مترابطة ومتشابكة

ومتأثرة بعضها مع بعض ، وبعضها فى بعض. إليكم الأمثلة:

11) Acclivity: Ascending slope.

ارتفاع (انحدار نحو

الأعلى) : ميلٌ باتجاه الأعلى "حدور صاعد" هو المصطلح المناسب.

(فمن الواضح أن "ارتفاع" لا تؤدى المعنى المقصود ، وقولنا "انحدار نحو الأعلى" ربما صحيح على مقلوبيته ، ولكنه "كلامٌ مُخالفٌ لمنطق اللغة - الناس يفهمون "انحدر" بمعنى "هبط" و "نزل" و "انحط" ؛ لذا نقول "حدور" ، فنكسبها مفهوماً علمياً مُميّزاً وصورةً فكريةً مُستقلة).

590) Driven well: Well driven into loose sedimentary material by impacts of a driving mechanism.

بئر مُساقة - بئر مُقادة (بئر مطروقة): بئر مساقة ضمن مواد مُفتته عن طريق الثقل والتأثير الخاص بميكانيكية الإقحام والنقل.

هذه البئر لا "مُساقة" ولا "مُقادة" ، فليس السياق هنا سياق "سوق" أو "قيادة" مثل to drive a car or to drive a campaign بل سياق to drive a nail ؛ والمصطلح المناسب هو: بئر الدق. (وكون المصطلح الإنكليزى يرادف tube well فإن أفضل "بئر أنبوبية"): بئر تُحفر بدق أنبوب ذى

(*) ولعل المصطلح العربى الذى يترجم الجذرَيْن اليونانين xero- = dry و phyte = plant أدق دلالة

وأكثر وضوحاً من "المصطلح" المعطى الثمانى الكلمات.

طرف مُدَبَّب مُثَقَّب عبر طبقات رِخْوَة (بِأَلْيَةِ دَقٍّ).

829) Geologic conditions

شروط جيولوجية (ظروف جيولوجية).
"ظروف جيولوجية". "شروط" لا مُسَوِّغ لها هنا. (بِخَاصَّةٍ أَنهَا تَرِدُ فِي شُرُوحٍ أُخَرَى دُونَ ذِكْرِ ظُرُوفٍ).

913) Gun perforator.

بُنْدُقِيَّة ثاقبة (بُنْدُقِيَّة ثَقْبِ الْفَتَحَاتِ).
مِثْقَب مُسَدِّسٍ أَوْ مُسَدِّسُ ثَقْبٍ.
(صَحِيحٌ أَنَّ "بُنْدُقِيَّة" تُقَابِلُ "gun" ، لَكِنِ السِّيَاقُ هُنَا يَتَجَاوَزُهَا ؛ فَمَا يُسْتَحْدَمُ هَذَا الْغَرَضُ لَا يُشَبِّهُ الْبُنْدُقِيَّةَ).

919) Hardness of water.. قَسَاوَةُ الْمَاءِ.

"عُمُورُ الْمَاءِ" هُوَ الْمُصْطَلَحُ الْمُنْطَقِيُّ وَالْمُتَعَارَفُ مِنْذُ أَجْيَالٍ.

923) Head water: Upper reach of a stream.

المياه الرأسية: أعلى ما يصل إليه ماء مجرى معين.

مياه الأعلى أو أعلى النهر (أو المجرى): على مقربة من المنبع.

(المياه الرأسية تفترض المقارنة مع المياه الأفقية).

1056) Interdigitation: Lateral interlocking of sedimentary series.

إغلاق إصبعي للصخور: تداخل وإغلاق إصبعي على جانبي سلسلة صخور رسوبية معينة.

تصابع أو تشابك إصبعي أو تواشج إصبعي. ونشرحه بـ: تشابك جانبي لأنماط صخرية رسوبية. (وهكذا نتجنب إهمائية الشرح الوارد).

1415) Phreatic decline: Downward movement of water table.

الحركة السفلية لمنسوب الماء: حركة نحو الأسفل لمنسوب المياه الجوفية.
انخفاض المياه الجوفية: انخفاض مستوى المياه الجوفية.

1428) Piezometer: Pressure reading and measuring instrument.

بئر مراقبة - بيزومتر: جهاز لقياس الضغط وقراءته في المياه الجوفية.

بيزومتر: جهاز لقياس ضغط السائل قوامه أنبوبة يتصل أسفلها بقاع الوعاء وأعلاها مفتوح. (ويعجب القارئ أن تكون "بئر مراقبة" جهازاً).

1437) Pipe coupling.

وصلة الأنبوب ، وصلات الأنابيب.
(Manchon de tubage "F").
قارنة أنابيب (ملوثة الطرفين).

1468) Pore space: Space occupied by voids, containing gases or liquids in a rock sample.

المسافة بين الفتحات الصخرية – المسافة بين الفراغات والمسامات.

المسافة أو الفراغ الذى تحتله الفتحة أو السُّم ويحوى غازاً أو سائلاً فى عينة صخرية مُعينة.

الحيزُ المَسامى: حيزُ الفراغات المليئة بالغاز أو السائل فى عينة صخرية.

1499) Puddle: Water collecting in very small surface depressions.

بحيرة صغيرة مستنقعية ، بحيرة وحلية صغيرة: مياه متجمعة فى المنخفضات السطحية الصغيرة جداً الموجودة على الأرض.

بُريكة: مياه قليلة متجمعة فى مُنخفضٍ سطحيّ ضحل.

(فى المعارف المألوف لا ينطبق لفظ "بحيرة" عليها مهما صغرَتْها).

1561) Recipient: Vessel receiving liquid in volume measurements.

الوعاء المُتلقى – وعاء السائل المُستلم: وعاء يتلقى السوائل على شكل مقاييس وقياسات حجمية.

نقبل "الوعاء المُتلقى" ولو أن لفظة "المُتلقى" أو "المُستقبل" تكفى وحدها. أما الشرح فغريبُ الصياغة ، وهو قد يُترجم ببساطة:

وعاء يتلقى (أو تلقى) السائل فى قياسات الحجم (أو القياسات الحجمية).

1978) Threshold saturation: Saturation below which no flow occurs.

عتبة الإشباع – بداية الإشباع أو التشبع: الإشباع الذى لا يحدث تحته جريان (تدفق).

إشباعٌ مشرفى. والسَّياق هنا ليس "بداية الإشباع" بل بداية السَّريان – يعنى "منتهى الإشباع" الذى بعده يبدأ السَّريان (إذ تكونُ فراغات التربة قد امتلأت وتشبعت)، ودونه لا يحدث سَّريانٌ (وهو ليس تدفقاً هنا).

2031) Tree mold: Hollow mold left by a tree trunk in a lava flow.

جذع الشجرة المُتَحجَّر – قالب شجر متحجَّر: قالب متحجَّر ذو ثقب أو فتحة ناتج عن جذوع الأشجار المتبقية فى مناطق تدفق الصُّبات البركانية أو اللافا.

قالب شجرى: قالبٌ أجوفٌ خلفه جذعُ شجرةٍ فى فيضٍ لابي.

(القالب هنا فراغ كان يملؤه جذعُ شجرةٍ زمنَ الفيض اللابي).

2115) Washer.

غاسِل – غسَّالة – رُنْديلة وصل معدنية. (Rondelle "F").

فَلَكَّة. (كمرادف لـ "رُنديلة" ؛ ولا مجال لـ "غاسيل" و "غَسَّالة").

2227(& 26) Zero adjustment:
Adjustment of a scale on a
measuring circuit to an original
point of departure.

صفر التعديل - صفر الضبط والتنظيم:
تعديل وضبط مقياس مُدرَج ما أو دارة
قياس معيَّنة إلى نقطة أصلية للانحراف.
ضبطُ (قراءة) الصفر: ضبطُ قراءة الصفر في
جهاز القياس.

(المقصود "عملية الضبط إلى قراءة الصفر"
وليس "تدریجة الصفر").

*الأساسية الخامسة لعلها ألفباء المنهجية
المصطلحية وأبسطُ مقوماتها - وهي تفترضُ
التنقيب عن المصطلح المقابل المناسب في
المعاجم أو المؤلفات ذات العلاقة قبل أن
يُصار إلى وسائل أخرى تدرج فيها
الأساسيات التي أشرت إليها ، ضمنَ

مبادئ منهجية مصطلحية أخرى - اشتقاقية
أو مجازية أو تعريبية أو ما سوى ذلك.

واللافتُ أن ثَبَّتَ المراجع على غناه
بالمراجع الأجنبية^(١) تَجِدُهُ قاصراً في المراجع
العربية^(٢) - بخاصة المراجع ذاتَ

العلاقة بعلم المياه التي سبق أن تعرَّفنا
بعضها على صفحات "اللسان العربي"^(٣)
مجلة مكتب التنسيق - بل مجلة أهل العريفة
على اختلاف مشاربهم.

إنَّ عَزَوَ المصطلحات العربية الواردة في
مشروع المعجم هذا إلى المراجع العربية
المذكورة في مقدمته كمراجع لهذه
المصطلحات على قلتها ، هو إجحافٌ
بحَقِّها - إذ أن التعديلات التي أثبتُّها، في
معظمها، تعكسُ إلى حَدٍّ ما في المعاجم
العلمية الثلاثة (بخاصة ثالثها) من تلك
المراجع. ولا أجدُ داعياً لمزيدٍ من الأمثلة

(١) ١٧ بالفرنسية ، ٢١ بالإنكليزية ، ٢ بالألمانية.

(٢) ٦ معاجم هي التالية:

معجم الجيولوجيا (إنكليزي-فرنسي-عربي)، مكتب تنسيق التعريب، الرباط ١٩٧١.

معجم الفيزياء أو الطبيعة (إنكليزي-فرنسي-عربي)، مكتب تنسيق التعريب، الرباط ١٩٧١.

معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية (إنكليزي-عربي)، أحمد شفيق الخطيب، ط٥، بيروت ١٩٨١.

المورد (إنكليزي-عربي)، منير البعلبكي، ط١٧، بيروت ١٩٨٣.

القاموس العصري (إنكليزي-عربي)، إلياس انطون إلياس، القاهرة ١٩٦٣.

الوسيط (عربي - عربي) ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة .

(٣) أذكر منها: "معجم مصطلحات علوم المياه"، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٨؛ معجم الهيدرولوجيا، مجمع اللغة العربية،

القاهرة؛ معجم المصطلحات الهيدرولوجيا، إصدار اليونسكو بالتعاون مع الألكسو والمئات العربية المتخصصة ١٩٨٣؛ معجم هندسة

المياه، (إنكليزي-فرنسي-عربي)، محمود فوزي عبدالعزيز من جامعة القاهرة، أكاديميا، بيروت ١٩٩٤؛ ولا بد أن هنالك الكثير غيرها.

على هذه الأساسية، بعد الذى قرأته على مسامعكم منها فى استعراضى للأساسيات الأربع السالفة^(١)، ففيه الأمثلة الكافية الوافية.

أيها الزملاء الذين يُهمُّهم الأمر: إننى أدرى طبعاً أن هذا المشروع كسواه من مشاريع مكتب التنسيق سيمرُّ على ندوة ثم على مؤتمر تعريب، يُختار أعضاؤهما من خيرة علمائنا.

ولكن ماذا تفعل ندوة فى مدى أربعة أيام عمل لمدارسه مثل مشروع هذا المعجم، ضمن خمسة مشاريع أخرى. إنَّ أربعاً وعشرين ساعة عملٍ لن تكفى لإنجاز الكثير أمام خمسة مشاريع، مداخلها تفوق العشرة آلاف مدخل - يعنى أن معدّل الزمن المخصّص لدراسة المصطلح من المشاريع الخمسة لن يتجاوز عُشرَ الدقيقة! إنَّ البستَّ أو السبع الثوانى لا تكاد تكفى لقراءة مادة المدخل وشرحه، فكيف للتداول فيه^(٢)

والشئ نفسه يصدّق على مؤتمرات التعريب، فقد أجريت عملية

حسابية بسيطة على مجمل ما أقرته مؤتمرات التعريب الخمسة (من الثانى إلى السادس)، فبلغ معدّل نصيب المصطلح ٢,٤ الثانية^(٣).

الندوات والمؤتمرات يأسدتى فائقة الأهمية بالطبع، ومؤتمراتنا السنوية هنا خير شاهد على ذلك - لكن ما نتداوله هنا هو مادة خضعت لتدارسٍ ومقارنة ومراجعة لجان مُختصة على مدى اثني عشر شهراً، وتستوفى مناقشة المصطلحات خلال المؤتمر عادة ما تستلزمه من وقت. ونحن نرى أن مكتب تنسيق التعريب، بدعم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مؤهل لتحقيق مثل ذلك - بانتظار أن يتحقق لنا بعض ما سمعناه أو قرأنا عنه من مشاريع كمثل "الجامعة العربية للدراسات" - التى ألح إليها مراراً سيادة الدكتور محي الدين صابر^(٤) الأمين العام السابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أو "مشروع جامعة التعريب" التى دعا، ولا يزال يدعو إليها سيادة رئيس مجمع اللغة العربية

(١) ما أتوقعه فى تحقيق هذه الأساسية سرّنى أن أجد تطبيقاً عليه فى مشروع معجم مصطلحات التقنيات التربوية (وهو أحد مشروعات المعاجم الخمسة التى نحن بصددّها) حيث أدرج فريق العمل برئاسة الدكتور محمد ملوك وإشراف كلية علوم التربية بالرباط، مقابل كل مدخل جملة من المصطلحات المنتقاه من كثرة من المعاجم والمراجع ذات العلاقة مرفقة بأرقام مراجعها.

(٢) فى مداخله لمكتب تنسيق التعريب فى مؤتمر التعريب السادس ترد فى ص ٢٤ من اللسان العربى العدد ٣١ ديسمبر ١٩٨٨، نقراً شكوى من "عدم كفاية المدة المخصصة لندوات تنقيح المعاجم مما يدعو فى بعض الأحيان إلى متابعة المراجعة بفريق عمل محلى".

(٣) انظر الملحق ص ٢٧.

(٤) ص ٣١٩، اللسان العربى، العدد ٢٢.

الأردني الزميل الكريم الدكتور عبد الكريم
خليفة، أو كأن يتحقق حلٌّ كان الملح إليه
سيادة الدكتور عبد الهادي أبو طالب المدير
العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم
والثقافة في إمكانية أن يصبح مكتب تنسيق

التعريب السلطة العربية العليا التي تتمثل
فيها جميعُ الجامعات اللغوية والمؤسساتُ
العربية العاملة في مجال التعريب^(*).

أحمد شفيق الخطيب
عضو المجمع المراسل من فلسطين

(*) ص ١٨، اللسان العربي، العدد ٣١.

ملحق - المعاجم الموحدة

في مؤتمرات التعريب (١٩٧٣-١٩٨٨) (*)

الرقم الترتيبي	اسم المعجم	رقم المؤتمر	عدد المصطلحات	سنة الطبع	مكان المؤتمر وزمانه
١	معجم الحيوان	الثاني ١٩٧٣	٢٨٩٩	١٩٧٦	الجزائر
٢	معجم الطبيعة (الفيزياء)	الثاني ١٩٧٣	٢٨٢٠	١٩٧٧	٢٠-١٢
٣	معجم الكيمياء	الثاني ١٩٧٣	١٩٢٠	١٩٧٧	ديسمبر ١٩٧٣
٤	معجم النبات	الثاني ١٩٧٣	٤١٤١	١٩٧٨	(كانون الأول)
٥	معجم الرياضيات	الثاني ١٩٧٣	١٨٤٠	١٩٧٩	
٦	معجم الجيولوجيا	الثاني ١٩٧٣	١٧٩٧		
٧	معجم الجغرافيا والفلك	الثالث ١٩٧٧	٨٣٣	١٩٧٧	١٦-٩
٨	(المجموعة الأولى)	الثالث ١٩٧٧			فبراير ١٩٧٧
٩	معجم الفلسفة والمنطق	الثالث ١٩٧٧	١٨٥٨	١٩٧٧	(شباط)
١٠	معجم الصحة وجسم الإنسان	الثالث ١٩٧٧	٢١١٠	١٩٧٧	
١١	معجم الرياضيات	الثالث ١٩٧٧	١٦١٣	١٩٧٧	
١٢	معجم الإحصاء	الثالث ١٩٧٧	٥٥٦	١٩٧٧	
١٣	معجم الفلك (المجموعة الثانية)	الثالث ١٩٧٧	٤٧٩	١٩٧٧	
١٤	معجم الرياضيات البحتة والتطبيقية (المجموعة الأولى)	الثالث ١٩٧٧	١٩٣١	١٩٧٧	
١٥	معجم الكهرباء	الرابع ١٩٨١	١٣٨٤		طنجة ٢٠-٢٢
١٦	معجم هندسة البناء	الرابع ١٩٨١	١٤٤٩		ابريل (نيسان)
١٧	معجم المحاسبة	الرابع ١٩٨١	١٢٢٦		١٩٨١
١٨	معجم التجارة	الرابع ١٩٨١	٦٦٠٧		
١٩	معجم النجارة	الرابع ١٩٨١	٩٤٩		
٢٠	معجم البترول	الرابع ١٩٨١	١٠٢٦٥		
٢١	معجم الجيولوجيا	الرابع ١٩٨١	٣٢٩٤		
٢٢	معجم الحاسبات الإلكترونية	الرابع ١٩٨١	٣٤١٤		

الرقم الترتيبي	اسم المعجم	رقم المؤتمر	عدد المصطلحات	سنة الطبع	مكان المؤتمر وزمانيه
٢٣	معجم الفيزياء النووية	الخامس ٨٥	١٤٧٢	١٩٦٩	عمان ٢٢-٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥
٢٤	معجم التربية	الخامس ٨٥	١٧٦٣		
٢٥	معجم الاجتماع والأنثروبولوجيا	الخامس ٨٥	١٠٩٦		
٢٦	معجم الفيزياء العامة	الخامس ٨٥	٥٤٣٨		
٢٧	معجم الكيمياء العامة	الخامس ٨٥	٢٨٧٢		
٢٨	معجم علم اللغة واللسانيات	الخامس ٨٥	٣٢٦٢		
٢٩	الألعاب الرياضية (الجزء الأول)	الخامس ٨٥	٢٦٢٧		
٣٠	المعجم العربي الزراعي	الخامس ٨٥	٧٥٠٠		
٣١	المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الإحصائية	الخامس ٨٥	٢٣٥٧		
٣٢	معجم القاموس العام لمصطلحات السكك الحديدية	الخامس ٨٥	١١٦٧٩		
٣٣	معجم الاقتصاد	السادس ٨٨	١٨٨٤		الرباط ٢٦-٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨
٣٤	معجم الجغرافيا	السادس ٨٨	٢٦٢٦		
٣٥	معجم الموسيقى	السادس ٨٨	٨٤٦		
٣٦	معجم الآثار	السادس ٨٨	٢٨٦٢		
٣٧	معجم القانون	السادس ٨٨	٢٢٤٧		
	مجموع عدد المصطلحات الموحدة		١٠٧٤٧٣		

١٠٧٤٧٣ مصطلح في ٢١ يوم عمل (أو في ١٢٦ ساعة عمل)
 أى بمعدل ١٤,٢ مصطلح في الدقيقة "بواقع ٤,٢ ثانية لكل مصطلح".

بحوث لم تُلقَ في المؤتمر

مسائل في العربية وتعلّمها

للأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

استأثر "النحو" بأكثر الجهود العلمية للباحثين في موضوعات اللغة العربية ومسائلها، فصدرت عنه وعن "إحيائه" وتجديده وتقريبه وتيسير تدريسه: كتبٌ مستقلة، وفصول في كتب، ومقالات، ونُظِّمت له مؤتمرات وندوات، قدّمت فيها بحوث، ودارت حولها مناقشات، وانتهت بنتائج وتوصيات. ومع ذلك ظلّ النحو حيث كان، ولم تنجح تلك الجهود كلها في إقامة ألسنة المتحدثين وسلامتها من شيوخ اللحن، واقتراف أغلاط لا تكاد تخلو منها فقرة من فقرات حديثهم في محاضراتهم، وخطبهم، ومرافعاتهم القانونية، وبثّهم الإذاعي، مع أنهم درسوا هذا "النحو" ثمانى سنوات على الأقل في مراحل التعليم العام دراسةً مفصلة، تتكرّر فيسها بعض موضوعاته في السنوات الدراسية المتتابعة، وذلك قبل أن يلتحقوا بمختلّسف التخصصات الجامعية من حقوقيّة واقتصادية وهندسية وطبيّة... وظلّت المعضلة تدور على نفسها وتديرنا معها،

حتى استشرت وتفاقت وأصابت بدائها كثيراً من علماء الدين وأساتذة اللغة العربية نفسها. فزاد اللحن مع زيادة الدراسات والمؤتمرات والندوات والاقتراحات عن تيسير "النحو" وتعليمه. فما هو الداء الحقيقي؟ وأين يكمن؟ وهل له من علاج؟ وهل أخطأته الجهود السابقة كلها؟

ليس من هدفنا هنا أن نقف عند هذه الأسئلة عن النحو وتعليمه، وإنما اتّخذنا موضوع النحو مدخلاً يقودنا إلى الحديث عن مسائل أخرى في أساليب تدريس اللغة العربية نرى أنها أدّت إلى ضعف هذه اللغة عند الطلبة، ثم صاحبهم هذا الضعف في مراحل حياتهم، على حين كان المقصود من تلك الوسائل أن يكون فيها العلاج.

ذلك أننا نرى أحياناً عند غيرنا من الأمم ما يستهويننا، فنحب أن يكون عندنا، ونظنّ أنه وسيلة الحضارة وسبب التقدّم. نرى أمراً هناك نريده هنا، دون معرفة بتغاير الحالتين واختلاف الطبيعتين، وشتان

ما هما، وما أبعد الذى بينهما!، رأينا هناك المظهر فلم نسبر المخبر، وأعجبنا هناك الصفة فلم ندرك حقيقة الموصوف، على حين اتضح ذلك كله لشاعرنا أبي الطيب حين قال:

وقد يتقارب الوصفان جداً

وموصوفاهما متباعدان

والأساليب التى تصلح للغة بعينها-أو لمجموعة من اللغات-لأنها تتفق وخصائصها وتناسب طبيعتها، لا تصلح بالضرورة للغة أو لغات تختلف عنها فى الطبيعة والخصائص. واللغة العربية لغة اشتقاقية، وأكثر اللغات الأوربية تركيبية، واللغة العربية مغربة، وجلّ اللغات الأوربية الحديثة فقدت أبنية إعرابها. ولا بدّ للناظر فى أساليب النهوض باللغات وتطويرها من أن ينظر فى طبائع تلك اللغات، لمعرفة مدى مناسبة الأسلوب لتحقيق غايتها، وإلا انتهى الأمر إلى نقيض المقصود.

ولكنّ بعض رجال التربية(*) يذهب مذهباً مغايراً، ويرى أن "بين اللغات جوانب مشتركة من حيث أسس تكوين

اللغات ومن حيث وظيفتها، فاللغات كلها تشترك فى أنها تتألف من حروف أو رموز تُسمع وتُكتب وتُقرأ، وتتركب منها كلمات وجمل تُؤدى معانى معينة، وتشترك كذلك فى شيوع الاشتقاق فيها قلّ أو كثر. وهى إلى ذلك متشابهة إلى حدّ غير قليل فى مجالات استخدامها. ومن هنا قد تلتقى أساليب تعليم اللغات فيما هو مشترك بينها، وتركز فى الوقت نفسه على ما تختص به لغة دون غيرها، كالإعراب فى العربية والألمانية".

وهذا كلام لا يكاد يختلف أحد معه فى مقدّماته وشيئه الأول. فليس من شكّ فى أن "اللغات كلها تشترك فى أنها تتألف من حروف أو رموز تُسمع وتُكتب وتُقرأ، وتتركب منها كلمات وجمل تؤدى معانى معينة..." ولكنّ الذى نقصده باختلاف اللغات فى "الطبيعة والخصائص" شيء وراء هذه الأمور الظاهرة من الحروف أو الرموز التى تتألف منها كلمات وجمل... هو هذا الذى تنبه له بعض العلماء من أسلافنا فعقدوا له كتباً مستقلة، أو

(*) حيثما نذكر هنا "بعض رجال التربية" فإننا نقصد عدداً من أساتذة التربية فى كلية العلوم التربوية بالجامعة الأردنية، ومنهم الأستاذ الدكتور أمين الكُخن، الذى تفضل مشكوراً بقراءة مسودة هذه الدراسة فأبدى على بعض فقراتها ملاحظات مفيدة وضعناها بين علامتى اقتباس استكمالاً للفائدة، وعلقنا عليه.

فصولاً في كُتب ، وأداروها على "خصائص
العريية"^(١) و "دقائق التصريف"^(٢) و
"النظم"^(٣) في تركيب الجمل ، وغيرها من
المقومات التي تدخل في طبيعة اللغة ، وفي
صميمها ، ولا تتناول المظاهر الخارجية
المشتركة ، والتي تجعل للغة وتراكيبها
"سراً" يحتاج إلى من يكتشفه ويفضّ
ختامه^(٤) . وهذا الذي قدّمناه يجيب عن
النتيجة التي انتهى إليها الاقتباس السابق في
شِقّه الثاني، وهي "ومن هنا تلتقى أساليب
تعليم اللغات فيما هو مشترك بينها..."
وهذا صحيح لو كانت اللغة هي تلك
الحروف أو الرموز، أي محض المظهر
الخارجي دون الجوهر الداخلي.

وأما ما جاء في الكلام السابق من
أن اللغات "تتشارك كذلك في شيوخ
الاشتقاق فيها قلّ أو كثر" فهو حكم
يحتاج إلى فضل بيان، ذلك أن الاشتقاق
"القليل" لا يوصف بأنه "شائع"، والقلّة
والكثرة هما اللتان تفصلان بين خصائص
اللغات وتميزان لغة من لغة، ومناط حديثنا
على اللغات التي "يكثر" فيها الاشتقاق، بل

(١) تأليف ابن جني.

(٢) تأليف القاسم بن محمد المؤدّب.

(٣) انظر آراء عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز".

(٤) ألف أبو بكر الأنباري كتاباً سماه "أسرار العربية".

التي توصف بأنها لغات اشتقاقية، وليس
على اللغات التي "يقلّ" فيها الاشتقاق
بحيث تخرج من أسرة اللغات الاشتقاقية إلى
أسرٍ أخرى غيرها.

ويحتاج توضيح هذا الكلام النظري
إلى ضرب أمثلة من واقع تعليم العربية في
بعض بلادنا:

فمن أمثلة ذلك أننا تعلمنا-فيما
تعلمنا-ضرورة تعويد الطالب القراءة
الصامتة التي لا تتحرك فيها شفاههم، والتي
تَخْطَفُ فيها عيونهم الكلمات والجمل
خطفاً، لأن هذه القراءة الصامتة تزيد من
سرعة القراءة، وتختصر الوقت الذي يقضيه
المرء في المطالعة، في زمن تكاثّر فيه نتاج
المطابع وتفجرت فيه المعرفة، وأصبح المرء
لا يستطيع أن يتابع كل ذلك إذا لم يسرع
في القراءة ليوفّر أطول وقت ممكن لقراءات
أخرى. وهي حجة داحضة، لأن القراءة
الصامتة السريعة التي تَخْطَفُ فيها العين
الكلمات والجمل خطفاً لا تتيح للقارئ
تركيزاً للفكر، ولا تثبيتاً للمعرفة في العقل.
ولا هضمًا لها. وهي صالحة لقراءة القصص

والروايات، وكثير من الأخبار في الصحف والمجلات، وسائر ضروب القراءة الخفيفة التي لا تحتاج إلى تدبر، أو التي تستجلب التسلية، وقد تستدعى النوم. ولكنها لا تصلح لمن يريد أن يقرأ حتى هذه القصص والروايات لتحليلها ونقدها والكشف عن خصائصها اللغوية والفنية، فكيف بمن ينصرف إلى القراءات الجادة الأخرى: كتذوق الشعر الأصيل، أو فهم النصوص الأدبية، أو أى مادة علمية من المواد التي تفجرت بها المعرفة في هذا العصر.

ومع ذلك فإن بعضنا قد يرى أن القراءة الصامتة ربما كانت متفقة وطبيعية بعض اللغات الأخرى ولاسيما اللغة الإنجليزية، لأن كلمات هذه اللغة - كما يقولون - تُكُتَب كما تُقَرَأ، وتُقَرَأ كما تُكُتَب، وهو قول يحتاج إلى فضل تمحيص، وربما ظهرت بجانبه للصواب، إذ ما أكثر الكلمات التي ترسبت فيها - بسبب تطورها التاريخي - حروف سقطت في النطق مع أنها بقيت في الكتابة شاهدة على أصلها القديم. فلو قرأنا تلك الكلمات أو تكلمنا بها مع نطق تلك الحروف كلها، جاءت الكلمات غريبة على أسماع أهل تلك اللغة ومن

يتكلمون بها، واستعجمت على فهمهم. أما اللغة العربية فلا نجد فيها شيئاً من هذه الحروف التي تثبت في الكتابة وتسقط في النطق، بل إن كلماتها تُنطق جميع حروفها المكتوبة (*).

فهم إذن لا يقصدون بقولهم إن كلمات تلك اللغة "تُكُتَب كما تُقَرَأ وتُقَرَأ كما تُكُتَب" حقيقة الأمر، ولا مدحاً للغة الإنجليزية، بقدر ما يقصدون ذم اللغة العربية - بزعمهم - وعيبها وانتقاصها في عيون أهلها ونفوسهم، وزعزعة ثقتهم واعتزازهم بها، لأنها لغة القرآن ولأنها في طبيعة مقومات شخصيتهم. وحين يواجه أصحاب ذلك الرأي بزيغ دعواهم، نراهم يتسللون إلى تثبيت ذلك المعنى بالدوران حوله فيقولون: إن قسارى اللغة العربية يتردد كثيراً في نطق أكثر كلماتها إذا لم تكن مضبوطة بالشكل، ويسكون لذلك عبارة أخرى موجزة كالعبارة السابقة وهي قولهم: "اللغات تُقَرَأ لتُفْهَم واللغة العربية يجب أن تُفْهَم أولاً لتُقَرَأ". ويستشهدون على ذلك بكلمات مثل: "كُتِبَ" فهل هي "كُتِبَ" أو "كُتِبَ" أو "كُتِبَ". وهذا صحيح لا ريب فيه إذا

(*) ماعدا حروفاً قليلة في كلمات معدودة، مثل: الواو التي في آخر "عمرو" للتمييز بينها وبين

كانت الكلمة مُفْرَدَةً مقطوعة من عبارتها، أما إذا كانت جزءاً من جملة مفيدة فإن سياق الكلام ومعناه يَضْبِطَانِ النُّطقَ تلقائياً، أو سَرَّعَانِ ما يصححانه حين يقع فيه التباس. أما حين يكون حرفان على الأكثر من حروف تلك الكلمات المُلتبِسة مضبوطين بالشكل فإن الحجة تسقط من أساسها. والشكل الواجب، بالقدر الكافي، أمرٌ لا غنى عنه في كتب التعليم العام، ليتعود التلاميذ الصورة الصحيحة لنطق الكلمة نظراً، كما يتعودون نطقها الصحيح سماعاً، وقد أصبح هذا الشكل ميسوراً في المطابع الحديثة.

ثم إن القراءة الصامتة قد تصلح للغة كاللغة الإنجليزية مثلاً، لأنهم غالباً ما يعتمدون في تعلّمها على الكتاب ولا يحتاجون إلى السَّماع إلا في كلمات معدودة. وقد كثرت عندهم كتبٌ بعنوان "تعلّم اللغة بغير معلم".

ولكن الأمر في لغتنا على عكس ذلك، فهي لغة اشتقاقية مُعَرَّبة منقوطة، والاختلاف في أبنية كلماتها وفي موازينها للدلالة على المعاني المختلفة إنما يكون بتغيير الحركات وبعض الحروف، ومن قديم وقع

"التصحيف" والتحريف لأن بعض المتعلمين كانوا يأخذون من "الصُّحُف" أى من الكتب، ولم يسمعوها من الشيوخ المعلمين. وأصبح الأخذ عن الشيخ عُرفاً تميز به مجالس العلم ودور التعليم في حضارتنا، استمرّ قروناً إلى أن أخذنا طريقة "القراءة الصامتة"، وطبقناها على أطفالنا وناشئتنا، قبل أن يتمكنوا من لغتهم، ويسيطروا على مخارج حروفها وأساليب نطقها؟

وتنجلي الأمور حين نعرف أن مثل هذه النظريات التعليمية إنما هي تجارب يطبقونها عندهم في مدرسة أو عدد من المدارس التجريبية، ثم لا يلبثون أن يرجعوا عنها حين يظهر لهم فسادها، ولكن بعض الذين درسوا عندهم مثلاً يظنون أن تلك النظريات قوانين ثابتة، وأنها الحقيقة التي لا مِرَّة فيها وأنها الوسيلة للتطور والدخول في العصر. وأقول "بعضهم"، ومعاذ الله أن أنزلق إلى التعميم، فإن منهم من هم في الغاية من الوعي والإدراك والتنبيه لكثير مما أشرنا إليه.

ألا يحتاج الأمر إذن إلى روية، وإلى فحص الأسلوب المستورد وطبيعة الفلسفة لمعرفة مدى التوافق بينهما، حتى لا يكون

الأسلوب المرجو للنجاة سبباً آخر من أسباب الضياع ؟

وقد علق بعض رجال التربية على ما تقدّم من حديث بقوله: "إن استخدام القراءة الصامتة على سعة- في العصر الحاضر- أمر ضروري للطلبة بسبب التفجّر العلمي وأهمية الوقت في مجالات الحياة، وليس معنى هذا أن يحدث إضرار بالقراءة الجهرية، فلها قيمتها ووزنها كما جاء في هذه الدراسة. وواقع مناهجنا أنها تأخذ بهذين النوعين من القراءة، وأن كُتُبنا المطوّرة غُيّت بالتشكيل لدعم القراءة الجهرية، وكذلك الشأن في أدلة المعلمين لتوضيح المسيرة في تعليمها".

وقد ذكرنا فيما تقدّم ذكراً واضحاً لا لبس فيه أن حجة التفجّر العلمي وأهمية الوقت "حجة داحضة لأن القراءة الصامتة السريعة (تحقيقاً لأهمية الوقت) التي تخطّف فيها العين الكلمات والجمل خطفاً، لا تتيح للقارئ تركيزاً للفكر، ولا تثبيتاً للمعرفة في العقل ولا هضمها لها. وهي صالحة لقراءة القصص..." إلى آخر ما ذكرناه قبل صفحات.

أما الحديث عن القراءة الجهرية فقد جاءت في الملاحظة السابقة مقرونة بالقراءة الصامتة، بل ربما تابعة لها. وهذا ما نراه قلباً للوضع. فالأصل أن يبدأ الطفل بالقراءة الجهرية وأن يقضى فيها سنواته الأولى حتى يتعود النطق السليم، ويألف إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة. فلا تتآكل تلك الحروف وتتداخل الكلمات حين يتحدث بها المتحدث، كما يحدث الآن من كثيرين. ثم يبدأ تعويد التلميذ القراءة الصامتة من السنة الرابعة أو الخامسة وربما من السادسة. وبذلك يجمع بين فوائد الطريقتين.

ومن أمثلة ذلك أيضاً أن أهل التعليم في بعض البلاد الأخرى أخذوا بطريقة تعليم الأطفال الكلمة كلّها، وأحياناً الجملة كلّها، دفعة واحدة، قبل البدء بتعليم الحروف مفردة. وتعبنا في اقتباس هذا الأسلوب، وتخبّطنا في تطبيقه، وطال تعبنا وتخبّطنا، إلى أن صار الطفل يقضى في المدرسة أربع سنوات أو تزيد ولا يزال يجهل قراءة سطر واحد من غير الكلمات التي حفظها عن ظهر قلب- لا عن فهم ومعرفة- وأصبحنا نشكو من أن بعض

هؤلاء الأطفال لا يزالون يجهلون كتابة أسمائهم صحيحة بعد هذه السنوات من التعلم. وقد أدركت أمم أوربية أخرى الفروق بين لغاتها في الطبيعة والأصول وبناء الكلمات وصياغة التراكيب، وخاصة تلك اللغات الأوربية التي لا تزال تحتفظ ببقايا من الإعراب^(*)، فلم تأخذ بهذا الأسلوب في تعليم لغاتها، لأنه لا يستقيم به أمرها. ونحن أجدر من تلك الأمم بأن نتأني وندرس الفروق بين طبائع اللغات، ونعرف ما يصلح للغتنا فنأخذ به، قبل أن يستهوينا أسلوب غريب عن طبيعة هذه اللغة لأنه نجح عند غيرنا.

ولكن بعض أساتذة التربية عندنا يرون "أن مدارسنا تأخذ بمحاسن الطريقتين الكلية والجزئية في تعليم المبتدئين، ولا تقتصر على الطريقة الكلية. وقد اتبعت كتبنا المطورة الخاصة بالصف الأول الأساسى هذه الطريقة، معتمدة على خبرة سنوات طويلة ونتائج بحوث في هذا المضمار في عدة بلدان عربية".

ونستطيع أن نستنتج من ألفاظ هذه الفقرة أن الجمع بين الطريقتين أمر حديث جداً، لأنه لم تأخذ به إلا الكتب المطورة

الخاصة بالصف الأول الأساسى، وأن هذا الجمع لم يكن قبل ذلك. وهذا أمر يدعو إلى الاستبشار بمستقبل أفضل للأجيال القادمة في معرفة الحروف والكلمات وتعلم القراءة. ويبقى أننى لم أفهم كيف تأخذ مدارسنا "بمحاسن" الطريقتين. فهل لهما مساوئ تُترك ويُقتصر الأخذ على المحاسن؟ أو أن المقصود الأخذ بالطريقتين من حيث هما أسلوبان لتعليم القراءة.

ويرى صاحب الملاحظات السابقة أننى اتجهت "إلى وضع المسؤولية الكبرى في ضعف اللغة العربية اليوم على طرائق تدريسها. وهذا أمر جدلى فهناك أسباب كثيرة، ومنها أن عزة اللغة مرتبطة إلى حد كبير بعزة الأمة التي تتكلم بها وبمستوى المعلم الذى يعلمها لغة وإعداداً، وبمدى صلة البيئة باللغة العربية أو بُعدها عنها".

وأضاف "إن عدم قدرة بعض الأطفال على كتابة أسمائهم يعود إلى عدة أسباب منها: مستوى المعلم وإعدادة، والفروق الفردية بين الأطفال، وبيئات الأطفال الثقافية والاقتصادية وصلتها بتنمية الاستعداد اللغوى قبل المدرسة. وغيرها من الأسباب إلى جانب الطريقة".

(*) مثل اللغة الألمانية، فهي مُعرّبة تشتمل على قواعد وإعراب ربما يقتربان في دقتهما وتنوعهما من قواعد العربية.

وهذا كله حق، وأشكر الأستاذ
الفاضل لذكره استكمالاً للموضوع.

ومن أمثلة ذلك أيضاً: أنه شاعت
عند غيرنا طريقة تعليم الأدب وتاريخه: نثره
وشعره ، على أساس البدء بالعصور الحديثة
ثم الرجوع منها إلى العصور التي سبقتها
عصراً عصراً. وتلك طريقة لا مفرّ منها،
ولا بديل عنها، في آداب تلك الأمم، لأن
لغاتهم التي يستطيع معرفتها صغارهم
وكبارهم ومثقفوهم ومتعلّموهم، هي اللغة
المعاصرة أو اللغة الحديثة التي لا تمتدّ في
العمر إلى أكثر من ثلاثمائة عام، فإذا وصلت
إلى ما قبل ذلك بقليل استعصت عليهم،
وانبهمت آدابها، واضطّروا إلى تيسيرها
وتقريبها للتلاميذ في مختلف المراحل
بتعليمهم نماذج مختصرة مبسّطة في طبعات
خاصّة، ثم بتقديم الأصول للدارسين-حتى
المتخصصين منهم-مقرونة بشروح مسهبة
لتوضيح غوامض اللغة وغرائب الأسلوب.
أما ما قبل أربعمائة عام فتكاد تكون لغات
آدابهم لغاتٍ أخرى مختلفة عن لغتهم التي
يعرفونها ويفهمونها الآن. ولكن اللغة
العربية التي نعرفها ونكتبها ويتحدث بها
فصحّاؤنا إنما هي لغة واحدة مستمرة ممتدة

على مدى سبعة عشر قرناً ، وكثيراً ما نقرأ
شعراً جاهليّاً وأموياً وعباسيّاً فنحن كأنه
كُتب لنا في أيامنا هذه. ولا حجة لمن
يستشهد بأبيات فيها كلمات غريبة
وتراكيب مستعصية في وصف الصحراء أو
حيوانها أو ما يشبه ذلك من الموضوعات
التي انفصلت عن حياتنا، وأصبحت غريبة
عنا، فانفصلت بذلك ألفاظها وتعابيرها
وأصبحت عسيرة على فهمنا . فهذا ارتباط
طبيعي بين الموضوع والتعبير، أو بين
المضمون والشكل، لأن الصحراء وحيوانها
والصيد فيها، لأن وصف أعضاء المطايا من
الإبل والخيول وما يتصل بها من حياة كاملة
متماوجة، أصبحت كلها بعيدة غريبة عنا،
وهكذا صارت الكلمات الدالة عليها غير
مألوفة لنا، وتحتاج منا إلى البحث عن
معانيها في المعاجم. ومع ذلك فإن كثيراً
من هذه الألفاظ لا تزال مفهومة عند أهل
البوادي والصحاري الذين يألّفون الخيل
والإبل ، ولا يزال شعراؤهم يستعملون
بعضها في شعرهم "النبطي". أما
الموضوعات الإنسانية العامة، المشتركة بين
الناس، المستمرة في نفوسهم، فإن التعبير
عنها مماثل لها في القرب من النفوس،

والأنس بها، وإدراك معانيها، منذ أقدم شعراء الجاهلية الذين وصل إلينا شعرهم. ونستطيع أن نختار مئات النماذج من شعرنا ونثرنا خلال العصور المتعاقبة من أنوس الكلام ومفهوم المعنى، وننشئ عليها أطفالنا، ونربّي من خلالها أذواقهم، ليتمرسوا- في المراحل المختلفة- بأسرار بيان لغتهم، ويألفوا بهجة ديباجتها ونصاعة تعابيرها، بدل الاغتراب عنها، والتخبّط فيما يلقّنونه من بعض هذه الأساليب الحديثة، التي ارتضخ أكثرها العجمة، وارتضع الضعف، فألفاظها- حين تفرق- عربية، ولكنها تتناكر وتتنافر حين تجتمع في جملة متصلة.

أليس هذا أيضاً موضعاً من مواضع التفكير والتدبّر، ومعرفة اختلاف اللغات وآدابها وما يناسبها من أساليب التعلّم والتعليم؟

ومن أمثلة ذلك هذه الدعوة القديمة المتجددة إلى إسقاط الإعراب، واستعمال لغة عربية خالية منه في الكتابة والكلام، على أساس قاعدة وضعوها هي "سَكُنْ تَسْلَمْ"، ولئن جاز ذلك للعوام حين يتحدثون بلهجتهم المحكيّة، فكيف يجوز في

اللغة الأدبية، وفي المواقف العامّة للمثقفين، وفي دروس المعلمين الذين ينشئون أجيال المستقبل، فيسمع الناس منهم، ويتعلّم التلاميذ عليهم، لغةً منفصلة عن أصولها وقواعدها التي يتحدث عنها المتحدثون ويعلمها المعلمون في دروس مستقلة، معزولة عن تطبيقاتها، مقطوعة عن استعمالاتها وعما يسمعه التلاميذ، فتصبح قواعد اللغة ونحوها مجمّدة متحجرة في القواعد نفسها، ولا تناسب حيّة نابضة في الاستعمال من: تكلم وقراءة وسماع. وهو أمر مستنكر في كلّ حالة من حالات الحياة حين تنفصل النظرية عن الواقع، والقاعدة عن التطبيق، فكيف باللغة التي لا تحيا وتستمرّ وتتجدّد إلا من خلال استعمالها استعمالاً صحيحاً متكاملاً!! وكيف ستكون صلة الأجيال القادمة بترائنا الشعري والنثري الذي لا بدّ- لقراءته وفهمه وإقامة وزنه العروضي- من إعرابه وإعراباً واضحاً كاملاً؟ أترى ترمى هذه الدعوة- فيما ترمى إليه- إلى فصل الأمة عن تراثها ومقومات شخصيتها بالتدريج؟ وقد نتج عن تسكين المتحدثين أن أصبحت همزات الوصل تُنطق بالضرورة همزات قطع

لوقوعها بعد حروف ساكنة ، وأصبحت
آذاننا وأذواقنا تعاني أشدَّ المعاناة آلام
الاستماع إلى المذيعين والمعلقين- في
الإذاعتين: المرئية والمسموعة- وهم يرموننا
بهذه الهمزات، فيشوّهون جمال لغتنا.

وهذه الدعوة إلى التسكين إنما هي
في حقيقتها دعوة إلى التجهيل، وتدلّ على
العجز عن التعلّم، وعلى سوء الفهم لطبيعة
اللغة العربية، فالإعراب في هذه اللغة جزء
لا ينفصل عن طبيعتها وتكوينها، وعنصر
أساسيّ في بنائها، وليس حلية خارجية
نضعها عليها حيناً، ونضعها عنها حيناً
آخر. وليس من نتيجة لهذه الدعوة إلا
التدرّج نحو وجود لغات متعدّدة تنفصل
عن اللغة العربية وتعزلها عن الحياة
والاستعمال ثم تُميتها، كما حدث للغة
اللاتينية حين انفصلت عنها اللغات المتعددة
من إيطالية وفرنسية وإسبانية وتوابعها.
والقياس هنا والتشبيه مع الفارق، فما
أوسع البون بين اللغة اللاتينية واللغة العربية
لغة القرآن التي بضياها يضيع كتابُ الله،
وأئني يكون ذلك وقد قال تعالى: (إنا نحن
نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (*)

وأسباب ضعف تعلّم اللغة العربية
كثيرة، بعضها منّا، وبعضها مدسوس
علينا، تضافرت جميعها، فاستعان بها غيرنا
ليوهنا أن هذه اللغة في جوهرها معقّدة
صعبة، وأن ضعف تحصيلها والمعرفة بها إنما
سببه اللغة نفسها، وليس هذه الأساليب
الغريبة عنها، المخالفة لطبيعتها. وأخذ هذا
الوهم يشيع بيننا، ويستقرّ في نفوسنا،
حتى أصبحنا نحن الذين نردده ونؤكد.
ونسينا تاريخ هذه اللغة حين اشترك كثير
من غير أهلها في بنائها الثقافي الحضاري،
فكان من هؤلاء المفسّرون والمحدّثون
والرواة والكتّاب والشعراء والعلماء
والنحاة واللغويون، الذين ينتسبون إلى
مختلف البقاع الإسلامية في أصولهم أو في
نشأتهم، ومنهم من تعلّم العربية ولم تكن
لسان طفولته، فنبغ فيها، وكتب وألف، بل
صار معلّماً للعرب يعلمهم قواعد لغتهم
ونحوها وصرفها وبلاغتها ونقدها. ولم يقل
أحد منهم حينئذ إن العربية لغة صعبة
ليصرف نفسه ويصرف الناس عنها. فما
بالنا اليوم نسمع هذا، ونقوله، ونصدّقه،
ونجد فيه العذر الذي نتكئ عليه ليسوّغ لنا
جهلنا بلغتنا أو ضعفنا فيها؟

وحسبنا أن نستشهد بمثلين على معرفة غير العرب بالعربية وتعلّمهم لها على كِبَرٍ، في زمن قصير: فقد "ذكر نصر بن عليّ قال: كان سيبويه يستملي على حمّاد [ابن سلّمة]^(١)، فقال حماد يوماً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أخذ من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء. فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء. فقال حمّاد: لحتّ ياسيبويه. فقال سيبويه: لا جرّم لأطلبنّ علماً لا تُلحّني فيه أبداً. فطلب النحو ولزم الخليل"^(٢). فسيبويه إذن لم يتعلّم العربية ونحوها صغيراً، ولكنه بدأ بطلب علوم أخرى كالحدّث والفقه، وحين طلب العربية تعلّمها وصار إمام النحو "وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله ولم يلحق به من بعده"^(٣).

أما المثل الثاني فلا يقلّ وضوحاً ودلالة، قال القفطي^(٤):

"حضر أبو منصور الجبّان^(٥) في مجلس علاء الدولة بن فخر الدولة ابن بُوَيْه، وفي المجلس أبو عليّ بن سينا الرئيس، وهو يومئذ وزير لعلاء الدولة، وجرى فصل في اللغة تكلم فيه الرئيس ابن سينا، فقال له أبو منصور: أنت منطقيّ ما نعارضك، وكلامك في لغة العرب ما نرضاه. فسكت أبو عليّ خجلاً. وبعد انفصاله من المجلس نظر في اللغة وتبحّر فيها، وعمل رسائل أودعها نوعاً متوفراً من اللغة. وسأل علاء الدولة ابن الجبّان عما تضمّنه من الغريب، فعلم بعضه وأنكر بعضاً. فقال أبو عليّ [ابن سينا] الكلمة الفلانية معناها كذا، وهي مذكورة في الكتاب الفلاني، وشرح جميعها، وأحال على الأصول. فحجل أبو منصور بن الجبّان، وفطن لما فعله ابن سينا، واعتذر إليه اعتذاراً طويلاً..".

(١) الإمام المشهور في الحديث وشيخ أهل البصرة في العربية.

(٢) السيرافي، أخبار النحويين البصريين: ٤٣-٤٤، اعتنى بنشره فريتس كرنكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦م. وانظر: السيوطي، بغية الوعاة ١: ٥٤٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، عيسى البابي الحلبي ١٩٦٤م.

(٣) المصدر السابق: ٤٨.

(٤) إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤: ١٧٠-١٧١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

(٥) اسمه: محمد بن علي بن عمر، وهو إمام في اللغة، مبرّز في زمانه، له تأليف متعددة.

فابن سينا إذن لم يتعلم اللغة والنحو إلا بعد أن صار وزيراً، فنبع في هذين العلمين كما نبغ في غيرهما من العلوم. أما نحن، أبناء العربية، فإننا في هذا الزمن العجيب نبداً بتعلم العربية: شعرها ونثرها ونحوها، منذ نعومة أظفارنا ونقضى في ذلك السنوات بعد السنوات، ثم نخرج من كل ذلك بخفى حنين، بل لا يكاد كثير منا يخرج حتى بهما!

وإذا كنا قد تأثرنا بنظريات في تعليم اللغة مما عند غيرنا، ومما لا يتفق وطبيعة لغتنا وخصائصها، ومما هو عندهم أكثره من التجارب التي يحصرون تطبيقها في مدارس تجريبية محدودة، وقد يرجعون عنها، ولكنها تظل عند بعض الطلبة الذين يدرسون هناك منا، حقائق ثابتة يروون لها حين يعودون إلينا على أنها أحدث النظريات التي ستصلح حال التعليم في بلادنا، ومرة أخرى أقول "بعض" ولا أعمم... وإذا كان كل ذلك قد زاد أحوالنا سوءاً، ومعرفتنا بلغتنا ضعفاً، فهل جرّبنا أن نولى وجوهنا شطر ثقافتنا، وأن ندرس وسائل التعليم فيها وأساليبه ومصادره، وهي كلّها واحدة أو تكاد، من أقصى بلاد

المسلمين في الغرب إلى أقصى بلادهم في الشرق، وعلى امتدادها في الشمال وفي الجنوب، على مدى ثلاثة عشر قرناً. وقد استطاعت هذه الثقافة أن توحد بين المسلمين على اختلاف أصقاعهم، وأن تزودهم بالعلم الديني والدنيوي، وبالمعرفة المتطورة الأدبية واللغوية والعلمية، النظرية والتطبيقية التي جعلت منهم أساتذة العالم قروناً متطاولة، وأحلتهم منزلة عالية في تاريخ العلم والحضارة، حين كانوا يجمعون بين أصالة المنهج والفكر والانفتاح على معارف الدنيا من حولهم، دون خوف ولا تردد، يأخذون منها ما يناسبهم وما يحتاجون إليه، فيتمثلونه ويهضمونه حتى يصبح جزءاً من ثقافتهم فيزيدها أصالة وخصباً وقدرة على العطاء. ثم أخذت هذه الثقافة بالجمود والضمور والانغلاق واجترار ذاتها حتى نفد ما عندها، فعزلتها المدارس الحديثة وأنظمة التعليم الأجنبية لما فيها من دفق جديد بهر الأبصار وخلب الألباب.

فهل لنا-بعد أن زال بعض أثر ذلك من أبصارنا وألباننا-أن ندرس أساليب تعليم لغتنا: نحوها وأدبها، من

داخل هذه اللغة وثقافتها، وأن ندرس ما عند غيرنا، لا لنخضع له ونقتصر عليه، ولكن لنعرفه ونقابله بما عندنا، ونأخذ منه القدر الذي يفيدنا ونحتاج إليه لتطوير أساليبنا ووسائلنا التعليمية بما يناسب طبيعة لغتنا ومقومات ثقافتنا.

إن إخفاقنا في الماضي القريب وفي الحاضر، لا يجوز أن يكون سبباً للتوقف، بل يجب أن يكون حافزاً لنا على الاستمرار في البحث في قضية تعليم اللغة العربية على الأساسين اللذين ذكرناهما، وهما: دراسة أساليب التعليم في ثقافتنا والاستفادة من

تطور الأساليب الحديثة في تعليم اللغات، دون أن تقسر لغتنا على ما يخالف طبيعتها. وبعد،

فهذه مجموعة من الآراء لا أدعى لها الصواب، ولكنها جالت في الخاطر، فرأيت أن أعرضها عليكم، وأنتم أهل العلم والفضل، لعلّي أقبس من عملكم بعض ما يوضح جوانبها، ويكمل نقصها، ويصحح ما وقعت فيه من خطأ. والله سبحانه الموفق للصواب.

ناصر الدين الأسد

عضو المجمع من الأردن

الطريق إلى توحيد المصطلح العلمى العربى

للدكتور محمود مختار

مقدمة :

"لا حياة للعلم بدون لغة تؤديه . ولا سبيل إلى النهوض به وتقدمه إلا أن يتدارسه المشتغلون به بلغتهم الوطنية" .

سيدى الرئيس، الزملاء الكرام:

بهذا الاستهلال الرائع توج أستاذنا وقائدنا الدكتور إبراهيم مذكور كلمته فى تصدير أحد معجماتنا العلمية . وهو ليس فى حاجة منى إلى تأييد أو تعقيب فهو حقيقة ثابتة ، يؤيدها ازدهار العلم العربى واللغة العربية معاً فى العصر الإسلامى، ويؤكداه وفأؤهما بجميع شؤون الحياة وازدهارها ؛ ثم وركبدهما معا لفترة طويلة مظلمة ؛ انقضت عندما بهرنا العالم بإنجازاته العلمية الحديثة ؛ وقيام العالم العربى على أثرها بجهود مباركة للحاق بها . فأنشئت الجامعة المصرية عام ١٩٢٥ لتعنى بالعلوم الأساسية والتطبيقية ، والى نص قانون إنشائها على أن تكون الدراسة فيها باللغة العربية .

ثم أنشئ بعدها عام ١٩٣٢ مجمع اللغة العربية الذى نص قانون إنشائه على جعل

اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون ؛ وملائمة لحاجات الحياة المتطورة كما نص على دراسة المصطلحات العلمية والحضارية وتوحيدها بين المتكلمين بالعربية ووضع معجمات للمصطلحات العلمية بتعريفات محدودة على النمط الحديث فى العرض والترتيب .

ولكن الجامعة المصرية آثرت آنذاك أن تترىث فى تطبيق ما نص القانون عليه صراحة ، وأجازت الأخذ بذيل استثنائى للمادة يسمح بالدراسة بلغة أجنبية إذا لزم الأمر إلى أن تتوافر مقومات التعريب ووضع المصطلحات . أما مجمع اللغة العربية فقد اقتحم المجال فوراً ونفذ قانون إنشائه بخطى عملية جادة، استهلها بفتح أبوابه وقلبه للعلميين المتخصصين الغيورين على اللغة العربية والتعليم الجامعى معا .

وسرعان ما تضافرت جهود العلميين واللغويين بالجمع، وانصهرت فى بوتقة واحدة يوجهها ويرعاها مجلس الجمع

ومؤتمراته، ويحدوها الوفاء للعلم والإيفاء
بمتطلبات اللغة دون الحيود بها عن مسارها
القوم .

وأثرت الجهود بتوفيق من الله ، فأخرج
الجمع عدداً من المعاجم العلمية المتخصصة
حوت عشرات بل مئات الآلاف من
المصطلحات العلمية الأساسية مقننة ومعرفة
لتكون لبنات للتخاطب والتواصل بين
المشتغلين بالعلم والتعليم . وتقبلتها الهيئات
الجامعية والبحثية بقبول حسن ، حيث
وجدت فيها حافزاً لمسايرة اللغة العربية
للغات العلم المعاصرة . ونشط تأليف
الكتب العلمية وترجمتها، وشغلت فراغاً في
المكتبة العلمية كان شاغراً لأمد طويل .
كما انتشرت المجلات العلمية العربية
وعقدت الندوات والمؤتمرات التي تنادى
بتعريب العلم والتعليم على مستوى العالم
العربي .

وقد حفز هذا النجاح الكثير من الأفراد
والهيئات العلمية واللغوية مصرية وغير
مصرية، فأخرجت هي الأخرى عدداً كبيراً
من المعاجم العلمية ، وهي وإن كانت قد
أغنت اللغة هي الأخرى بالفاظ
ومصطلحات جديدة إلا أن معظمها كان

يحمل الطابع المحلي أو الرأي الانفرادي
والاجتهادي، دون التزام بأسلوب واضح
المعالم، أو منهجية محددة ، أو اتباع لمقومات
المعاجم العلمية الحديثة ، من ذلك خلوها
من تعريف المصطلح أو شرحه، ووضع أكثر
من مقابل عربي واحد للمصطلح الأجنبي
الواحد المتخصص . ولدينا المثل على ذلك
ما أصدره مكتب تنسيق التعريب من
مصطلحات ملأت نحو ثلاثين معجماً
ضخماً خالياً من التعاريف ، فلم تستطع
الإيفاء بمتطلبات الهيئات العلمية والأفراد
وظلت حبيسة المخازن ، كما أنها أصابت
موجة التأليف والترجمة بشيء من الوهن
والقصور، وأشاعت البلبلة واللبس بين
العلميين، وأعادت التواصل والتفاهم بينهم
بلغة موحدة في مصطلحاتها . وكانت
نتيجة ذلك أن أثر الكثير منهم استخدام
المصطلحات بنصها الأجنبي في محاضراتهم
أو مؤلفاتهم بصورة لا يقبلها المنطق ولا
الذوق السليم .

منهجية وضع المصطلح العلمي

إزاء هذا الوضع الواهن وضع مجمع اللغة
العربية بالقاهرة منذ أكثر من ١٤ عاماً
أسلوباً علمياً لكيفية وضع المصطلح العلمي

العربي المتخصص أقره مجلسه ومؤتمره عام ١٩٨٠ ؛ واستهله بوضع المبادئ والأسس الواجب مراعاتها لاختيار المصطلح المناسب ثم تلاه بتطبيق هذه المبادئ في العلوم الأساسية بأمثلة للتوضيح .

وأخرج المجمع هذا الأسلوب أو هذه المنهجية كما سماها في نشرة إعلامية وزعت على نطاق واسع بين المشتغلين بالعلم . وانطلاقاً من سنة التطور والتحديث أعاد المجمع النظر في تلك النشرة وصاغها في صورة منقحة جديدة، بنيت على واقع استخدامها وممارسة العلم في ضوئها ومستنيرة بأحاديث المختصين وكتاباتهم، وتوصيات الندوات والمؤتمرات المحلية والإقليمية .

وهي النشرة التي يشرفني أن أضعها بين أيديكم اليوم ؛ والتي أخرجها مقررو اللجان العلمية بالمجمع، وأقرها مجلسه ومؤتمره في العام الماضي .

ويتصدر هذه النشرة التعريف الدولي المقرر للفظ المصطلح العلمي المتخصص والمسجل في جميع المعاجم ؛ وأخذ به معجمنا العربي "الوسيط" حيث ذكر أنه لفظ مصطلح عليه أهل العلم المتخصصون لفهام

والتواصل فيما بينهم . وهو تعريف موجز ومركز يخاطب جميع العاملين في وضع المصطلحات واستخدامها في الهيئات العلمية واللغوية بمفهوم موحد ، وبتطبيق هذا المفهوم الدولي العام على المصطلح العلمي العربي يصبح توحيد رمزاً من رموز الوحدة في الوطن العربي .

ويلي هذا التعريف بيان بالمبادئ الواجب مراعاتها والالتزام بها عند وضع المصطلح وتعريفه، وصاغها في خمسة بنود ، يتصدرها بطبيعة الحال الحفاظ على التراث العلمي العربي بوصفه الأمانة التي يحملها كل عربي غيور على انتمائه لهذا الوطن . ومن المسلم به أن التراث العربي غني بالألفاظ العلمية ، وحتى وإن كان قد تسلت إليه ألفاظ أجنبية دخيلة في عصور الظلام، فإن اللسان العربي قد نبذها واندثر معظمها- أو كاد- كلفظ ما ثيماتيقا وأر ثيماتيقا .

وينص المبدأ الثاني على ضرورة الوفاء بأغراض التعليم والبحث العلمي، ومطالب التأليف والترجمة والثقافة العلمية ، وهو مبدأ لا يحتاج لتأكيد أو تعليق، لأنه مستخلص من قانون إنشاء المجمع ذاته كما قدمت .

أما المبدأ الثالث فيتناول مسأيرة المنهج العلمى العالمى فى صياغة المصطلح وفى تعريفه، ويهدف للتيسير على العلماء فى متابعة العلوم الحديثة وتطبيقاتها على المستوى العالمى، والتفاعل معها على قدم المساواة ودون عزلة عن العالم .

ويهدف المبدأ الرابع لحفز العلماء والباحثين إلى استحداث ألفاظ عربية الأصل لما يستجد من مصطلحات علمية، قبل أن تشوبها الشوائب التى يصعب اقتلاعها إذا ما شاعت واستقرت .

وينادى المبدأ الأخير بضرورة الربط بين المصطلح العلمى وتعريفه باعتبارهما عنصراً واحداً لا ينفصم ، أى أن التعريف هو جزء من المصطلح لا يصلح إلا به ولا قيمة له بدونه .

وتنتقل النشرة بعد ذلك لعرض مفصل لتطبيق هذه المبادئ فى فروع العلم المختلفة وتضعها فى صورة توصيات تتناول أسس كل من الترجمة والتعريب ، ومتى يؤخذ بالترجمة، ومتى يؤخذ بالتعريب ، ثم كيفية صياغة المصطلح فى كل من الحالتين . وقد وضعت المنهجية ترجمة المصطلح الأجنبى إلى لفظ عربى فى المقام الأول ، وهذا مع

ضرورة مراعاة المدلول العلمى للمصطلح الأجنبى دون التقييد بدلالته اللفظية الأجنبية، وتجزى المنهجية وضع ألفاظ غير مألوفة درج عليها المختصون لأداء مفهوم علمى دقيق الدلالة ، هذا كله بالطبع مع تجنب الألفاظ الركيكة والمبتذلة والخاطئة .

وتتناول التوصيات اجتناب الترادف للمصطلح المتخصص دقيق الدلالة، ولكنها قد تجزئه لألفاظ ذات دلالة لغوية أكثر منها علمية شاع استخدامها فى تخصصات مختلفة ، وهذه أمرها متروك للممارسة . وبعد إيفاء الترجمة حقها تتيح المنهجية تعريب المصطلح الذى يصعب ترجمته ، ولكنها تحيطه بقيود واشتراطات تتناول قياسه على اللسان العربى مع الاحتفاظ بجذوره اللاتينية التى أخذ منها ، وبعد أن يستوفى اللفظ مقومات التعريب يعتبر لفظاً عربياً يخضع لجميع قواعد اللغة، من نحت واشتقاق ونسبة وما إليها .

تطلعات

لا أهدف فى هذا الحديث الموجز إلى الغوص فى جميع أرجاء وأعمق وضع المصطلح العلمى، أو إلى كل مساوئها تفصيلاً وتوضيحاً فى المنهجية، فهى بسين

أيديكم وتحت نظركم، ولا أقول إن النشرة قد أملت بجميع جوانب الموضوع، ولكنها تمثل معالم السير في الطريق لكل من يعنى بموضوع المصطلح، وتجنبه الوقوع في مشكلات الترادف والتعاريف التي كادت تهدد أو تؤدي بهدف تعريب العلم والتعليم نفسه .

وأضيف أن من المسلم به أن إخراج المعجم المتخصص للمصطلحات العلمية ليس هدفاً ينتهى بمجرد إصداره ، بل إنه عمل مستمر متواصل ينمو ويتطور كمّاً وكيفاً مسليراً حاجة العلم سريع التطور ، وهذا يعنى ضرورة وجود هيئات دائمة لتحديث المعاجم وتطويرها بعيداً عن الانفرادية والعنجهية التي مهما علا صوتها فسوف يخفت بالاستخدام أو بانقطاع صاحبها. إن عاجلاً أو آجلاً .

وليس وضع المصطلحات هو الهدف الأوحد الكافى لتعريب العلم ، فما زال أمامنا قضايا ومشكلات تتطلب الدراسة والحسم ، ولا تقل أهمية عن المصطلحات نفسها ، كالرموز العلمية، والوحدات والدلالات، وكتابة المعادلات الرياضية والفيزيقية والكيميائية، وقد عقد لها مؤتمر

في الأردن منذ بضع سنوات، ولكنها مازالت في حاجة لأن تحسم وتوحد، وأمامنا كذلك مشكلة الألفاظ التي تكونت من مبادئ كلمات أجنبية مثل الليزر والرادار وهي في حاجة لوضع ضوابط لها . وأمامنا مشكلة استخدام السوابق واللواحق وكيفية إلحاقهما بالألفاظ العربية، لحل مشكلة الإيفاء بالكم الهائل من المصطلحات العلمية القائمة حالياً والمستجدة . كل هذه المشكلات في حاجة للدراسة والحسم والتوحيد لأهميتها في تعريب العلم والتعليم حاضراً ومستقبلاً .

التطبيق

بعد هذه الجولة السريعة في جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة، لتمهيد الطريق لتوحيد المصطلح العلمى العربى المتخصص بوصفه أهم دعائم تعريب العلوم، ووضع منهجية عملية للسير فيه أقرها مجلسه ومؤتمره نكون قد قطعنا شوطاً أساسياً وعبرنا حائلاً وقف بنا طويلاً دون توحيد المصطلح . ولكن هذا لا يعنى أننا قد انتهينا من عملية توحيد المصطلح نفسها فما زال أمامنا شوط آخر للوصول إلى هذا الهدف، وهو تطبيق هذه المنهجية عملياً في مجالات

التخصص المختلفة ، وإخراج معاجم علمية موحدة المصطلحات والتعريفات، يثق فيها ويلتزم بها كل من يعمل في مجال العلم وتطبيقاته .

ومن الواضح أنه لا يقوى على عملية التطبيق والتنفيذ هذه على نطاق واسع وفي جميع التخصصات إلا هيئة علمية لغوية رئيسية دائمة، مدعمة إدارياً من حكومات الدول العربية والمؤسسات المعنية ، يتولاها ويقودها اتحاد مجامع اللغة العربية في الوطن العربي، ولدينا المثل على ذلك إنشاء الجمعية الفرنسية للمصطلحات التي يرأسها رئيس الجمهورية نفسه (كما ورد في حديث للأستاذ أحمد شفيق الخطيب) وعلينا نحن في مؤتمرننا هذا أن نرفع الأمر لاتحاد المجامع بتوصية لتطبيق هذه المنهجية في فروع العلم المختلفة، بتشكيل لجان أو مجموعات علمية لغوية دائمة تحت رعايته وإشرافه، وتكليفها بإعادة النظر في

المصطلحات الواردة في المعاجم حالياً، وبخاصة المترادف منها فتعمل على توحيد، والخطأ فيها فتعمل على تصويبه، ثم إخراج معاجم في صورة موحدة متوجهة باسم اتحاد مجامع اللغة العربية لتكون ملزمة لكل فرد أو هيئة تعمل في مجال المصطلحات وتعريب العلوم.

ختام

تلك هي معالم الطريق العملي الجاد الذي أرى أنه يحقق الهدف القريب لتوحيد المصطلح العلمي، بوصفه دعامة تعريب العلوم ، وتؤكد الثقة في قوة اللغة العربية وقدرتها على مسايرة عصر العلم والتكنولوجيا، والوفاء بمقوماتهما اللغوية في كل زمان ومكان . وهذا هو الخلود الذي أضفاه عليها القرآن الكريم .

محمود مختار

عضو المجمع

لغتنا سهلة صعبها بعض أبنائها

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن محمد السيد

أراد الله سبحانه للغة أن تكون سهلة ميسرة ، وأن يكون القرآن الكريم - الذي هو قمة الفصاحة والبيان - دليلاً على يسرها ، وعنواناً على سهولتها وقوة تأثيرها . فقال : (١) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " وقال : (٢) نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين " . وغير ذلك من الآيات التي تدل على يسر القرآن ، وقرب ماخذه ، وبالتالي على يسر اللغة وسهولتها .

ومع ذلك وجدنا من العرب من لا يأخذ اللغة هيئة سهلة ميسورة ، بل ظنوا أن هذا الأسلوب الواضح السهل ، لابد أن يكون وراءه أسرار خفية ، تتطلب منهم أن يعملوا فيها عقولهم ، ليقفوا على حقيقة ما يُراد به ، ودفعهم ذلك إلى ضروب من التقدير والتأويل ، والتماس العلل والأسباب ، فتشعبت آراؤهم ، وكثرت اتجاهاتهم ، وحاول كل منهم أن يوجّه رأيه ، ويستدل على صحة ما ذهب إليه .

وسأعرض نماذج مختصرة من هذه الآراء والاتجاهات ، التي لا تقف عند حد ما جاءت عليه الأساليب اللغوية من وضوح ويسر ، بل رفضت هذا الظاهر الواضح ، وما لت إلى التقدير والتأويل .

١- إلحاق علامة التثنية والجمع بالعامل إذا كان الفاعل الظاهر مثنى أو جمعا . من ذلك ما جاء في الأساليب العربية الصحيحة الفصيحة من وجود علامة متصلة بالعامل تدل على أن الفاعل مثنى أو جمع ، عندما يكون الفاعل المثنى أو الجمع اسماً ظاهراً مذكوراً في الكلام .

فقد جاء ذلك في القرآن الكريم ، وفي النثر والشعر ، قال تعالى : وأسروا النجوى الذين ظلموا " (٣) وقال : " ثم عموا وصموا كثير منهم " (٤) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لورقة ابن نوفل عندما قال له : ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك : " أو مخرجي " هم ؟ وأصلها : مخرجوى ، فجمع بين الواو التي تدل على جمع الذكور والذين في الآية الكريمة ، وكذلك في الآية الثانية .

(٢) سورة الشعراء آية : ١٩٥ .

(٤) سورة المائدة آية : ٧١ .

(١) سورة القمر آية : ١٧ - ٢٢ - ٣٢ .

(٣) سورة الأنبياء آية : ٣ .

وفي الحديث الشريف جمع بين الواو وهم ،
وهما للجمع المذكور .

ومن الشعر قول عبد الله بن قيس الرقيّات
في رثاء مصعب بن الزبير :

تَوَلَّى قَتَالَ المَارْقِينَ بِنَفْسِهِ
وَقَدْ أَسْلَمَاهُ مُبْعَدٌ وَحَمِيمٌ
وقول الشاعر :

نصروك قومي فاعتززت بنصرهم
ولو أنهم خذلوك كنت ذليلاً
وقول غيره :

نُسيَا حَاتِمٌ وَأَوْسٌ لَدُنْ فُـسَا
ضَتَّ عَطَا يَاكَ يَا بَنَ عَبْدِ العَزِيزِ
وقول غيره :

تُتَجُّ الرِّيْعُ مُحَاسِنُـسَا
أَلْقَحَتْهَا غُرُّ السَحَابِ

وقول أبي عبد الرحمن محمد بن عبد الله العتبي:
رَأَيْنَ الغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بَعَارِضِي
فَأَغْرَضْنِي عَنِ الْخُدُودِ النَّوَاضِرِ
وقول أمية بن أبي الصلت :

يَلُومُونَنِي فِي اشْتِرَاءِ النَخِيلِ
قَوْمِي فَكُلْهُمْ أَلُومِ
وقول الفرزدق في هجاء ابن عفرأ الضبي:
وَلَكِنْ دَيَّافِيُّ أَبُوهُ وَأُمُّهُ
بحوران يعصرون السليط أقاربهُ^(١)

وقول عمرو بن ملقط الجاهلي :
أَلْفَيْتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ القَفَا
أُولَى فَأُولَى لَكَ دَوَاقِيه
وقول الشاعر :

بَنَى الأَرْضَ قَدْ كَانُوا بَنَى فَعَزَّنِي
عَلَيْهِمْ لِأَجَالِ المَنَايَا كِتَابَهَا
ففي كل هذه النصوص ، وفي غيرها ،
نرى أن العامل قد اتصل به ما يدل على
الفاعل الظاهر مثنى أو جمعا ، فاللغة لا
ترفض هذا الأسلوب ، ولكنها تجيزه ،
بدليل وجود هذه النماذج التي لا مجال إلى
تضعيفها .

وبدليل أنهم قالوا : إن الاسم الظاهر إذا
أعرب بدلا من الضمير ، أو أعرب مبتدأ
مؤخرا ، وأعربت الجملة خبرا مقدما
كانت جائزة عند الجميع .
ولكن الخلاف يشد إذا ما جعل الدال
على التثنية أو الجمع حرفا جى ، به للدلالة
على أن الفاعل مثنى أو جمع ، فرفضه بعض ،
وأجازه آخرون .

وهذا خلاف في غير ما نطقت به العرب ،
وفي غير ما قصدوا إليه ، ونحصراف
بالمسألة ، وإحسراج لها من النطاق
الذي كان يجب أن تقسف هذه ، ولا

(١) دهاق : من فرى الشام . السليط : الريت .

تتعداه ، وهو أن اللغة العربية تعرف هذا الأسلوب ، وتقبله ، ويستعمله كثير من أبنائها .

(شرح التسهيل لابن مالك ١١٦/٢ - ١١٨ شرح الكافية الشافية لابن مالك ٥٨٢/٢ .
الجمع للسيوطي ١٦٠/١ ، والدرر ١٤٢/١) .
قيود اشترطوا توافرها في بعض الأساليب .

ومن ذلك ما قاله كثير من النحويين من أن صيغتي التعجب القياسيتين لاتبنيان إلا من فعل ، وشذو : ما أجدره بكذا ، بنوه ممن قولهم : هو جدير بكذا ، ولا فعل له .
وفي القاموس المحيط : جَدُرَ كَكْرُمَ . فليس بشاذ على هذا .

وقالوا : وشذو ما أذرع المرأة ، أى ما أخف يدها في الغزل . بنوه ممن قولهم : امرأة ذراع ، أى خفيفة اليدين في الغزل .

وقد ذكر ابن القطاع أنه سمع : ذُرُعَت المرأة ، أى خفت يدها في الغزل . وعلى ذلك لا شذوذ فيه .

وقالوا : لاتبنيان من الجلف ، وهو الجافى الغليظ .
وفي القاموس : وقد جَلَفَ جلافة وعلى ذلك لا شذوذ في بناء التعجب منه .

وقالوا : يشترط لبناء صيغة التعجب من الفعل ألا يكون الوصف منه على وزن أفعل فعلاء ، لأن أفعل التفضيل لا يبنى منه ، حتى لا يلتبس الوصف بالتفضيل ، ولما امتنع صوغ اسم التفضيل امتنع صوغ فعلى التعجب منه ، لأنهما يتشابهان في أمور كثيرة . وجعلوا من النادر الذى يُحفظ ولا يُقاس عليه قول العرب : ما أحقه ، وما أهوجه ، وما أرعنه .

ومع أنهم في مواطن أخرى لا يبالون بهذا الالتباس ، كما في تصغير الترخيم ، فإنه يكون بحذف الزوائد من الكلمة ، مثل : حميد في تصغير : أحمد وحامد ومحمد ومحمود وحماذ ، وحميد ، وحمدون ، وحمدان .

وكما قالوا : إن اسم المفعول واسم الزمان واسم المكان والمصدر الميمي من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف يكون على وزن الفعل المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة ، وفتح ما قبل الآخر ويفرق بينها بالقرائن .

واشترطوا كذلك ألا يستغني عنه بالمصوغ من غيره مثل :

"قال " من القائلة ، فإنهم لا يقولون : ما أقيله، استغناء بقولهم : ما أكثر قائلته .

قال ابن مالك في التسهيل : وقد يغنى في التعجب فعل عن فعل مستوف للشروط كما يغنى في غيره ، مثل : ترك ، فإنه أغنى عن ودّع .

فلا يقال على رأيهم : ما أسكره ، وما أقعده ، وما أجلسه استغناء بقولهم : ما أشد سكره ، وما أكثر قعوده، وجلوسه ، ومع أنهم أجازوا في الفعل المستوفى للشروط أن يتعجب من لفظه ، وأن يستعان بالتعجب من فعل آخر مستوف للشروط ، كأشد وأعظم ونحوهما ، مثل : ما أشد قوته ، وما أعظم عنمه .

فإذا كان ذلك جائزاً في الفعل المستوفى للشروط ، فلماذا يُمنع التعجب من صيغة الفعل الذى سُمِعَ فيه الاستعانة بفعل آخر، ويقال إنه أغنى عنه غيره ؟ وهل سمعوا كل شئ حتى يحكموا هذا الحكم ؟

العطف بأم :

ذكر النحاة أن " أم " تكون متصلة في موضعين :

أولهما - وهو الذى يعنينا - أن تكون مسبوقة بهمزة التسوية الداخلة على جملة ، سواءً كانت الجملة التى دخلت عليها

الهمزة ، والجملة التى دخلت عليها " أن " فعليتين، أم كانت الجملتان اسميتين، أم كانتا مختلفتين. وقالوا: إن أم قد تقع بين مفرد وجملة . وإنه ليس من الضرورى وجود كلمة "سواء" بل يكفى وجود ما يدل عليها، وإن همزة التسوية قد تكون مذكورة في الكلام، وقد تحذف عند أمن اللبس .

فالجملتان الفعليتان مثل قوله تعالى ^(١) : "سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم " . والجملتان الاسميتان مثل قول متمم بن نويرة يرثى أخاه مالكا :

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ فَقْدِي مَالِكَا

أموتى ناء أم هو الآن واقع والجملتان المختلفتان مثل قوله تعالى ^(٢) : "سواء عليكم أذعوتهم أم أنتم صامتون" . والواقعة بين مفرد وجملة مثل قول الشاعر :

سواء عليك النَّفْرُ أم بَتَّ لَيْلَةً

بأهل القِباب من عُميرِ بنِ عامر

وعدم وجود كلمة " سواء " لوجود ما يدل عليها بيت مُتَمِّم السابق . وعدم وجود همزة التسوية في الكلام قراءة: "سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم" بهمزة واحدة، ومثل قول الشاعر السابق: سواء عليك.

(١) سورة يس ، آية ١٠ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٩٣

أما عند وجود سواء وهمزة التسوية فيلزم العطف بأم .

وبرى بعض النحاة - الدماميني نقلاً عن السِّيرافي - أن الهمزة إذا كانت غير مذكورة في الكلام جاز العطف بأو .

قال الدماميني : فإن قلت : فما وجه العطف بأو ، والتسوية تأباه ، لأنها تقتضي شيئين فصاعداً ، وأو لأحد الشئين أو الأشياء ؟ قلت : وجهة السِّيرافي بأن الكلام محمول على معنى المجازاة ، فإذا قلت : سواء على قميت أو قعدت ، فتقديره : إن قميت أو قعدت فهما على سواء . وعليه فلا يكون سواء خبراً مقدماً ، ولا مبتدأً كما قيل ، فليس التقدير : قيامك أو قعودك سواء على ، أو سواء على قيامك أو قعودك . بل سواء خبر مبتدأ محذوف ، أى : الأمران سواء ، وهذه الجملة دالة على جواب الشرط المقدم .

وهذا الأسلوب الذى ذكره السيرافي كثير الاستعمال فى عصرنا الحاضر ، فهو جارٍ على السنة المتحدثين ، وأقلام الكتاب .

ومن هذا نرى أن استعمال " أم " المتصلة عاطفة له أساليب كثيرة ، كلها صحيحة فصيح ، فيجوز أن تذكر قبلها كلمة

" سواء " أو يذكر ما يدل عليها ، وأن تكون قبلها همزة التسوية ، وألا تذكر ، وأن تذكر قبلها جملة وأن يذكر مفرد ، وأنه عند عدم ذكر الهمزة يجوز استعمال أم ، ويجوز استعمال أو .

ومع ذلك لم تسلم من معارضة لبعض الاستعمالات ، فبعض الباحثين يرى أنه من الضروري لذكر " أم " ذكر همزة التسوية قبلها ، وبعضهم يلزم استعمال أم ويمنع استعمال أو بدلها عند عدم ذكر الهمزة ، والرأيان عندي ضعيفان ، لأنهما تعارضا فتساقطا ، والله أعلم .

النسب إلى فم :

فى القاموس : الفم مثلثة أصله فوه ، وقد تُشَدَّد الميم .

وفى اللسان : الفراء : يقال : هذا فم ، مفتوح الفاء مخفف الميم ، وكذلك فى النصب والخفض : رأيت فماً ، ومررت بفم . منهم من يقول : هذا فُم ، ورأيت فُما ، ومررت بفُم ، فيضم الفاء على كل حال ، كما يفتحها فى كل حال .

وأما بتشديد الميم فإنه يجوز فى الشعر ، ولو قال : من فُمَّ ، بفتح الفاء لجاز . فأما :

فو ، وفا ، وفي ، فإنما يقال في الإضافة ، إلا
أن العجاج قال :

خالط من سلمى خياشيم وفا

قال : وربما قالوا ذلك في غير الإضافة ،
وهو قليل .

وفي الصحاح : الفم أصله فَوْه ، نقصت منه
الهاء - فلم تحمل الواو الإعراب لسكونها ،
فعوض منها الميم ، فإذا صَغُرَتْ أو جمعت
رددته إلى أصله وقلت : فويه وأفواه ، ولا
تقل : أفماه ، فإذا نسبت قلت : فَمِيٌّ ، وإن
نشئت فَمَوِيٌّ ، يجمع بين العوض والحرف
الذي عوض منه ، كما قالوا في التثنية :
فموان . قال : وإنما أجازوا ذلك لأن هنالك
حرفا آخر محذوفا وهو الهاء ، كأنهم جعلوا
الميم في هذه الحال عوضا عنها ، لا عن
الواو ، وأنشد الأنخفش للفرزدق :

هما نفثا في فيٍّ من فمويهما ...

قال : وفيه لغات : يقال : هذا فَمٌ ،
ورأيت فَمًا ، ومررت بفَمٍ ، بفتح الفاء
على كل حال ، ومنهم من يعربه في
مكانين يقول : رأيت فَمًا ، وهذا فَمٌ ،
ومررت بفَمٍ .

وفي كتاب سيبويه ٣/٣٦٥-٣٦٦ ، في
باب عنوانه : باب الإضافة ، وهو باب

النسب : وأما فم ، فقد ذهب من أصله ،
حرفان لأنه كان أصله فَوْه ، فأبدلوا الميم
مكان الواو ، ليشبه الأسماء المفردة من
كلامهم ، فهذه الميم بمنزلة العين ، نحو ميم دم ،
ثبتت في الاسم في تصرفه في الجر والنصب
والإضافة (يقصد النسب) والتثنية ، فمن
ترك " دم " على حاله إذا أضف - أى
نسب - ترك " فم " على حاله ، ومن ردَّ
إلى دم اللام ردَّ إلى فم العين فجعلها مكان
اللام ، كما جعلوا الميم مكان العين في فم ،
قال الشاعر :

وهو الفرزدق :

هما نفثا في فيٍّ من فمويهما ...

وقالوا : فموان ، فإنما تَرُدُّ في الإضافة ،
كما ترد في التثنية وفي الجمع بالتاء وتبني
الاسم كما تثنى به ، إلا أن الإضافة أقوى
على الرد ، فإن قال : فمان فهو بالخيار ،
إن شاء قال : فَمَوِيٌّ ، وإن شاء قال :
فَمِيٌّ ومن قال : فَموان ، قال : فَمَوِيٌّ
على كل حال وعلق السيرا في بقوله : كما
يقال في أخ : أَخَوِيٌّ " من حيث قال : أخوان .
وكان أبو العباس المبرد يقول : من لم يقل :
فمى فحقه أن يرده إلى الأصل ، والأصل
فوه ، فيقول : فَوَهِيٌّ .

وقد استدل سيويه على أن "فم" أصلها :
فوه ، بأنها تصغر على فويه ، قال -
٤٥٣/٣ : يدلك على أن الذى ذهب لام،
وأنها الهاء- قولهم : أفواه ، وحذفت الميم،
ورددت الذى من الأصل، كما فعلت ذلك
حين كسرتة للجمع فقلت : أفواه . "

وإذا تتبعنا ما أجازته النحاة فى النسب من
الصيغ المخالفة للقواعد التى وضعوها
وجدنا كمًّا كبيراً ، ووجدنا أنواع المخالفة
كثيرة مختلفة ، حتى إنه يصعب
استقصاؤها، كما يصعب الحكم على
صيغة من صيغ النسب بأنها خطأ أو
مردودة ، لأننا سنجد تغييراً فى حروف
الكلمة ، بالزيادة أو بالنقص ، أو بهما معاً،
كما نجد تغييراً فى الحركات ، أو تغييراً فى
الحروف و الحركات معاً .

واليك نماذج من ذلك : مرو : مسوزى -
فوق : فوقانى . بادية : بدوى . عالية : علوى .
طبيء : طائى . البحرين : بحرانى . دهر : دهرى .
سهل : سهلى . خريف : خرفى .
حيرة : حارى . خراسان : خرسيى .
وغير ذلك كثير .

٥- الإتيان بـ "ما" بعد الاسم النكرة
تذكر " ما " أحيانا بعد الاسم النكرة فى

بعض الأساليب العربية ، وقد قال النحاة:
إن "ما" تأتى لتزيد النكرة إبهاماً ، أو تكون
زائدة للتوكيد . ومن ذلك قوله تعالى : ^(١)
" إن الله لا يستخى أن يضرب مثلاً ما
بعوضة فما فوقها " وقال تعالى : ^(٢)
" قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما
تدعوا فله الأسماء الحسنى "

وجاء عن على كرم الله وجهه : أحبب
حبيبك هوئاً ما " أى حباً مقتصدًا لا
إفراط فيه . قال فى اللسان : وإضافة
ما إليه تفيد التقليل، يعنى : لا تسرف فى
الحب والبغض ، فعسى أن يصير الحبيب
بغضاً ، والبغض حبياً ، فلا تكون قد
أسرفت فى الحب فتندم ، ولا فى البغض
فتستحي " مادة هون . "

وليس كل اسم نكرة يلزم الإتيان بـ "ما"
بعده ، لأن النكرة صالحة للإطلاق على
كل فرد من أفراد جنسها ، ولذا كان
استعمال النكرة من غير ذكر "ما" هو الكثير
الغالب ، ولا يؤتى بها إلا إذا أريد الدلالة
على معنى من المعانى التى ذكرها النحاة .
لذا جاءت النكرات فى القرآن الكريم ، وفى
غيره كثيراً دون أن تلحقها ما قال تعالى ^(٣)
" ونخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث "

وقال تعالى ^(١): "فلما جَنَّ عليه الليل رأى
كوكبًا قال هذا ربي". وقال ^(٢): "حتى إذا
أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل
ادخلوا مساكنكم". وقال ^(٣): "فلما قضى
موسى الأجل وسار بأهله آنس من جلبب
الطور نارا". وقال ^(٤): "وجاءت سيّارة
فأرسلوا واردهم ، فأدلى دلوه ، قال يا
بشرى هذا غلام".

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ثمرة
خير من جرادة، وقال : تصدق ولو بشق
ثمرة، وقال : اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس
بينها وبين الله حجاب . وغير ذلك كثير
في القرآن الكريم والأحاديث النبوية ،
والتراث العربى نظمه نثره .

صيغ قيل إنها ملازمة للبناء المجهول :

ذكرت كتب النحو واللغة صيغًا قيل إنها
ملازمة للبناء للمجهول ، وبالرجوع إلى
المعجمات اللغوية نجد أن كثيرًا منها
استعمل منها المبنى للمعلوم ، ومن ذلك :
عَنِىَ وقد جاء فى القاموس المحيط : وعَنِىَ
بالضم ، وكرضى قليل .

زُهَى : وقد جاء فى القاموس المحيط : زُهَى
كُعْنَى ، وكَدَعًا قليلة .

نتج وقد جاء فى القاموس المحيط : نُتَجَتِ
الناقة كعنى نتاجا ، وأنتجت وقد نتجها
أهلها .

نُكِبَ: وقد جاء فى القاموس المحيط : ونكبه
الدهر نَكَبًا ونَكَبًا بلغ منه أو أصابه بنكبة .
بُهَتَ : وقد جاء فى القاموس المحيط : بُهَتَهُ
كمنعه بهتًا وبُهَتَانَا : قال عليه ما لم يفعل .
دَهَشَ: وقد جاء فى القاموس المحيط : دَهَشَ
كفرح فهو دَهَشٌ تحير أو ذهب عقله من
ذهل أو وِلَّةَ ، ودَهَشٌ كعنى فهو مدهوش .
شُغِلَ: وقد جاء فى القاموس المحيط : الشغل
بالضم وبضميتين وبالفتح وبفتحيتين : ضد
الفراغ وشغله كمنعه شغلًا ويضم وشُغِلَ
كعنى .

طُلَّ : وقد جاء فى القاموس المحيط : ...
وهَدَرَ الدم أو ألا يثار به ، وقد طل هو
وبالضم أكثر ، وطَلَّته أنا طَلًّا وطُلولا فهو
مطلول وطليل وأُطِلَ بالضم ، وأطله الله
تعالى ، وطَلَّ دمه يَطْلُ كيزل ويمل ، وأُطِلَ
بالضم فهر مُطَّل .

أَهْدَرَ: وقد جاء فى القاموس المحيط : الأهدر
ما يَطْلُ من دم وغيره ، هَدَرَ يَهْدِرُ ويَهْدُرُ
هَدْرًا وهَدْرًا ، وهَدَرْتُه : لازم متعد ،

(٣) سورة القصص ، آية : ٢٩

(٢) سورة النمل ، آية : ١٨

(١) سورة الأنعام ، آية : ٧٦

(٤) سورة يوسف ، آية : ١٩

وأهدرته فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى . ودماؤهم هَدَرَ
بحركة أى مُهْدَرَةٌ .

تُلَج صدره: وقد جاء في القاموس المحيط :
تَلَجْنَا السماء وأَتَلَجَ يومنا وتَلَجَتْ نفسى
كنصر وفرح تلوجا وتَلَجَا : اطمأنت .

هَزَل : وقد جاء في القاموس المحيط : ...
والهزال بالضم نقيض السَّمْن ، وهَزَلَ كعنى
هزالا وهَزَلَ كنصر هَزَلًا ويضم ، هَزَلْتُ
أموالهم كهزلوا وكضربوا .

العطف على معمولي عاملين مختلفين:

يقول سيبويه في كتابه ٦٥/١-٦٦ :
وتقول: ما كُلُّ سوداءَ قمر ، ولا بيضاء
شحمة ، وإن شئت نصبت " شحمة " ،
وبيضاء في موضع جر ، كأنك أظهرت
كل فقلت : ولا كل بيضاء . قال الشاعر
أبو داود :

أكلُّ امرئ تحسبين امرأً

ونارٍ توقد بالليل نارا

فاستغنيت عن تشية كل لذكرك إياه في
أول الكلام ، ولقلة التباسه على المخاطب .
وجاز كما جاز في وقول : ما مثل عبد الله
يقول ذاك ولا أخيه ، وإن شئت قلت: ولا
مثل أخيه . فكما جاز في جمع الخير ،
كذلك يجوز في تفريقه ، وتفريقه أن تقول

: ما مثل عبد الله يقول ذاك ، ولا أخيه
يكره ذاك . ومثل ذلك : ما مثل أخيك
ولا أهلك يقولان ذاك . فلما جاز في هذا
جاز في ذاك . "

هذا كلام سيبويه ، ومنه يتبين أن وضوح
الكلام . وعدم التباسه على المخاطب ،
عامل له أثره في قبول الأساليب وعدم
رفضها .

ويقول المبرد في الكامل ١٦٨/١ -

١٦٩ ، بعد أن ذكر قول أعرابي :

فقال لى المكى أُمَّا لِرَوْجَةٍ

فسبع وأما خلة فثمانى

وفي هذا الشعر عيب ، وهو الذي يسميه
النحويون العطف على عاملين ، وذلك أنه
عطف خلة على اللام الخافضة لزوجة ،
وعطف ثمانيا على سبع ويلزم من قال هذا
أن يقول : مرَّ عبدُ الله بزيدٍ وعمرٍ وخالدٍ ،
ففيه هذا القبح ، وقد قرأ بعض القراء ،
وليس بجائز عندنا : [إنَّ في السموات
والأرض لآيات للمؤمنين] " واختلاف
الليل والنهار ، وما أنزل الله من السماء من
رزق فأحيا به الأرض بعد موتها ،
وتصريف الرياح آيات " فجعل آيات في
موضع نصب ، وخَفَضَهَا لتاء الجميع ،

فحملها على إنَّ وعطفها بالواو وعطف
اختلافا على في ، ولا أرى ذا في القرآن
جائزا ، لأنه ليس بموضع ضرورة ، وأنشد
سيبويه لعدى بن زيد العبادي " والصحيح
أنه لأبي داود الإيادي : أكل امرئ تحسين
فعطف على امرئ وعلى المنصوب الأول"
وذكر المبرد الآية في المقتضب
١٩٥/٤ ، وقال فيه ما قاله هنا ، وقال إن
الأخفش يجيزه .

وفي إتحاف فضلاء البشر ٣٨٩ :
اختلف في (آيات لقوم يوقنون) و (آيات
لقوم يعقلون) الثاني والثالث [من سورة
الجاثية] فحمزة والكسائي ويعقوب بكسر
التاء منصوبة فيهما عطفًا على اسم إن ،
أي : وإن في خلقكم وإن في اختلاف ،
والخير قوله : وفي خلقكم ، وفي اختلاف
.. ووافقهم الأعمش ، والباقون برفعهما
على الابتداء.

وفي المفصل وشرحه لابن يعيش ٢٦/٣ :
(وقد حذف المضاف وترك المضاف إليه
على إعرابه في قولهم : ما كل سوداء ثمرة
ولا بيضاء شحمة ، قال سيبويه : كأنك
أظهرت كل فقلت : ولا كل بيضاء ،
وقال أبو دواد :

أكل امرئ تحسين ... ويقولون : ما مثل
عبد الله يقول ذاك ولا أخيه ومثله : ما مثل
أخيك ولا أهلك يقولان ذاك ، وهو في
الشذوذ نظير إضمار الجار .

قال الشارح : اعلم أن حذف المضاف
وابقاء عمله ضعيف في القياس ، قليل في
الاستعمال ، أما ضعفه في القياس
فلوجهين :

أحدهما : أن المضاف نائب عن حرف الجر
وخلف عنه ، فإذا قلت : غلام زيد ،
فأصله : غلام لزيد . وإذا قلت : ثوب خز ،
فأصله : ثوب من خز ، فحذفت حرف
الجر ، وبقي المضاف نائبًا عنه ، ودليلا
عليه ، فإذا أخذت تحذفه ، فقد أجمعت
بحذف النائب والمنوب عنه ...

والوجه الثاني أن المضاف عامل في المضاف
إليه الجر ، ولا يحسن حذف الجار وتبقيّة
عمله ، فمن ذلك قولهم في المثل : ما كل
سوداء ... ٢٧/ ويضاء مخفوض أيضا على
تقدير كل ... وكان أبو الحسن الأخفش
وجماعة من البصريين يحملون ذلك وما
كان مثله على العطف على عاملين ، وهو
رأى الكوفيين ... ومثله عندهم : ما زيد
بقائم ولا قاعد عمرو ... وسيبويه والخليل

لا يريان ذلك ، ولا يجيزانه .. فإن قيل :
حذف المضاف وإبقاء عمله على خلاف
الأصل ، وهو ضعيف ، والعطف على
عاملين ضعيف أيضاً ، فلم كان حمله على
الجار أولى من حمله على العطف على
عاملين؟ قيل : لأن حذف الجار قد جاء في
كلامهم ... فقد ثبت بهذا جواز حذف
الجار في الاستعمال وإن كان قليلاً ، ولم
يثبت في الاستعمال العطف على عاملين ..
وقد كثر التقلب بهذا المثل ، وأجازوا فيه
وجوهاً من الإعراب وجملتها خمسة ... فأما
قول أبي دواد : أكل امرئ ... فسيبويه
يحملة على ١ / ٦٥ حذف مضاف تقديره
كل ... وأبو الحسن يحملة على العطف
على عاملين ... وهذا البيت أوكد ما
استشهد به أبو الحسن ، وأما قولهم : ما مثلُ
عبد الله ... لم يكن بُدُّ من تقدير مثل ، أو
العطف على عاملين ... "

وهكذا تستمر المناقشة لتنتهي إلى أن
الحمل على تقدير مضاف أولى .

وفي الإنصاف مسألة رقم ٦٥ : كما
تقول العرب : ما كل بيضاء شحمة ولا
سوداء ثمرة ، يريدون : ولا كل سوداء ...

وقال الشاعر : أكل امرئ ... أراد : وكل
نار وهذا كثير في كلامهم .

وفي الكافية لابن الحاجب وشرحها
للرضي ٢٩١/١ : فإذا حذف [أي المضاف]
فالأولى والأشهر قيام المضاف إليه مقام
المضاف في الإعراب كقوله تعالى : "واسأل
القرية " وقد يترك عند سيبويه على إعرابه
إن كان المضاف معطوفاً على مثله مضافاً
إلى شيء ، كما يقال في المثل : ما كل
سوداء ... قال : ولو لم يقدر هنا مضاف
معطوف على المضاف الأول ، لكان عطفاً
على عاملين مختلفين ولا يجوز عنده ، وعند
غيره يجوز ذلك فلا يقدر مضافاً .

وفي شرح التسهيل لابن مالك
٢٧٠/٣ : ثم أشرت إلى حذف المضاف
 وإبقاء المضاف إليه مجروراً ، وأنه مقيس
 وغير مقيس ، فأما المقيس فما حذف منه
مضاف مذكور قبله مثله لفظاً ومعنى ،
 بشرط كون المحذوف بعد عاطف منفصل
 بلا أو غير منفصل ، كقولهم : ما كل
سوداء ... وما مثل أهلك وأخيك يقولان
ذلك ، وكقوله :
أكل امرئ ...

وكقوله :

ولم أر مثل الخير يتركه الفتى

ولا الشر يأتيه الفتى وهو طائع

وكقوله :

لَوْ أَنَّ طَيْبَ الْإِنْسِ وَالْجَنِّ دَاوِيَا أَلَّ

لَذَى بِيَ مِنْ عَفْرَاءَ مَا شَفِيَانِي

وكقوله [جرير] :

لو أن عُصْمَ عمايتين وتذبل

سمعا حديثك أنزلا الأوعالا

وكقوله [القطامي] :

ألم يَحْزُنْكَ أَنْ جبال قيس

وتغلب قد تباينت انقطاعا

والأصل : ما كل سوداء ولا كل بيضاء،

ولا مثل أبيك ومثل أخيك يقولان، وأكل

امرئ تحسين امرأ وكل نار ، ولم أر مثل

الخير ولا مثل الشر ، ولو أن طيب الإنس

وطيب الجن، ولو أن عصم عمايتين وعصم

يذبل ، وأن جبال قيس وجبال تغلب.

وظن بعضهم أن الحذف في هذا النوع

مشروط بتقديم نفى أو استفهام وليس ذلك

شرطا ، بل يجوز مع عدمها ، كقول

الشاعر:

لغير مغتبط مغرى بطوع هوى

ونادم مولع بالحزم والرشد

ومثله :

كلُّ مُثْرٍ في رهطه ظاهر العز

وذى غربة وفقرٍ مَهِين

وأما غير المقيس فما خالف المقيس بخلوه

مما قيدته به .

وفي شرح الألفية لابن الناطم ٤٠٣ :

وقد يحذف المضاف ويبقى المضاف إليه

بجرورا ، بشرط أن يكون المحذوف معطوفا

على مثله لفظا ومعنى ...

وفي شرح الأشموني ٢٠٦/٢ : أكل امرئ

... أي : وكل نار ، وقوله :

ولم أر مثل الخير يتركه الفتى

ولا الشر يأتيه امرؤ وهو طائع

أى : ولا مثل الشر ، لئلا يلزم العطف

على معمولى عاملين مختلفين ... "

وعلق الصبان في الحاشية بقوله : أى :

وذلك ممنوع عند سيويه ومن وافقه ،

والعاملان في البيت الثاني : أر ومثل ،

والمعمولان : الخير وجملة يتركه الفتى ،

والمعطوف على الخير ، الشر ، وعلى يتركه

الفتى ، يأتيه امرؤ .

وفي شرح التصريح ٥٥/٢ : ... وإنما

قدرناه بجرورا بـ كل محذوفه ولم نجعله

بجرورا بالعطف على امرئ الجروور بإضافة

كل إليه ، لئلا يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين ... وذلك ممتنع ، لأن العاطف نائب عن العامل ، وعامل واحد لا يعمل جراً ونصباً ، ولا يقوى أن ينوب مناب عاملين ، هذا مذهب سيبويه والمبرد وابن السراج وهشام ، وذهب الأخفش والكسائي والفراء والزجاج إلى الجواز ... واختير الحذف دون العطف ، لأن حذف ما يدل عليه دليل مجمع على جوازه ، والعطف على معمولي عاملين مختلفين فيه كما قدمنا ، والحمل على المتفق عليه أولى من الحمل على المختلف فيه .

بعد هذا العرض لآراء النحاة في العطف على معمولي عاملين مختلفين نجد أن منهم من أجازاه ، ومنهم من عارضه ، ونجد أن الأسس التي قامت عليها معارضة المانعين تتلخص فيما يلي :

أن حذف الجار وإبقاء عمله متفق عليه ، وأن العطف على معمولي عاملين مختلفين مختلف فيه ، والحمل على المتفق عليه أولى .

أن العطف على معمولي عاملين مختلفين لم تثبت في الاستعمال .

وكلتا الحجتين غير مسلمة ، لأن الاختلاف في أمر قاعدة لا يقتضي إلغائها ، وإنما أقصى ما يمكن أن يؤدي إليه هو تفضيل المتفق عليه لا منع المختلف فيه ، هذا إذا ساعدت القرائن على هذا التفضيل .

وأن القول بعدم استعمال العطف على معمولي عاملين غير صحيح ، بدليل أن هؤلاء المانعين يذكرون شواهد وأمثلة تدل على الاستعمال من أول سيبويه إلى ابن مالك الذي ذكر جملة من الشواهد والأمثلة ، بعضها منسوب وبعضها غير منسوب ، كما ذكر المبرد قراءة جاءت على هذا الاستعمال ، وقد عزيت إلى حمزة والكسائي ويعقوب والأعمش ، ولا يصح أن يلتفت إلى اعتراضه عليها ، لأنه لا يملك هذا الاعتراض ، ولا إلى قوله بأن القرآن ليس بموضع ضرورة ، لأن الذين تناولوا الموضوع لم يقولوا إنه لا يكون إلا في الضرورة .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن هؤلاء المانعين يقولون : إن حذف المضاف وإبقاء عمله ضعيف في القياس . قليل في الاستعمال ، وإن المضاف إنما يعمل نيابة عن حرف الجر ، فحذفه فيه إجحاف بحذف النائب

والمنوب عنه . وإن حذف حرف الجر -
الذى هو أصل فى العمل - وإبقاء عمله
قليل . إذا أضفنا ذلك وجدنا أن المانعين لا
يستندون فى معارضتهم إلى حجة قوية ،
وأن من الخير أن يكون وضوح الأسلوب
وعدم التباسه على المخاطب كما قال
سيبويه ، هو الأساس فى القبول أو الرفض .
ولهذا فإننى أرى أن الأسلوب صحيح ،
وأنه يجوز القياس عليه ، أخذا بالأيسر ،
واجتنابا لما فيه تكلف وتقدير .

ولعل مما يستوجب ذلك جريان هذا
الأسلوب على السنة المتحدثين وأقلام

الكتاب فى عصرنا ، فى مثل قولهم : كان
إقبال الرجال على معرض الكتاب كبيراً
والفتيات قليلاً .

وقولهم : لوحظ فى نتائج امتحانات هذا
العام أن نسبة نجاح الطالبات مرتفعة
والطلاب منخفضة .

وقولهم : لا شك فى أن التراخى فى تطبيق
القانون يُعقِبُ نتائج وخيمة والأخذ بالحزم
ردوداً طيبة .

وقول بعضهم : إكرام اللّيم يُعقِبُ الندامة
والكريم الامتنان والسلامة .

عبد الرحمن السيد
عضو الجمع

الأمانة العلمية والمؤلفات العربية للأستاذ الدكتور كمال محمد دسوقي

١ - فضائح السرقات ودعاوى

التأديب والقضاء :

من بين ما لا تخلو منه صحيفة يومية أو أسبوعية - بل كُتب بأكملها أحياناً - من النشر بعناوين صارخة عن " الفساد الجامعى " عموماً وأعمدة " فساد الأستاذ " الجامعى خصوصاً ؛ لا نعرض هنا إلا لما يتعلق بالسرقات العلمية للمؤلفات والكتب الدراسية، ولما يتصل بتزييف بحوث رسائل الماجستير والدكتوراه للتعيين والترقية وقضية الأمانة العلمية للأستاذ الذى يقتدى به تلاميذه وهم يسرون على نهجه فى تلقى العلم، وتلقينه للأجيال . فالجتمع العلمى والأدبى والفنى يضجُّ بما يتوالى النشر العلنى عنه من فضائح " سرقات " المؤلفات والمصنفات والأعمال التى تزخر ساحات المحاكم بالدعاوى القضائية ضد تزييفها وانتحالها أو السطو عليها تحت اسم " الاقتباس " - بما قالت عنه مجلة المصور تحت عنوان : لصوص بدرجة دكتوراه " إنه ليس سبعين قضية

فقط كما نشر فى إحدى الصحف بل ثلثمائة أو أربعمائة ، وما أثار على صفحات الأهرام طرح قضية " الأمانة العلمية لأستاذ الجامعة : مَنْ يحميها : الصحافة ، أم الجامعة ، أم القراء ؟ وذلك " للبحث عن مخرج بتفكير عالٍ مسموع من الجميع " ؛ حيث يقال إن المجتمع الذى يفرز هذا النمط من الأساتذة الجامعيين دون أن يحاسبهم أحد على ما اقترفوا فى حق الله والعلم والوطن " والأبناء الطالعين من رحم الحاضر لفضاءات المستقبل " هو مجتمع فى حالة جريمة ، وأن السكوت على هذا النوع الفاضح من الجرائم تمكين - للفوضى فى المجتمع ، ومحو لحقوق ضحايا مدعى الفكر والبحث العلمى الذين ابتليت بهم الجامعة أخيراً ، واتساع رقعة الفساد وامتداد أصابعه الخبيثة إلى مواقع كنا نعتها أمنع من أن يُتسلل إليها ويُعبث بها ... وتكون مطالبة الأساتذة الغيورين قبل غيرهم أن لا تأخذ الجامعة رأفةً بحالات غش أساتذتها هذه وهى تحرم الطالب من

الدراسة عامين إذا غش في الامتحان فكيف بالأستاذ ؟ إنه لابد ان تضرب الجامعة بيد من حديد على كل من تسول له نفسه ذلك حتى تعود للجامعة كرامتها وقدوتها للمجتمع .

وتحت عنوان فاضح بجريدة الوفد (في تاريخ ١٣/١٠/١٩٩٤) هو : بقع سوداء في ثوب الحرم الجامعي : وقائع عديدة تسيء لسمعة الجامعة وتُشوه مكانة أساتذتها - أستاذ يشتري المتعة برسالة ماجستير ، وآخر يبيع النجاح في الامتحان بمائة جنيه - نجد خبر مدرس مادة الصحة النفسية بكلية تربية جامعة ... الذي حصل من كل طالب عند بدء الدراسة على خمسة عشر جنيها لحجز كتاب لم يظهر ولم يوزع ، وأعلن الطلاب بعد أداء الامتحان أنهم ركبوا جميعاً ، وأن على مَنْ يريد النجاح إحضار مائة جنيه والتوجه إلى مسكنه للتعرف على ورقة إجابته ... حيث دلت تحريات مباحث الأموال العامة على سوء سمعة وسلوك (الأستاذ) المتهم سابقاً في قضية شروع في قتل أحد الأشخاص ببلدته ، وأنه اعتاد في الجامعة منذ حصل على الدكتوراه وعُيّن مدرساً قبل أربع

سنوات على تقاضى مبالغ كبيرة وهدايا ذهبية من الطلاب نظير نجاحهم ، وأنه هذا العام هدد مَنْ لا يستطيع دفع المائة جنيهه بالرسوب في مادته ، فهو يقبل ساعات يد وأجهزة كهربائية من الذين لا يستطيعون إحضار المبلغ المطلوب . .

حتى في أخبار الحوادث التي تصدر عن دار " أخبار اليوم " (٨/٧/٩٤) تنشر عناوين ضخمة = الطلبة و الأستاذ بالصوت والصورة أسرار سقوط عميد كلية ... والقبض عليه ، حدد لطلبة الدراسات العليا الموضوعات التي ستكتبها وأبلغها بالدرجات التي أعطائها لها (ولا تستحقها) في مادة الإحصاء التي كانت تخاف الرسوب فيها فحصلت على ٦٨ من ٧٠ درجة وسجل عليه ردها وهو يهنئها: حلال عليك الأربعة آلاف جنيه التي أخذتها مقابل ذلك. والخبر كالأسطورة تبدأ بمفاجأة إبلاغ رئيس الجامعة بالقبض على المتهم غداة اشتراكه في حفل رئيس جامعة آخر بحصول ابنته على درجة الدكتوراه ، وتنتقل لظروف كون العميد المتهم أصغر عميد بالجامعات لحصوله على الدكتوراه خلال عامين فقط ، في أثناء

خدمته برعاية الشباب بوزارة التعليم
العالي، وتحديد العمادة له لفترة ثلاثة على
غير ما يتوقع الجميع . ومع هذا فلا دخل
لذلك في صدفة اكتشاف علاقته بطلبة
الدراسات العليا المصرية زوجة الثرى
العربى التى تشترك مع تجار مجوهرات فى
تهريب الذهب و الماس ، ولا فى سوء حظه
إن عمليات مراقبتها لمدة أربعة أشهر
سجلت تردده عليها وحصوله على هداياها
النفيسة مقابل تسريب الامتحان لها
و ضمان نجاحها . وأخيراً تسأتى مفارقة
اضطهاد وتحطيم نفس العميد لمعيدة بنفس
الكلية " لأنها رفضت الرضوخ لطلباته غير
المشروعة مع أنها كانت الأولى على دفعتها
عام تخرجها ، وامتناعه عن تنفيذ حكم
المحكمة العليا الملزم بتسجيلها للماجستير
رغم دفع تعويض الخمسة آلاف جنيه
المحكوم لها به ، لكن الإصرار على عدم
تسجيلها بكليته رغم استئناف مقاضاتها
للعديد ورئيس الجامعة متضامين بتعويض
أكبر ... مما كانت قد انفردت بالنشر عنه
من قبل " أخبار الحوادث " أيضاً .
وفى مجلة " عالم الكتاب " التى تصدرها
الهيئة المصرية العامة (عدد ١٩٩٢/٣٥

٣٦ - ٤٣) فى باب : تساؤلات
ومحاكمات للمدعى البليوغرافى ، بعنوان
مثير : (بعد كل هذه السرفات ، هل يبقى
فى هيئة الكتاب ؟) سكرتير تحرير المجلة
السابق الذى طرد منها فى صيف ١٩٩٠
إثر عقوبات إدارية بالخصم من مرتبه
وحرمانه من المكافأة ، وتوجيه اللوم
الشديد إليه ... فى عريضة الدعوى التى
تقدم بها الدكتور يوسف زيدان التى
اختتمها بقوله " إنه لا يكفى تقديمه
للمدعى البليوغرافى بل للمدعى العام لتكون
محكمة قانونية لا بليوغرافية على سرقاته
الفكرية (التي تفوق جرماً السرقات المادية)
للمرسالة الألواحية المنسوبة خطأ لابن سينا .
وقد حققها ونشرها بدار الكتاب بطرابلس
ليبيا الدكتور محمد سويسى (١٩٩٠)
بخطئها فى نسبتها للشيخ الرئيس الذى وقع
فيه المحقق لاعتماده على المخطوطة الوحيدة
المشتراة من بائع كتب بباريس ١٩٥٤
وأثبت المدعى (د. زيدان - فى مقال له
بالعدد ١٩٩٢/٣٤ من مجلة عالم الكتاب)
هذا الخطأ وطالب الناشر والمحقق اللبنيين
بالتنويه فى طبعة قادمة إلى أن الرسالة
ليست لابن سينا (مهما ترك اسم ابن سينا

على الغلاف لتحل بركاته من أجل توزيع أفضل - بقدر ما أن وضع اسم الشيخ الرئيس على غلاف النسخة المشتراة من باريس خطأ أو عمداً كان بقصد رفع سعرها ، والإشارة إلى أن المؤلف الأصلي للرسالة الألواحية المحفوظة نسختها الأصلية بمكتبة المتحف العراقي ببغداد (في ٢٠٦ صفحات وعنوانها "رسالة الألواح الطب") هو أبو سعيد بن إبراهيم المتطبيب الهروي .

وكما يقابل مقدم الدعوى صورتي غلاف كتاب الناشر الليبي لتحقيق الدكتور سويسى وغلاف الكتاب المسروق الذى نشرته " دار الجيل " بيروت معنوناً بأنه للشيخ الرئيس ابن سينا ؛ قائلا إن السلوك لم يترك كلمة في الرسالة الألواحية إلا سرقها بالكامل - حتى أخطاء المحقق نقلها السارق كما هي دون أن يكلف نفسه حتى باسقاط الأخطاء والعبارات غير المفهومة أو يرى داعياً لقراءة الكتاب بعناية قبل سرقة ، إذ كان على عجل لأن أمامه العديد من الكتب الأخرى الجاهزة للسطو عليها - ومنها الرسالة التى جاءت الدكتور زيدان من إحدى المؤسسات الصحفية

الكبرى بطلب رأيه في سرقة أحد كتباين بعنوان واحد هو : (الجمل فى النحو للجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ) - الأول باسم محققه الدكتور عبد الحليم عبد الباسط المرصفي (نشر دار الهنا للطباعة) ، والثاني باسم السارق على إنه شرح ودراسة وتحقيق (نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان) - حيث رد على المؤسسة بأن السرقة ظاهرة للعيان ولا تحتاج إلى رأى ، فأفادوه بأن المحقق الأصلي حين نظر إلى النسخة المسروقة من كتابه وعليها اسم السارق أصيب بشلل نصفي ومات بعد أيام . كل هذا والسارق يهز كتفيه ويتسم ويتماذى فى السطو على الكتب بعد صدورها بعدة أشهر فقط ونشرها غالبا فى دور نشر لبنانية - كأنما هذه المطبوعات فى بيروت لاتصل إلى القاهرة ، أو أن أحداً لن يقارن بين الطباعات وأنه سوف ينجو بسرقة . ويتزامن مع النشر الفاضح عن حالات السرقات الفردية لفكر وإبداع الآخرين فى بحوثهم وتآليفهم للكسب المادى السريع دون جهد وعلى حساب الغير ... النشر مجدداً عن قضية تزوير الكتب المصرية فى بيروت ، سرقة وتزوير

الكتاب المصرى فى لبنان - منذ أعيدت إلى الحدود السورية اللبنانية أثناء اندلاع الحرب بين شطرى اليمن سيارتا شحن محملتان بالكتب المصرية المزورة ، وقبل ذلك ، منذ أرشد عن مخزون كبير من الكتب المصرية المزورة فى بيروت وضبطه ناشرون لبنانيون أفاضل عز عليهم أن تسيء إلى شرف المهنة قلة من أدعياء النشر وتثرى على حساب الناشرين المصريين ، - الأمر الذى دعا إلى المطالبة بتعجيل عقد مؤتمر تدعو إليه وزارة الثقافة المصرية كجهة رسمية بالدولة التى يضار أبنائها من هذا التزوير ، وتحضره الاتحادات الإقليمية للناشرين فى البلاد العربية إلى جانب الناشرين المصريين وغيرهم من المهتمين بقضايا التأليف والنشر والطباعة والتوزيع .

- وكان قد استشرى وباء سرطان تزوير الكتاب المصرى الذى سبب للثقافة المصرية خسائر فادحة (مادية وأدبية) منذ أصبح الكتاب المصرى نهباً مباحاً أو ملكاً مشاعاً للصوص والمزورين ، فضاعت حقوق المؤلفين والناشرين التى لم تعد تمثل شيئاً فى نظر هذه (المافيا) التى دأبت على السطو والتزوير للتجارة والكسب غير المشروع .

وقال الخانجي - أكبر متضرر فى عملية التزوير هذه - ان التزوير يأخذ أكثر من شكل : فهناك الطبع بالتصوير مع الاكتفاء بحذف اسم الناشر الأصلي ، وهناك حذف اسم المحقق (فى كتب التراث خصوصاً) والناشر كليهما مع حذف بعض التعليقات وكتابة ديباجة مغايرة للتمويه - مع عبارة تقول : طبعة جديدة محققة ، أشرف على تحقيقها لجنة من علماء الدار . وكذلك الحال فى الكتب المؤلفة . وبينما وصل الأمر بالقارئ المصرى أن يطلب دون حرج الطبعة البيروتية المزورة لأنها أجود طباعة وأقل سعراً ؛ فالمؤلف المصرى الذى يسعى للمطالبة بحقوقه المادية المنهوبة يسلقونه فى تبجح بالسنة حداد ويواجهونه بالاستنكار كأنما قد جاء ليستجدى ما ليس حقاً أو يطلب السؤال من اللص الذى سرقه .

وبينما أرسل اتحاد الناشرين المصريين إلى بيروت وفداً برئاسة رئيسه محمد عبد المنعم مراد التقى مع عدد من المسؤولين اللبنانيين بهدف الاتفاق على طريقة تتم بها استعادة حقوقهم عما تم تزويره ووقف التزوير مستقبلاً - ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً

(وبقية الناشرين اللبنانيين قهاجمهم وتتهمهم بأنهم (المصريين) هم الذين يزورون ، وتدعى أن التزوير الذى يتم فى بيروت إنما هو لحساب ناشرين مصريين وبتفاق معهم) ، وبينما كان أعضاء الوفد من الناشرين المصريين - لإيجاد حل جذرى للموضوع وحسمه نهائيا بكافة السبل - ولو بالقانون الدولى والإنتربول - رافضين المساومات والحلول الجزئية من الجانب اللبنانى التى أصبحت مهزلة متكررة - يطالبون بميثاق عربى يوقعه وزراء الثقافة لبحث قضية الكتاب ككل ، وذلك فى نطاق جامعة الدول العربية (كامل عكاشة، دار المعارف) ، أو أن تشترك الدول العربية معاً فى وضع قوانين حاسمة لحماية حقوق المؤلف والناشر (محمد الخانجي) ؛ أو أن تطالب الدول العربية بضرورة التوقيع على المعاهدة العربية التى أقرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٣٣ (إبراهيم المعلم) ...

بينما هذا وذاك يتفاعلان على جانبى الساحة ، نشرت الوفد (١١/١ / ١٩٩٤) " أغرب فتوى يتلقاها بالفاكس ناشر مصرى (محمد رشاد) فى رسالة هى

عبارة عن فتوى تسأل عن جواز طبع كتاب بدون إذن صاحبه مع وجود عبارة (كافة الحقوق محفوظة) ، وجواب المرسل على لسان المفتى :

" باسمه تعالى ، لا دليل على عدم الجواز ، والله أعلم " . وفتوى أخرى نشرتها مجلة "منار الهدى" تجيب على سؤال : ما حكم ما يكتب على بعض الكتب " حقوق الطبع محفوظة " بأنه " على زمن الصحابة والتابعين ومن بعدهم عُرف بين المسلمين أنه إن ألف أحد كتاباً نافعا لا ضرر منه - يجوز لمن وقع فى يده أن ينسخه ويوزعه - حتى كان هناك مكان للناسخين بأجرة ، ويُعرفون بالوراقين . هذا ما جرى عليه المسلمون سلفاً وخلفاً . فلا يغير الحكم الشرعى كتابة بعض الناس هذه الكلمة المخالفة للشرع مهما كثروا . معنى هذا أن تزوير الكتب جائز شرعاً ، وإن ملكية الباحثين والمؤلفين لبنات أفكارهم وثمرات قرائحهم مشاع مستباح للنهب والسطو والكسب غير المشروع على حساب افتقار العلماء وعوزهم إلى ما يسد رمقهم أو يشترون به مصادر علمهم ومعرفتهم .

٢- كشف الحيل الدفاعية ، وإثبات

نسب الإبداع :

هكذا في جو محموم من التنطع والتبجح حيناً والاستكانة أو الاستخذاء حيناً آخر- على الصعيدين الفردي والقومي - ينتهي الأمر كما هي الحال في كل قضايا حياتنا اليوم إلى استمداد الفتوى الشرعية بالحرام والحلال من المأجورين والجهال . ويتداعى النشر عن قضايا السرقات الأدبية والفنية والبحوث العلمية والرسائل الجامعية ، كما تستخدم مهارات وقضايا الاتهام والتبرئة أو الحفظ (بين سارق يظل متمسكا بالجلوس على مقعد الشهرة ومسروق يحلم بالوصول إلى هذا المقعد) ، أو أساتذة يجمعون شتات الفصول من شتى المراجع دون جهد أو انتقاء ثم ينسبونها لأنفسهم لقاء حفنة جنيهات يكتوى بها طالب علم وبحث فقير ومحتاج (محمد حربى ، أهرام ١٠/٢ ، ١٩٩٤/١٠/٢٤) ... يتداعى النشر وتستخدم المهارات لتمتد إلى الخارج كقضية " إثبات نسب الإبداع " (الوطن العربى ٩٤/١٠/٢١) - حيث يتحدث النقاد عن الأسس التى تسهل عمل الناقد فى محاولة إثبات أو دحض الاتهامات التى طالت

تقريبا كل الرموز الأدبية .

فبعد عرض لما تشهده دهاليز المحاكم من دعاوى قضائية ضد ناشرة رواية " هوس البحر " بهيئة الكتاب من كاتبة مغمورة بالسويس كان قد سبق تقديمها الرواية للهيئة ولم تنشر وأيد النقاد صحة الاتهام ، وبعد ثبوت أن قصة " يابنفسج " المنشورة بمجلة (إبداع) ليست إلا صورة بالكربون وترجمة حرفية لقصة " الرواية الضائعة " الإنجليزية المترجمة للعربية والمنشورة بالملحق الأدبى لجريدة (المدينة) السعودية ... بل وفى الشعر اتهم كبار الشعراء بالسطو على مقاطع من قصائد شعراء إنجليز ويونانيين ونسبتها لأنفسهم دون إشارة للمصدر الأصيل ، والروايات وتحويلها إلى مسرحيات - ولو بوقائع تاريخية حقيقية لنفى شبهة عملية السطو أو السرقة فلم تمنع من رفع دعاوى قضائية، أو إلى مسلسلات تلفزيونية وأفلام سس-ينمائية (كالإرهابى لعادل إمام بين لينين الرملى ومحمد سلماوى) وكشف المستور (بين القصصى أحمد الشيخ والسيناريسى وحيد حامد) ، وأفلام البرى بطولة أحمد زكى والإرهاب والكباب والمنسى بطولة عادل

إمام (بين وحيد حامد والسيد نجم) ... " مما تحصد فيه شهرة السيناريسست (خصوصاً إذا كان أسامة أنور عكاشة) هذه الاتهامات لتقتلعها من جذورها ويبيء المضرور بالحسرة والخسران " . هنا - ولوضع أسس نقدية أدبية تسهل على الناقد إثبات نسب الإبداع لصاحبه - يقول الدكتور جابر عصفور إن هناك طريقتين : الأولى تتمثل في المرويات والأخبار والشهادات التي يقولها المعاصرون عن المبدع ، الأخرى عبر الدراسات البحثية - مثل تحديد الخصائص الأسلوبية - حيث لكل مبدع أسلوبه الخاص - التي تشبهه " البصمة " ويصعب أن تتكرر في مبدع آخر. فبذا تم توثيق بعض عبقریات أحمد شوقي وإبداعات فكر لويس عوض . ولقد أمكن بتقدم التكنولوجيا في العصر الحديث استخدام الكمبيوتر في عمل جداول بالخصائص المميزة للمبدع ثم التعرف بالعمليات الإحصائية على ما إذا كان العمل الأدبي هو لهذا المبدع أم لا - فهذا تم توثيق أعمال (بل إثبات وجود) هوميروس وشكسبير . لكن ماذا لو أن التأليف يكون بالتلفيق بين تناولات مؤلفين

سابقين عديدين لمختلف فصول مادة الكتاب - حيث في كتابة كل فصل يبدو التماثل في المدخل للموضوع ، وتسلسل الأفكار ، وألفاظ العبارات ... من الواضح بما لا يهتدى معه حتى زملاء التخصص إلى المرجع المنقول عنه - خصوصاً إذا عمد الناقل للتمويه بمراجع عدة ليس بينها بالذات المرجع المنقول عنه مباشرة ، أو تعتمد الإشارة لكتابات سابقة له هو (في رسالته العلمية أو مقال له أو بحث) من حين لآخر للإيهام بأن التأليف بكامله هو من بنات أفكاره وثمار قريحته - مع أن هذا أغبي أنواع التزييف ، لأنه لا يعيب المؤلف أن ينسب للآخرين ما هو لهم حتى يتميز هو . بما هو خاص به - إذ لا ينتظر من مؤلف ما في أحد العلوم أن تكون له دراسة متعمقة لكل أبواب وفصول موضوعات هذا العلم لم يسبقه إليها غيره في القدم والحديث ولو بلفة أجنبية في الخارج !

إن الأستاذ الجامعي المتهم (بسرقة) ١٧٣ صفحة كاملة بهوامشها من كتاب أستاذ سابق له كان لا يزال على قيد الحياة وهو مقدم الشكوى في حقه لجامعته ... ليتذرع

حينئذ بالاقتباس ومشروعية حق الاقتباس (ولو فصول بأكملها وعشرات الصفحات دون تغيير كلمة واحدة) فى التأليف والبحث العلمى ما دام يشير إلى مواطن الاقتباس ولو فى قائمة المراجع بنهاية الكتاب إن لم ترد الإشارة فى هوامش النص ، ويحتج بأن المصدر المنقول عنه مقتبس بدوره من آخرين سبقوه ، وربما تبرأ من كون الكتاب المنسوب إليه والجارى معه التحقيق فى سرقة هو لا يعرف عنه شيئاً . فليس له رقم ابداع فى دار الكتب ، ومن ثم فلا قضية هناك ويحفظ التحقيق لأن الكتاب المسروق يُعتبر حينئذ مذكرة للتدريس يتعدل محتواها وتتغير تسميتها من عام لآخر - خصوصاً إذا أكد أنه لم يقرر تدريسها على الطلاب . وهكذا يخلو الكتاب المتحلى لأغراض تجارية عاجلة من ملكة التأليف بمنهج علمى أو موقف فكرى أو رؤية ذاتية للموضوعات والقضايا الخاصة بالعلم حين يؤلف فيه نص دراسى وافٍ يحيط بكل جوانب المادة العلمية وتتميز على السابقيين فى المضمار . وعدم الحصول على رقم إبداع بدار الكتب للمذكرات الجامعية التى

توزع داخل جدران الجامعة - حيث لا وقت للاجتهاد أو جمع مادة علمية خاصة بالاستاذ أو حتى عرض ونقد المؤلفات السابقة كتمهيد لآراء الأستاذ ومواقفه الفكرية الجديدة - فضلاً عن تغيير اسم المذكرة وترتيب فصولها والحذف بالإضافة لكل عام جديد ... كل هذا يعفى من المسؤولية الجنائية عن حق الغير . ولا عبوة بتحذير المؤلف الأصيل : حقوق الطبع والنشر محفوظة لأن التوزيع يتم داخل أسوار الجامعة خلال ثلاثة شهور الفصل الدراسى ، أما عبارة : (كل نسخة غير مختومة تُعد مسروقة ويعاقب حاملها قانوناً) فهى التى يحرص البعض على التمسك بها حيث يُدعى الطلاب إلى مكاتبهم لختيم نسخة كل منهم للتأكد من تمام توزيع عدد النسخ المطبوعة بقدر عدد الطلاب بالدفعة الجديدة . وأخيراً فربما دافع الأستاذ المتهم بالأمانة بأن المسألة ليست مسألة تزيف كتاب أو سرقة أفكار ، ولا مسألة صحافة وجامعة وقراء ؛ بل الجرى وراء الشياطين الحاقدين الذين لا يهمهم إلا الفرجة على مطاوعة الأخ لأخيه حتى الإطاحة به .

لذا - فقى تحليل واقعى رصين للكاتب
المستنير أحمد عبد المعطى حجازى
(الأهرام ٩٤/٥/٢٥) بعنوان " لابد أن
ننقذ الجامعة " باعتبارها عقل النهضة
وقلبها ويدها الصنّاع : إذا سلمت الجامعة
سلمت النهضة وسلمت مصر ، وإذا
مرضت الجامعة مرضت النهضة ومرضت
مصر - أشار الكاتب إلى أن لصّوص
الفكر لا يسرقون التفسير واللغة والفلسفة
فحسب (فى الأمثلة المشهورة التى ذكرها
(بل يسرقون الاقتصاد والطب والهندسة
والرياضيات أيضاً ... برسائل يتبين بعد
التعيين بها فى درجة مدرس أنها مسروقة من
ألفها إلى يائها ، وبحوث يثبت بعد الترقية
بها لأستاذ مساعد أنها مسروقة من مجلات
أجنبية ، بل برسائل يُشك فى أن (الطالبة
كتبتها أو أن الممتحنين قرؤوها) . وما
ينشر عن سرقة الأبحاث وتجاوز شروط
التعيين والترقية وبيع الشهادات ... أقل
بكثير مما تتداوله الأوساط الجامعية
والأحاديث المغلقة . والوباء يسشى فى
جامعات العاصمة فما بالناس بالجامعات
الإقليمية - لاينجو من الإصابة به الأسلتذة
ورؤساء الأقسام والعمداء ورؤساء

الجامعات ، فما ذا تنتظر من المدرسين
والمعيدين والطلاب ؟

وفى تشخيصه للأسباب التى هأت المناخ
لاستشراء الوباء وسقوط الجسد الجامعى
فريسة تدمير خلاياه التى قاومت
بشجاعة (لأنها كانت سليمة ، وروح
النهضة متقدة ، وآمال المجتمع عريضة)
محاولات تربص الرجعية والسلطة كلتيهما
بالجامعة فى إبعاد طه حسين عن كلية
الآداب عامى ١٩٢٦ ، ١٩٣٢ - فى المرة
الأولى بسبب الزوابع التى أثرت ضد كتابه
" فى الشعر الجاهلى " ، والثانية لرفضه وقد
عاد عميداً للكلية أن يمنح الدكتوراه
الفخرية لبعض السياسيين - ومنهم إسماعيل
صدقى ، وما كان من نقله لديوان
الوزارة ، واستقالة لطفى السيد حين لم
يفلح فى إقناع الوزير حلمى عيسى
بالعدول عن قرار النقل ، ثم عودة كليهما
عميدا للكلية ومديرا للجامعة فى وزارة
توفيق نسيم - وكل ذلك بفضل نزاهة
القضاء المصرى المستنير . ولم تفلح
الإغراءات الحكومية والحملات البوليسية
إلّا بعد عام ١٩٥٤ حين تعرض اثنان
وأربعون من الأساتذة - فى أول مذبحه

تعرضت لها الجامعة - إلى الفصل بسبب التوقيع على وثيقة دفاع عن الديمقراطية ، فسَادَ الذعر كل صاحب رأى حر ولو لم تكن له علاقة بالسياسة ، وأصبح إثبات الولاء للحكومة شرط البقاء في الجامعة - بل القفز منها إلى الوزارة . واستمرت الحال كذلك : الجامعة بلا حصانة ، وفي خدمة السلطة - حتى مذبحة سبتمبر / أيلول ١٩٨١ التي فصل فيها الرئيس السادات حوالى ٦٠ أستاذاً من الجامعة وتم نقلهم إلى وظائف مكتبية .

على أن ثالثة الأثافي في تشخيص أسباب (الفساد الجامعى وفساد الأستاذ) في تحليل الكاتب : التوسع في إنشاء الجامعات الإقليمية لقبول كل الحاصلين على الثانوية العامة بأسبقية مجموع الدرجات (التي حصلوا عليها بالحفظ والاستظهار والدروس الخصوصية) بصرف النظر عن الاستعداد للتعليم العالى أصلاً أو القدرات التي تؤهلهم للدراسة بالكلية التي قبلوا بها ، ودون اعتبار لاستعداد الكليات (بتوافر الأساتذة ، وطاقة المدرجات والمعامل والمكتبات) التي تستقبل سنوياً الآلاف ، أو احتياج سوق العمل من

التخصصات التي توزع عليها القوى العاملة الخريجين بالمئات بعد انتظار وتعطل عشر سنوات ... لينتهى الأمر بالجامعة إلى أن تصبح مدارس تفريخ حملة شهادات ، هدف الطلاب فيها الحصول على الشهادة الموصلة لأى وظيفة ، والأستاذ الحصول على عائد توزيع كتابه المقرر الذى يحرص على شرائه الطلاب للنجاح فى الامتحان ... كلاهما بأقل جهد ودون عناء . الطالب فى مكابدة التحصيل والاستذكار والاطلاع على مراجع أخرى وقراءات خاصة فى موضوع الكتاب (المقرر) ، والأستاذ فى جدية التأليف وانتظام المحاضرات ومواصلة المناقشات ومتابعة التقييم والإرشاد حتى عدالة تصحيح الامتحان ونزاهة تبنى المعيد والمساعدين.

بذا يصدق ما قاله أستاذ فلسفة قديم فى التعليق على حادث حصول متأخر على الدكتوراه ١٩٩٢ من جامعة الإسكندرية برسالة ماجستير مسروقة من باحث متقدم سنة ١٩٨٠ (الذى نشرته تحت عنوان ضخيم مجلة أخبار الأدب بتاريخ ١٩٩٤/٩/٢٥) وتعيينه مدرسا للفلسفة الإسلامية والتصوف بآداب جامعة

إقليمية ، حيث أكد أساتذة التخصص دعوى الباحث المتقدم بالسطو على رسالته. " فقد تم بالفعل نقل معظم مقدمة رسالة المدعى بنص الكلمات والحروف ، وكذلك خمس صفحات تفسيره الخاص للإسراء والمعراج بما في ذلك الهوامش المتعلقة بنفس الصفحات دون أية إشارة لمرجعها الأصلي . ثم إن نتائج بحث المتأخر هي نفس نتائج بحث المتقدم - مما يؤيد قول المضرور إن الباحث المتأخر لم يكن له في رسالته للدكتوراه من الإسكندرية بحث خاص به - لا من حيث المقدمة أو الأهداف ولا من حيث النتائج . فالبحث لم يعد له بهذه الطريقة هدف أو مضمون أو نتائج ، لأنها كلها منقولة من رسالته هو للماجستير بكلية آداب القاهرة ١٩٨٠ في موضوع " حال الفناء في التصوف الإسلامي " ...

... يصدق ما قاله بحق أستاذ الفلسفة الكبير بجامعة عين شمس على هذا الحادث المؤسف : إن خريجي هذه الأيام هم نتاج صادق لمجموعة من المذكرات الجامعية كتبت على عجل ، وقام بوضعها وتدريسها مجموعة من الأساتذة والمدرسين

والمتفحص لهذه المذكرات التي تخرجت عليها أجيال كثيرة من الباحثين في الجامعات المصرية يجدها في حقيقة الأمر صورة مزرية من البحث والكتابة وأصول البحث العلمي ومنهجيته . وماذا يملك طلاب الدراسات العليا من زاد سوى ما نشأوا عليه من مذكرات منقولة دون ذكر في معظم الأحيان للمراجع المستقاة منها في العربية ذاتها - فضلا عن مصادر العلم والفلسفة باللغات الأجنبية التي استطاع هؤلاء الرواد الآباء أن ينقلوا الثقافات العلمية والفلسفية في جميع عصورها وبكل لغاتها إلى جيل الأساتذة الحاليين الذين لا يجيدون لغة أجنبية وينقلون عن السابقين والمعاصرين مذكرات مجهولة المصدر ينسبها الطلاب إليهم ويتخذونها مراجع حتى للدراسات العليا ! إن فاقد الشيء لا يعطيه، والطلاب والمشرفون على رسائلهم ما بين الاستسهال وعدم التدقيق والتأني في البحث والدرس يشجعون أحدهم الآخر على التسرع والسطو والانتحال .

٣- لجنة دائمة للرقابة على المؤلفات، والجزاء التأديبي للاقتباس :

وحين يتساءل ضحايا السرقات العلمية والغيورون على سمعة الجامعة ومستقبل الأجيال أخيراً عن : مَنْ يملك سلطة الحد من الظاهرة الخطيرة أو يحكم إصدار الكتب الجامعية ؟ ترد إلى الذهن أول الأمر اللجان العلمية الدائمة التي تفحص إنتاج أعضاء هيئة التدريس الجامعي للترقية درجة بعد أخرى ثم تلقى لهم الحبل على الغارب - حيث يتنفس هؤلاء الصعداء ويتحررون من عرض إنتاجهم العلمي تأليف وبحوثاً على آبائهم في العلم إن كانوا سينتجون أو شفيت صدورهم من كراهية هؤلاء الآباء سواء المتشددون من الحكام والمقررين (محافظة على المستوى) والجاملون (اتقاء كراهيتهم وتعقد نفوسهم وربما افتراءهم عليهم بالغرض والهوى) . فها هم سيزاملونهم في عضوية اللجان ليرقوا أبناءهم ويحلوا محلهم في الأستاذية ، وإشراف ومناقشة الرسائل وحضور الندوات والمؤتمرات بحكم مناصبهم كعمداء ورؤساء أقسام وأعضاء مجالس .. وإن لم يستغنوا عن أستاذهم فهم الذين سيعطونه فضلة خيرهم ، فمن الخير له و لهم أن يبقى أستاذاً غير متفرغ حتى لا

يشارك بفعالية في أعمال التدريس و الامتحان - و كما يقول ليب السباعي (الأهرام ٩/٥/٩٤) بعنوان : " ولا حتى يحاضر لطلابه " إن شغل الأستاذ بعد سن الستين لما يُعرف بوظيفة الأستاذ غير المتفرغ أثبت على مدى السنوات السابقة فشله .

فالأستاذ ما إن يقترب من سن الستين حتى يستعد الورثة لتسلم التركة بدءاً من المكتب الذي يجلس إليه و حتى الكتاب الذي يُدرسه . و يصل الأمر في معظم الأحيان أن يجد الأستاذ غير المتفرغ نفسه غريباً داخل الكلية التي أمضى بها سنوات عمره ، أو على الأقل يجد نفسه غير مرغوب فيه .

لا سلطان إذن للجان العلمية الدائمة على مَنْ ترقى أستاذاً و تخلص من تدريس كتب أساتذته التي تعلم عليها ليكون له هو كتابه الخاص الذي يحصل على عائد من توزيعه - و هذا حقه . أكثر من هذا ، فاللجان العلمية - حتى في الدراسات النظرية وخصوصاً بالكليات العملية تشترط للترقية بحوثاً ميدانية ذات جدوى في التخصص - بعضها منشور والبعض مقبول للنشر . مجلات علمية ذات هيئة تحكيم أغلبها من

أعضاء اللجنة العلمية وإن يكن بمجلة كلية أخرى مناظرة لكلية المتقدم للترقية - الذى يتحمل نفقات النشر التى يُنفق على التحرير (أو الاشتراك بالمؤتمر العلمى) من حصيلتها ، ومنها يتحصل مقدم البحث على خطاب القبول للنشر لما لم ينشر بعد وعلى مُستَلات من بحثه لتقديمها للترقية ، كما يتسابق على استيفاء عدد المطلوب نشره بالفعل إلى حد استصدار أعداد كاملة أغلبها لباحث واحد حان موعد تقدمه للترقية . وتخرج اللجان من جانبها عن الحكم بعدم الصلاحية لبحوث سبق التحكيم بصلاحياتها للنشر . وهكذا تصبح الترقية بالبحوث فى أحسن الظروف ولأحسن المستحقين بمشاركتهم فى الإنتاج العلمى مسألة أولوية استحقاق بللواعيد ، أو الرد " للمزید من البحث " لتدارك التأخير فى حالة الرفض لأول وثانى مرة . المهم أنه خلال انشغال عضو هيئة التدريس فى زهرة شبابه العلمى ببحوث الترقية لا يتسع وقته للتأليف فى مادة التخصص - باستكمال مذكرات تدريسه وتنقيحها عاماً بعد آخر لتصبح كتاباً دراسياً جامعاً يستغنى به عن تدريس كتب الأقدمين ، أو

لا يضطر حين يطالب بحقه فى تدريس فرع تخصصه بالقسم دون منازع أن ينقل على عجل أو (يقتبس) بالنقل عن الآخرين . وهكذا فإن تركيز اللجان الدائمة على البحوث للترقية ، وعدم إعطاء التأليف أو الترجمة مهما حسُنا تقديراً أكثر من " جهد علمى مشكور " هو الذى يضرّ بتدرج عضو هيئة التدريس فى إعداد كتابه الدراسى الذى يحمل فكره وتأليفه .

ثم حين يتساءل أحد المتضررين بمرارة من السطو على مخطوطة كتابه والكتاب وصاحبه موجودان على قيد الحياة ، ثم تقرير تدريس الكتاب المنقول على الطلاب ... يتساءل عن السبيل لاسترداد حقه قبل اللجوء إلى القضاء ورفع قضية تعويض بالحق (المدنى) أو التظلم للجان الدائمة للترقية التى لا سلطان لها على عضو هيئة التدريس بعد حصوله على الأستاذية مهما رفضت ترقيته لأستاذ مساعد فأستاذ مرة ومرات ، أو تنبعت لجنة الفحص للسرقة فى بعض أعماله لكنها انتهت آخر الأمر إلى ترقيته كما يحدث فى معظم الأحوال .. حين يتساءل هذا المضروب بمرارة : أليس من حق (بل واجب) مجالس الكليات

ومجالس الجامعات المعنية أن تتخذ إجراء صارماً - لا لإنصاف المضارين فقط ، بل لردع العابثين المنحرفين ، صوناً لكرامة الجامعة ، وحفاظاً على جلالها وسمعتها ؟ يجب هو نفسه قائلاً : - أحسب أن الإجابة عن هذا السؤال هي في يد رؤساء هذه المجالس وفي يد أعضاء المجلس الأعلى للجامعات . " وأنه فيما بين اليأس المسيطر (أن ينتظر رداً من أحد - لأن أحداً لا يهمه أن يكون الأستاذ الجامعي سارقاً للعلم مختلساً لحقوق وإبداع الآخرين) ولغة الأمل والتفاؤل؛ يطمح في أن يرد عليه عميد الكلية أو رئيس الجامعة المنسوب إليها الأستاذ المتهم عن تساؤلاته . من الذى يحكم عملية إصدار الكتب الجامعية ؟ وما هو موقف الجامعة وقد عرفت بما جرى ؟ وما هو دور اللجان التأديبية في هذه الحالات ؟

إن أحداً لن يرد على تساؤلات هذا الأستاذ كما توقع ، ولا على تساؤل آخر بالبنط العريض بأخبار الأدب

(عدد ٥٦ في ٧ يوليو ١٩٩٤) عن حادث مماثل: "بعد هذا الكتاب (الذى نشره أستاذ مساعد فلسفة طنطا

يتهم فيه أستاذ ورئيس قسم فلسفة الأسكندرية بالتزيف في كل أعماله العلمية التى يدرسها ككتب ومذكرات للطلاب): هل يستمر هذا الأستاذ رئيساً لقسم الفلسفة بجامعة الأسكندرية ؟ كما أن أحداً لن يستجيب لما نشر في عدد سابق بنفس المجلة بعنوان الكتاب الجامعي أزمة كل عام : أستاذ يطالب بالمساءلة الجنائية لمن يبالغ في سعر الكتاب - وإن يكن في هذا المقال بحق التركيز على مسؤولية مجلس القسم عن التجارة بدل العلم : في ارتفاع سعر الكتاب المقرر ، وتأخر تسليمه ، وعدم ملاءمته للطلاب (حيث هو غالباً بحث الماجستير أو الدكتوراه وبحوث ترقية الأستاذ التى لا يمكن أن تغطي المقرر الكامل كموضوعات جزئية منه) . هنا بالفعل مفتاح الحل . فالقسم العلمى بالجامعة هو الذى يوزع المقررات الدراسية على أعضائه ، ويحدد الكتاب المقرر ، وعليه تعرض بحوث التعيينات والترقيات قبل أن يرفعها مجلس الكلية إلى مجلس الجامعة ... فهو الأكثر معرفة وإحاطة بالتخصصات الدقيقة لأعضائه والمقرر الذى أحدهم هو الأصلح لتدريسه ...

والعادة أن لا يحتدم نزاع حول أحقية أحد أعضاء القسم الأدبية على تدريس مقرر له فيه مؤلف أو مؤلفات ومن حقه استرداد تكاليف طباعتها ، كما يتم بالتراضي حلول أستاذ محل آخر إذا أعير ثم استرداد مادته حين يعود ، أو يُعطى أحدهما مقررًا بديلاً بممكنه التأليف فيه . كما قد يعتمد القسم كتاب واحد أو أكثر من الأعضاء كتأليف مشترك وتوزيع الحصيلة على الجميع بنسبة درجات عضوية التدريس. لكن الأغلب أن يكون التنازع حول حق المؤلف بين أساتذة في كليات مختلفة تخصصهم واحد ، وعلى فترات زمنية متباعدة بعض الشيء خلالها تقاعد أو توفي أو أعير إلى الخارج صاحب التأليف الأصلي ، هنا لا يستطيع القسم العلمى أو رئيس الجامعة المدعى على أحد أعضاء التدريس فيه بالانتحال أو السرقة أن يوقع العقوبة التأديبية إلا بعد تحقيق محايد ونزيه - بالنظر إلى فداحة العقوبات التى يقترحها مثلاً أستاذ هندسة الأسكندرية د. أحمد عبد الله حسام الديسن (الأهـرام ٩٤/١٠/٣١) كحل رادع لتلك المأساة:

أولاً : يعاقب بالفصل من عمله من

تثبت إدنته فى نقل معلومات علمية ولو نقلها بتصرف أو نسخ أجزاء من عمل الآخرين دون الإشارة للمصدر أو بغير إذن المؤلف .. حيث تطبق قوانين حقوق التأليف بكل صرامة وجد ، لأن هذه سرقة ، والسرقة جريمة مخلة بالشرف ، وجزاءها الفصل التأديبى .

ثانياً : حين يثبت للجان فحص الإنتاج العلمى أن الأعمال المقدمة منقولة أو مقتبسة وليست إضافة علمية للباحث ، توصى اللجنة بعدم ترقيته نهائياً ، بل لا يسمح له بالتقدم مرة أخرى - لكيلا يكون قدوة لتلاميذه فى الغش والتدليس .

ثالثاً : يعاقب بالسجن من يقوم بالسرقة العلمية - لكونها أخطر على المجتمع من السرقة المادية (التى قد يكون لمرتكبها العذر لضغوط معيشية أو ضائقة مالية) ولا عذر لأستاذ الجامعة فى ارتكاب جريمة سرقة العلم .

رابعاً : تبلغ الجهات العلمية والعالمية ودور النشر بأن هذا الأستاذ غشاش ، فلا تنشر له أبحاث بالمجلات العلمية والدوريات المحترمة فى الخارج ، بل يوضع على قائمة المهتدين بفضح اهتزازهم لأعمال الغير ،

وأولاً وقبل كل شيء : ضرورة تشكيل لجان في كل مادة علمية لتأليف الكتب (او لكل كتاب جديد) بحيث لا ينشر كتاب إلا بعد أن تجيزه لجنة علمية متخصصة - على غرار النظام المعمول به في جميع دول العالم وكثير من الدول العربية مثل الكويت - حيث اللجنة المشكلة من الخبراء والمُعنيين تجيز ما تراه إسهاماً علمياً في هذا المجال ، ولا تجيز المنقول أو الذى ليس به جديد او له فائدة علمية ، وأعضاء اللجنة أساتذة مشهود لهم بالعلم والحيدة والنزاهة قد مر عليهم في درجة الأستاذية عشرة أعوام .

المُعول عليه إذن في مواجهة هذا الخطر المحقق بفعالية التعليم العالى - الذى يقرنه وزير التعليم دائماً برفع مرتبات أعضاء هيئة التدريس كلما " أعلن رفضه نظام الكتب الجامعية الذى يعتمد على المذكرات كمقررات (الوفد ١١/٢ / ١٩٩٤) - قاعدة الهرم الأكاديمى وهو مجلس القسم ، وقيمته التى هى المجلس الأعلى للجامعة - باعتبار أن مجلس الكلية ومجلس الجامعة ممثلين بالعميد والرئيس يصادقان على اقتراحات وترشيحات القسم المختص

لرفعها كل منهما إلى الذى يعلوه . وقد رأينا أن ما يتوافر لمجلس القسم من صلاحيات معرفة كل عضو بتخصص بقية زملائه الدقيق وتعمقه واجتهاداته في عرض وبحث وتطوير موضوعات بعينها من هذا التخصص (الأمر الذى استحدث في النظم التربوية نظام التدريس بالفريق team teaching للمادة الواحدة بنجاح منقطع النظير) فهو وإن نجح في توزيع المقرر الدراسى المقترن بكتاب شامل لكل موضوعات المقرر هو لأحد مدرسى المادة أو أكثر أو حتى باسم هيئة التدريس مجتمعين مع تقاسم العائد المادى منه ... لا يمنع التنافس الخفى بين التقدير الذاتى وصورة الآخر (بين) على أحقية كل منهم في التميز والسبق في الترقية على قدر جهده وأدائه وتفوقه التى يشاركة فيها الأقل أصالة وتميزاً في اجتناء الثمار - مما يجعلهم يقبلون طواعية وبرضى نفس مفارقات ترقية الأحداث قبل الأقدم ، ولولا أن الترقيات في الجامعة لا تتم بمحرد الأقدمية كما في الوظائف العامة الأخرى (حتى لا يركن الأساتذة إلى الدعة وتخدم جذوة البحث المؤدى إلى تطوير وتقديم

العلم ، وأن الطلاب أنفسهم خير حكم على جدية وأمانة أستاذ دون آخر في البذل والعطاء ... لما أمكن تعاون أعضاء مجلس القسم الظاهر في الرضا بوضع كل منهم الأدبي (ما دام ينال نصيبه المادي في استيفاء النصاب وفي المحاضرات الإضافية وحصوله المذكرة التدريسية ...) ، ولما أمكن تقبل الترتيب غير الرسمي في التدرج الهرمي حتى رئاسة القسم . فهناك تفاهم ضمني على أسبقيات التقدم للترقية وخلافة رئاسة القسم وتقاسم الأعمال الإدارية والأنشطة الطلابية والمجاملات الاجتماعية الشخصية والأسرية ... التي لا تنفي الحرص على تقرير الذات ومسيرة اعتبارات الصالح العام والخاص . ويتوقف الأمر دائماً على براعة القيادات الجامعية من رئيس القسم حتى رئيس الجامعة في امتصاص الخلافات وحسم المنازعات وخلق الترضيات والتسويات ... على كل مستوى قبل أن تصل إلى الذي فوقه أو يعمد البعض إلى تخطي السياسات والشكوى لجهة خارجية .

لكن ماذا إذا اشتعل الصراع حول أحقية أحد الأعضاء في تدريس كتابه الخاص

وحده دون شريك في عائدته المادي - خصوصاً لطلبة دفعة كبيرة العدد - بينما زملاؤه ينظرون إليه في ازدراء وأنانيته وتعاليه وخصوصاً أيضاً إذا كان قد تربع طويلاً على العرش أو ليست به حاجة لمزيد من الكسب والثراء على حساب افتقارهم وحاجتهم هم أيضاً لتكوين أنفسهم مادياً ، فراحوا ينبشون قبره ويسفّهون علمه ... ولم تفلح قيادات القسم أو الكلية أو الجامعة في رده إلى حظيرة الزملاء قبل أن يتمادوا في تحطيمه بالطعن في سلوكه وأخلاقياته الشخصية بالنشر الصحفى أو لدى لجان الترقية في بحوثه التي ترقى بها للأستاذية - إلى حد رفع قضايا التزيف والانتحال لما يؤلف أو يدرس أمام القضاء ، واستعداد أساتذة في جامعات أخرى لهم مؤلفات في نفس التخصص ؟ هنا - لا غنى عن سلطة رقابية على المؤلفات بالمجلس الأعلى للجامعات الذي تتبعه اللجان العلمية الدائمة للترقيات يحيل عليها رئيس الجامعة المتهم أحد أعضاء هيئة التدريس بها الكتاب المطعون عليه (أو المضرور صاحب الحق الأدبي) للتقرير عن التزيف أو الانتحال الذي يستوجب العقوبة

التأديبية . فاللجان الدائمة للترقيات
بوضعها الحال الذى يقصر مهمتها على
ترقية المدرسين إلى أساتذة مساعدين ،
وهؤلاء إلى أساتذة فى لجتين كثيرا ما يجمع
البعض بين عضويتها مع ما يستجد من
أعضاء استوفوا ثلاث وخمس سنوات
(رفعت إلى خمس وسبع سنوات) حصول
على الأستاذية - لاتاحة الفرصة لشباب
الأساتذة أن يأخذوا دورهم فى ترقية
مساعديهم (ضماناً لولائهم وتسلسل
أقدمياتهم) ثم تكملة الخمسة والعشرين
عضوا بكل لجنى تخصص . بخمسة أساتذة
متفرغين وغير متفرغين بالاختيار ... قد
عدلت فى التشكيل قبل الحال لتستبعد
قدامى الأساتذة الذين مضى على
أستاديتهم أكثر من عشر سنوات
(بل عشرين وثلاثين سنة) - حيث لا
دور لهم فى قيادة شباب هيئة التدريس
(بقدر ما للأساتذة رؤساء الأقسام
وعمداء الكليات أعضاء اللجان) نحو
الاستفادة بولاء هؤلاء فى انضباط الإدارة
وحسن سير العمل الذى أصبح يرجع كفة
الأبوة العلمية . وكثيرا ما لم تستوف
اللجان عدد الأعضاء الخمسة والعشرين مع

وجود عجز فى شباب الأساتذة ووفرة فى
الشيوخ الذين لا زالوا على قيد الحياة فى
قمة مجدهم العلمى .
والآن - فاق قدامى السن من الأساتذة
هؤلاء ، الذين تقاعدوا عن تولى المراكز
الإدارية بالقسم أو الوكالة أو العمادة أكثر
من عشر سنوات ، (وكان قد اقترح قبل
الثمانينيات أن يكونوا أساتذة ممتازين أو
أساتذة بحث - بدرجة نائب رئيس محكمة
عليا - تعويضاً لمن لم يصل منهم إلى
هذه المناصب قبل بلوغ السن ، وتشجيعاً
للأساتذة على عدم التسابق إلى هذه
المراكز لولا ثورة نوادى هيئة التدريس
حينئذ على تسمية " ممتاز " مهما أخلوا
الجو لهم) ... هؤلاء الأساتذة المخضرمون
- بما بقى لهم من شيوخة وتجرّد - هم الذين
ينبغى أن تُخصّص لهم الخمسة مقاعد فوق
العشرين (وما لا يستكمل بالشباب حتى
العشرين) الأقدم فالأقدم فى كل لجنة
علمية ، ليختار من بينهم رئيس الجامعة
الذى لديه شكوى من أحد أعضاء هيئة
التدريس بجامعة فى حق زميل له (بدل أن
يشكل لجنة محلية أو داخلية تكون أميل إلى
التستر والتغطية وإهدار حق المضرور لصالح

السلام والاستقرار داخل الجامعة - كما يحدث أغلب الأحيان) ، ويجيل للتحقيق الأكاديمي في موضوع الشكوى الذي يقرر له عنه هؤلاء الحكماء الحكام إلى مجلس التأديب الذي يقضى بأحد الجزاءات التأديبية المنصوص عليها في المادة ١١٠ من قانون تنظيم الجامعات رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٢ وتعديلاته - التي تتدرج من التنبيه واللوم حتى العزل من الوظيفة مع الاحتفاظ بالمعاش أو المكافأة ، أو العزل مع الحرمان منها في حدود الربع . فحين يثبت التقرير العلمي واقعة السرقة أو التزيف أو الانتحال ؛ " فكل فعل يزرى بشرف عضو هيئة التدريس أو من شأنه أن يمس نزاهته أو فيه مخالفة لنص المادة ١٠٣ (في شأن الدروس الخصوصية مثلاً) يكون جزاؤه العزل .

والمعايير التي سوف تستهدى بها السلطة الرقابية على المؤلفات هذه داخل اللجان العلمية الدائمة بالمجلس الأعلى في إثبات جريمة (التقليد) كما عتداء على حق المؤلف المادى والأدبى - وبالتالى حماية حقوق المؤلف الأصلي ... موجودة بالقانون المصرى رقم ٣٥٤ لسنة ١٩٥٤

وتعديلاته ، وقبل ذلك بمشروع قانون الجامعة العربية لحماية حق المؤلف (١٩٤٧) وتعديلاته - وإن يكن في الترجمة من لغة أجنبية إلى العربية قبل مضى خمس سنوات من تاريخ أول نشر للمصنف الأصلي ، وما لم يكن صاحبه قد حفظ لنفسه حق التأليف خمسين سنة بعد وفاته - مما يمكن إعماله في المؤلفات العربية أيضاً - حيث تجرى التفرقة بين ما إذا كان النقل عن المؤلفات اجتزاء citation بالنص الحرفى لبعض ما ورد في المصنف المنقول عنه ، أو جمع وتبويب مختارات من عدة كتب بجهده تأليفى أو تصنيفى شخصى compilation ، أو اقتباس الفكرة دون النص التعبيرى عنها - وكلها ليست جريمة تقليد ولا تستوجب . حق الحماية - ما دام الناقل يشير دائماً وبأمانة علمية وفي كل موضع (مهما تكررت الإشارة يتكرر الاجتزاءات) للمصدر المنقول عنه واسم مؤلفه ، وما دام الاجتزاء ليس نقلاً كاملاً وبتوسع ، ولو بحجة التعليق على النص ، فمعيار القلة والكثرة في الاجتزاء - السدى يسمونه الاقتباس - أن لا يغشى الكتاب المنقول عن الكتاب الأصل وينافسه ، أى

أن لا يغنى الكتاب الجديد قارئه عن الرجوع للمصدر المنقول عنه فيكون اعتداء على الحق الأدبي والمادى للغير يستوجب التعويض - علمًا بأن القضاء الفرنسى المأخوذ عنه هذه التشريعات- تشجيعًا للأغراض العلمية والتعليمية والثقافية .
الفرانكفونية- لا يصل إلى درجة التشدد

التي وصل إليها الأمريكيون مؤخرًا للحد من السرقات العلمية والأدبية والفنية لا للمؤلفات المطبوعة وحدها بل لأشرطة التسجيل المسموعة والمرئية بالتلفاز والفيديو والحاسبات الإلكترونية وقنوات الإرسال والاستقبال الفضائية .

كمال محمد دسوقي

عضو المجمع

من مشكلات عقائد سبأ القديمة

للأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح

أثارت قصة سليمان عليه السلام مع حاكمة سبأ- في القرن العاشر قبل الميلاد - جدل بعض المستشرقين حول أولوية ديانة الشمس السبئية القديمة على غيرها . وقد قال القرآن الكريم عن صاحبة الأمر فيها حين ذاك : " وجدّتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ... " . وأتى هذا على خلاف ما تعودته المصادر السبئية التاريخية من تقديم ديانة القمر على ما سواه ، واعتبار معبودها الأكبر " إلمقه " رأساً لثالث يجمع بين القمر والشمس ونجم الزهرة .

وثمة ثمانية فروض يمكن افتراضها لتفسير هذا الاختلاف ، ودفع الشبهة عن مدلول الآية القرآنية المذكورة آنفاً ، وبعض أخبار التوراة .

أولاً: احتمال تزامن العقيدتين القديمتين مع احتفاظ عقيدة الشمس السبئية بمكانة الأكثر شعبية والأكثر تأثيراً بسلطة الأم — Matriarchy التي مرت بها مجتمعات قديمة أخرى كثيرة ، بحيث تحتل الشمس المقام

الأول لدى الناس ، ويمثل القمر إله الدولة الرسمي .

ثانياً : الأخذ بعين الاعتبار تسمية النسّابين الأوائل للجد الأعلى للسبئيين باسم " عَبّ شمس " وإطلاق اسم " عين شمس " على عاصمته بما يركى أقدميته . (رغم افتقار هاتين التسميتين إلى سند آخر صريح) .

ثالثاً : ذكر الهمداني فيما ذكره عن العقائد العربية القديمة أن اسم " شمس " كان يعبر عن معنى الرّبّة بوجه عام ، وإن لم يحدد هذا بتاريخ مؤكد .

رابعاً: احتمال تأثر السبئيين القرييين من عهد سليمان بحكم أتباع الشمس بعد هجرة أو غزوة قاموا بها في فترة مبكرة لم تترك نصوصاً مكتوبة، واصطبغت سياستها بصيغة ثيولوجية ، وسبقت حكم الملوك ، واستمرت على هذا النحو، حتى تغلب عليها أتباع القمر وسوّدوا عقائدهم عليها .

خامساً : احتمال ارتباط ذلك التفضيل لعبادة الشمس السبئية القديمة على ما سواها بولاء شخصي ادخرته سيدة سبأ

لربة الشمس ، تقديرًا لذاتها، وباعتبارها راعية لها ، ومناسبة لما تحمله مثلها من عناصر الأنوثة والإخصاب والأمومة ، أو لكرامة معينة توهبتها فيها ، أو نتيجة لاهتمامها الخاص ببركات معبد متميز من معابدها ، ولم يكن غريباً إن صح هذا الفرض أن يجاملها قومها ويرفعوا من شأنها على ما عداها ، وكثيراً ما أدت الميول الشخصية للرؤساء الأقدمين إلى تقديم بعض المعبودات وبعض المعتقدات على بعض ، والناس على دين ملوكهم كما يقولون .

سادساً : لا بأس من الاستشهاد بما روتاه النصوص الآشورية في القرنين : الثامن والسابع قبل الميلاد عن رئاسة بعض ملكات دومة الجندل وجيرانها في شمالي شبه الجزيرة العربية للنواحي الروحية في بلدها ، ورئاسة كهنوت معبودتها الكبرى " دلبات " عملاً بتقاليد قديمة سمحت لكبريات نساء الأسر المالكة برئاسة الكهنوت واحدة بعد أخرى ، أو بنتاً بعد أمها ، وهو استشهاد لا بأس به لولا مشكلة البعد المكاني والبعد الزماني بين هذا البلد ودولة سبأ .

سابعاً : ثمة مثال قائم لاستمرار أولوية تقدير كوكب الشمس في أنشودة سبئية قديمة ترجع إلى القرن الثاني الميلادي ، وتعرّف على مضمونها يوسف عبد الله ، وتألّفت من ٢٧ بيتاً من سجع أو شعر، انتهى كلٌّ منها بقافية موزونة ، وكانت الشمس هي كبرى معبودات قومها ، على خلاف ما جرت عليه غالبية مناطق اليمن من تقديم القمر عليها . ووصفت بأنها "ذات حميم" ، أى المتقدة ذات الحرارة أو ذات الأشعة (أو المنسوبة إلى جبل حميم) و"ذات بُعدان" ، كناية عن بعدها، وارتفاع مكانتها . وبلغ من وفرة النذور والقرايين التي كانت تُوهب لها أن قدّم إليها الملك "نشاكرب يها من" ٢٤ تمثالاً مذهباً دفعة واحدة، وشيّد لها جزءاً كبيراً من معبدها . كما أنجز لها قَيْلُ رَدْمَان وخَوْلَان نُصْباً ومدافن ومباخر ومناقل وموارد مائية ومدرجات زراعية .

وحظيت بقية عبادات الشمس في بلاد اليمن بمكانة قريبة من هذه المكانة في معظم المواطن الأخرى كزوجة وأمّ ، وتنوعت بقية ألقابها بتنوع الصفات والمواضع والمعابد التي تُسبت إليها .

كما تُخصّص لها معبد في "الحقة"
باعتبار أنها "ذات بُعدان" ، وتُخصّص نص
للتقرب إليها وحدها بصفقتها "ذات حميم".
ثامنا: أشاد ثيوفراستوس (٢٧١ق.م)
بجمع المُرّ واللبن والبحور من مختلف
المناطق، ونقلها إلى معبد الشمس السدي
كان أكثر معابد السبئيين قداسة في رأيه،
حيث يقوم على حراسته مسلحون أشداء.

وهكذا احتفظت عقائد الشمس بجزء كبير
من أهميتها القديمة برغم ما نافستها فيه
عقائد القمر حتى حلت محلها في الأولوية ،
ولم يكن فيها ما يناقض الرواية الإسلامية
عنها، وهي الأصدق قيلا .

عبد العزيز صالح

عضو المجمع

إلى كتاب التبيان في شرح الديوان

للأستاذ الدكتور شاكر محمد الفحام

(١)

يقول ابن رشيقي في العمدة : " ... ثم جاء المتنبيُّ فملأ الدنيا وشغل الناس فلم يُذكر معه شاعر إلا أبو فراسٍ وحده ، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه " (١) لقد رُزق شعرُ المتنبيِّ حظاً بعيداً من الشهرة والذيع في عصره والعصور التي تلتـه . وتتابع الأقوال والأخبار التي تكشف عن مدى شغف الناس به وإكبابهم عليه . يقول الإمام الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد، ت ٤٦٨ هـ) في مقدمة شرحه لديوان المتنبي : " ... وإن الناس منذ عصر قديم قد ولّوا جميعَ الأشعار صفحة الإعراض ، مقتصرين منها على شعر أبي الطيب المتنبي ، نائين عما يُروى لسواه " (٢)

وعني العلماء الأئمة بديوان المتنبي العناية البالغة ، وتوالوا على شرحه وإيضاحه ، حتى تجاوزت شروح الديوان أربعين شرحاً . (٣) ويفصح الإمام الواحدي عن جانب من تلك الدواعي التي أهّأت بالعلماء إلى التزامهم على شرح الديوان ،

إذ يقول متحدثاً عن المتنبي : " على أنه كان صاحب معانٍ مخترعة بديعة ، ولطائف أفكار منها ، لم يُسبق إليها ، دقيقة . ولقد صدق من قال :

ما رأى الناس ثاني المتنبي

أيُّ ثان يُرى لبكر الزمانِ

هو في شعره تنبأ ولكن

ظهرت معجزاته في المعاني

ولهذا خفيت معانيه على أكثر مَنْ روى شعره من أكابر الفضلاء، والأئمة العلماء ، حتى الفحول منهم والنجباء ... فلم ين لهم غرضه المقصود لبعده مرمّاه ، وامتداد مداه " . (٤)

ومن أوائل شروح الديوان القديمة التي طبعت كتابُ التبيان في شرح الديوان منسوباً إلى أبي البقاء العكبري (عبد الله ابن الحسين / ٥٣٨ - ٦١٦ هـ) . وقد طُبِع باعتناء يار علي البادرناوي بكلكتة - الهند سنة ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ م . (٥)

ثم طبع شرح ديوان المتنبي للواحدى باعتناء عبد الحسين حسام الدين بمدينة بمبي - الهند

سنة ١٢٧١هـ / ١٨٥٥م ، ونشره أيضاً
فريدريك ديترصي / برلين ١٨٥٨ -
١٨٦١م (وأعيد مصوراً) ، وطبع
ببولاق سنة ١٢٨٧ هـ . (٦) وقد أشاد
حاجي خليفة بشرح الواحدي بالإشادة
البالغة، وراه أجل الشروح نفعاً ، وأكثرها
فائدة . (٧)

أعيد طبع الشرح المنسوب إلى العكبري
بالقاهرة في السنوات : ١٢٨٧ هـ -
١٣٠٣ هـ ، ١٣٠٨ هـ (٨) . واحتفاءً
بذكرى مرور ألف سنة على وفاة المتنبّي
(٣٥٤ هـ) فقد تداعى الأساتذة : السقا
والإبياري وشلبي لإعادة طبع الشرح محققاً
مدققاً . وقد صدر في أربعة أجزاء
(١٩٣٦ - ١٩٣٨ م) فتداوله الباحثون
والقراء على نطاق واسع .

(٢)

وبدأت الشكوك تساور العلماء الباحثين في
صحة نسبة الشرح إلى العكبري . وكان
من أوائل من أفصح عن شكوكه الأستاذ
مصطفى جواد والمستشرق الفرنسي
الأستاذ بلاشير . وقد نشر الأستاذ جواد
مقالة في مجلة الثقافة القاهرية تضمنت
الأسباب التي دعت به إلى التشكك في نسبة

الشرح أبي العكبري :

أولها : أن الشارح قد قرأ الديوان على
أبي الحرم مكّي بن ريان الماكسيني بالموصل
سنة ٥٩٩ هـ ، وعلى أبي محمد عبد
المنعم به صالح التيمي النحوي بالديار
المصرية . والعكبري لم يرتحل إلى مصر ولا
إلى الشام . كذلك فإن العكبري

(٥٣٨ - ٦١٦ هـ) (٩) ولد قبل أبي
محمد عبد المنعم (٥٤٧ - ٦٣٣ هـ) (١٠)
بنحو تسع سنوات ، وتوفي قبله بنحو ١٧
سنة ، مما ينفي تلمذته عليه .

الثاني : أن شارح الديوان أديب درس في
الموصل وفي نواحي العراق ، ثم سافر إلى
مصر والشام ... لقد ارتحل من بلاد قريبة
من الموصل إلى بغداد ، وزار في طريقه
مدينة سامرا ، ومرّ بالكوفة فالحجاز . أما
العكبري فلم يترك العراق .

الثالث : أن الشارح بصيرٌ صحيح العينين ،
نقل بخطه أمالي ابن الشجري ، أما
العكبري فقد عمي منذ الصغر .

الرابع : أن الشارح قد تحدث عن مملكة
الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب
واتساعها حتى شملت مصر وأعمالها ،

والشام وأعمالها ، وخطب له بالموصل ،
وأنه ملك مدينة آمد . وإنما ملك الكامل
مدينة آمد سنة ٦٣٠ هـ (١١) ، مما يدلّ
على أن شرح الديوان قد تمّ بعد سنة
٦٣٠ هـ ، مما لا يصحّ معه نسبته إلى
العكبري المتوفي سنة ٦١٦ هـ .

الخامس : مذكّره الشارح من أن كتاباً

في الخلاف النحوي اسمه : نزهة العين في
اختلاف المذهبين ، وكتاباً آخر بعنوان :
الروضة المزهرة . والكتابان لم يذكرهما في
كتب العكبري المشهورة المعلومة .

فهذه الأدلة الخمسة تنفي نفياً باتاً نسبة
الشرح إلى العكبري . ورجّح الأستاذ
الفاضل مصطفى جواد في ختام مقالته
نسبة الشرح إلى أبي عبد الله الحسين بن
إبراهيم الشافعي اللغوي الأديب الكوراني
الإربلي (٥٦٨ - ٦٥٦ هـ) (١٢)

ثم تابع الأستاذ : مصطفى جواد الدرس
والتدقيق ، وانتهى به البحث إلى حقائق
جديدة تكشّفت له ، فسطر مقالة طويلة
في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق عرض
فيها ما أداه إليه النظر ، فبسط ما كان
أوجز في مقالته الأولى المذكورة آنفاً ،
وأضاف دلائل جديدة تؤكد ما ذهب إليه

من نفى نسبة الشرح إلى العكبري ،
وتفصح عن مؤلف الشرح وهو أبو الحسن
عفيف الدين علي بن عدلان بن حماد بن
علي الربيعي الموصلّي النحوي المترجم
(٥٨٣ - ٦٦٦ هـ) (١٣) ، فقد جاء في
الشرح المذكور في تفسير قول المتنبي :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه

مثل الذي الأفلاك فيه والدُّنا

" الإعراب : قال أبو الحسن عفيف الدين
علي بن عدلان : الرواية الصحيحة : مثلُ
بالرفع ، ويكون على تقدير: هو
مثل.... " (١٤)

وكانت كلمة الأستاذ الدكتور
مصطفى جواد القول الفصل في نفى نسبة
الشرح إلى العكبري ، ورجّح كثير من
الباحثين ما خلص إليه من نسبة الشرح إلى
عفيف الدين علي بن عدلان .

(٣)

وقد طالعني وأنا أتصفح شرح
الديوان أدلة جديدة تعزّز ما ذهب إليه
الدكتور مصطفى جواد من نفى نسبة
الشرح إلى العكبري ، ولكنها تشكّك في
نسبة الكتاب إلى عفيف الدين علي بن
عدلان . وبدالي أن خير طريق أسلكه

لعرض ما أود قوله هو أن أنسق ماتبدى لي
على صفحات الكتاب من صفات المؤلف
وأخباره .

أولاً - شيوخ المؤلف :

سمى المؤلف ثلاثة من شيوخه هم :

(١) الإمام أبو الحرم مكّي بن ريان
الماكسيني (ت ٦٠٣ هـ)

وقد قرأ عليه ديوان المتنبي قراءة فهم وضبط
بالموصل سنة ٥٩٩ هـ (١٥) .

(٢) وأبو محمد عبد المنعم بن صالح
التمي النحوي (٥٤٧ - ٦٣٣ هـ)
وقد قرأ عليه ديوان المتنبي بالديار
المصرية (١٦) .

(٣) وأبو الفتح نصر بن محمد الوزير
الجزري (ت ٦٣٧ هـ) الشهير بابن
الأثير ، صاحب المثل السائر . (١٧)

وفي الشرح إشارات كثيرة إلى روايات
المؤلف عن شيخه دون أن يذكرهما . وله
أيضاً مثل قوله :

هكذا قرأناه على المشايخ الحفاظ (١٨) ،
أو مثل قوله : الرواية التي قرأنا بها
الديوان (١٩)

ثانياً - المواضع التي عرفها المؤلف قاطناً

أو زائراً هي العراق والموصل والشّام
ومصر . ومعرفته بالعراق وأهله وعاداته
أوسع . يدل على ذلك تحديده المواضع في
العراق تحديداً أقرب إلى الدقة ، وتحديثه
عنها حديث العارف المقيم ، حتى أننا
لنكاد نرجح أنه من أهل الكوفة . وهذه
جملة من النصوص التي تعزّز ما ذهبنا إليه :

(١) علق على قول المتنبي : أو ملوجدتم
في الصراة ملوحة ، فقال : " الصراة : نهر
يأخذ من الفرات ، فينسكب في دجلة ،
بينه وبين بغداد يوم ، وآخره عند باب
البصرة ، ومحلّه ببغداد بالجانب الغربي .
وغلط في تفسيره الواحدي فقال : هو نهر
يتشعب من الفرات فيصير إلى الموصل ، ثم
إلى الشام " (٢٠)

(٢) زار مشهد الإمام محمد بن الحسن
العسكري في سرّ من رأى (سامرا) وقت
انحداره من الموصل إلى بغداد . (٢١)

(٣) علق على قول المتنبي : يصيح
الحصى فيها صياح اللقات ، فقال :
"واللقات جمع لقلق وهو طائر كبير يسكن
العمران في أرض العراق ، وهو كثير في
قرى العراق ، يخوت على صدوح الطير،
وهو من طيور الخليل ... ويسمى [القلق]

أيضاً أبا الجذع، تسميه أهل الضياع... " (٢٢) .

(٤) علق على قول المتنبي: وشيك في ثوب من الزيت عاريا ، فقال : " ... وأهل العراق يسمون كل من كان غير مشبع السواء زيتاً " (٢٣) .

(٥) وعلق على قول المتنبي: وردنا الرهيمة في جوزه ، فقال : " وقال بعضهم : الرهيمة قرية عند الكوفة ، وهو صحيح لأن رأيت بالكوفة جماعة ينسبهم إليها . ولكنها خربت في الأربعمئة " (٢٤) .

(٦) وقال في حديثه عن محمد بن عبيد الله العلوي ممدوح المتنبي في صباه : " كان محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قوماً من العرب بظاهر الكوفة ... فتمنى أبو الطيب مثل ضربته ، فهذا سمعته من مشيخة بلدنا " (٢٥) .

(٧) وقال : " ودار أثلة : موضع بظاهر الكوفة " (٢٦) .

(٨) وعلق على قول المتنبي: أمنسى الكناس وحضر موت ، فقال : " الكناس: محلة بالكوفة، وكذا حضر موت ، وكندة : محلة غربي الكوفة ، والسبيع : سوق بالكوفة ، ومحلة كبيرة . وكل هذه

المواضع سميت بأسماء من سكنها " (٢٧) .

(٩) ويقول في تفسير قول المتنبي: ويفعل

فعل البابلي المعتقد : " والبابلي : نسبة إلى بابل ، وكان بلداً قديماً إلا أنه خرب . وهو ماين بغداد والكوفة ، وهو إلى الكوفة أقرب ، لأنه من أعمالها " (٢٨) .

(١٠) ومن ذكره مواضع في نواحي

الكوفة قوله : العذيب وبارق موضعان

بظاهر الكوفة ، وبين العذيب وبين الكوفة

مسيرة يوم ، وهو بطريق مكة ، بالقرب

من القادسية " (٢٩) وقوله : " الثوية :

موضع بقرب الكوفة على ثلاثة أميال

منها " (٣٠) .

(١١) وقال في شرح قول المتنبي :

يستخشن الخزّ حين يلبسه ، " الخز : ثياب

تعمل من الابريسم ، لا يخالطها قطن ولا

كتان ، ولا تعمل إلا بالكوفة . وكانت

تعمل بالري قديماً " (٣١)

ثالثاً - المؤلف بصير صحيح العينين .

جاء في شرح الديوان ، مع تغيير طفيف في

العبارة : " قال الشريف هبة الله بن علي

ابن محمد الشجري العلوي في أماليه، ونقلته

بخطي " .

رابعاً - هو نحوي كوفي المذهب في النحو

وكوفيته تطلّ برأسها في كثير من صفحات الديوان . وهذه جلّ مواضعها :
(شرح الديوان ١ : ٨٧ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٨ ، ٢٧٧ - ٢٧٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ - ٣٠٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٨١ ، ٢ : ٢١ ، ٤٤ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٩٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٣٣٣ ، ٣ : ١٦٥ ، ٥٠ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٨٤ ، ٢٠١ ، ٤ : ١١ - ١٢ ، ٣٥ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١١٥ ، ٢١٩ ، ٢٤٨) .

وهو متحلّ بالنصفة والعدل وضبط النفس، يعرض المذهبين بحججهما دون تعصب فإذا أعجبه حجة البصريين حبّذا كقولـه :
"وهذه حجة حسنة لهم" ، (٣٣) . وقد جاء في الكتاب العزيز أعمال الثاني فهو دليل للبصري (٣٤) . والناس اليوم على مذهب أهل البصرة " (٣٥) .

خامساً - امتدت بالمؤلف الحياة إلى ما بعد العقد الثالث من القرن السابع الهجري، فقد تحدث عن الملك الكامل أبي المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب وسعة

ملكه ، وأنه ملك اليمن كله، وملك مصر وأعمالها، والشام وأعمالها ، وخطب له بالموصل ، وهو أول أعمال العراق ، وملك آمد وهي أول أعمال الروم (٣٦) والكامل إنما ملك مدينة دمشق سنة ٦٢٦ هـ — ، وملك آمد سنة ٦٣٠ هـ (٣٧)

سادساً - والمؤلف فقيه حنفي المذهب .

يبدو ذلك في شرحه قول المتنبي :

خرجوا به ولكل باك خلفه

صعقات موسى يوم ذكّ الطور

فقد قال : "وقال : خلفه ، لأن المشي عندنا خلف الجنّازة أفضل . وقال الشافعي هم كالشفعاء ، والشفعاء إنما يكونون بين يدي المشفوع له " (٣٨) .

سابعاً - مؤلفاته

جاء في الشرح ذكر أربعة كتب من مؤلفاته النحوية :

(١) الإعراب في الإعراب

(شرح الديوان ١ : ٨٧)

(٢) أنفس الاتخاذ في إعراب الشاذ

(شرح الديوان ١ : ٣٣٩)

(٣) الروضة المزهرة في شرح كتاب التذكرة

(شرح الديوان ٢ : ٢٤١ ، ٣ : ٣٦٣ ، ٣٦٥)

(٤) نزهة العين في اختلاف المذهبين

(شرح الديوان ١ : ٢٠٣)

ثامناً - والصفة العلمية الغالبة على المؤلف أنه مقرئ ، قد أتقن القراءات إتقاناً بعيداً . وهي منه أبداً على ذكر ، فهو يكثر الاستشهاد بالآيات القرآنية وقراءاتها في الشرح إكثاراً لانفع عليه في شرح آخر للديوان . وأكتفى هنا بالإشارة إلى جُلّ المواضع التي وردت في الجزء الأول من (شرح الديوان ١ : ٤ ، ٩ ، ١٢ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣١٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٤٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩) .

وهو يعتز بمقدرته في هذا الباب اعتراز العارف بما أوتي . ومما قاله في هذا الصدد وهو يشرح قول المتنبي :

وما جهلت أياديك البوادي

ولكن ربما خفي الصواب

" وسألت شيخنا أبا محمد عبد المنعم النحوي ، عند قراءتي عليه ، عن هذا

البيت ، وقلت له : يجوز أن يكون البوادي نعتاً للأيدي . والبوادي في نصف البيت ، فكأنه عن الوقف ، وهو موضوع وقف ، كقولك : أجبت الداعي ، وقد يوقف على قوله تعالى : (يومئذ يتبعون الداعي) بالسكون ، ويكون فاعل " جهلت " مضمراً فيها . فقال لي : أنت مقرئ ، وقد قست ، ومع هذا أنت حفي ، فصوب ما قلت " (٣٩) تاسعاً - والمؤلف محقق مدقق ، قرأ الديوان على المشايخ الحفاظ ، واطلع على رواياته ، وجمع نسخ الديوان وأشار إلى ما وقع فيها من تباين ، وما اقترفه جامعوها من أغلاط . وحشد بين يديه شروح الديوان ، وتبين ما قاله سابقوه . وهو أمين ينقل الشروح عن أصحابها في كثير من المواضع ، كذلك فهو حريص على ألا يُخلّ كتابه بشيء قاله سابقوه ، مما دعاه ألا يُغفل الروايات الضعيفة . وكان له قدرة فائقة على الترتيب ، مما يسّر شرحه لقارئيه وقربه إليهم . وهو ، إلى ذلك ، أديب ذواقة ناقد يتحدث عن مبدعات المتنبي بإعجاب ، ويتوقف عندما لا يقبله من أقوال الشراح ليدي برأيه .

يقول في مطلع كتابه : " أما بعد فإني لما أتقنت الديوان الذي انتشر ذكره في سائر

البلدان ، وقرأته قراءة هم وضبط
ورأيت الناس قد أكثروا من شرح الديوان
واهتموا بمعانيه ، فأعربوا فيه بكل فن
وأعربوا ، فمنهم من قصد المعاني دون
الغريب ، ومنهم من قصد الإعراب باللفظ
القريب ، ومنهم من أطلال فيه وأسهب
غاية التسهيب ، ومنهم من قصد التعصب
عليه ونسبه إلى غير ما كان قد قصد إليه ،
وما فيهم مَنْ أتى فيه بشيء شاف ،
ولا بعوض هو للطالب كاف ، فاستخرت
الله تعالى وجمعتُ كتابي هذا من أقاويل
شراحه الأعلام ، معتمداً على قول إمام
القول المقدم فيه ، الموضح لمعانيه ، المقدم
في علم البيان ، أبي الفتح عثمان ، وقول
إمام الأدباء وقدوة الشعراء أحمد بن
سليمان أبي العلاء ، وقول الفاضل اللبيب ،
إمام كل أديب ، أبي زكريا يحيى بن علي
الخطيب ، وقول الإمام الأرشد ، ذي
الرأى المسبّد أبي الحسن علي بن أحمد
[الواحدي] ، وقول جماعة كأبي علي بن
فورجه ، وأبي الفضل العروضي ، وأبي بكر
الخوارزمي ، وأبي محمد الحسن بن وكيع ،
وابن الأختليلى وجماعة ، وسميته : التبيان
في شرح الديوان ... " . ولعل من

المستحسن أن نسوق عدة أمثلة نعزّز بها
ما ذكرناه :

(١) يقول تعليقاً على قصيدة المتنبي التي

مطلعها :

عذلُ العوازل حول قلب التائه

وهوى الأحبة منه في سودائه

" وقد جعل قوم ممن رتبوا الديوان على
الحروف هذه [القصيدة] في حرف الهاء
لجهلهم بالقوافي . وإنما أبو الفتح [ابن جني]
والخطيب [التبريزي] جعلاهما في أول
حرف الهمزة ، فاعتدنا بفعلهما " (٤٠) .

ثم يعود فيؤكد ما ذهب إليه فيقول : " وقد
ذكرنا هذه القطعة في أول كتابنا ، وإن
كان جماعة قد اختلفوا فيها ممن لا يعرف
القوافي ، ولا له بها نسبة ولا دراية .
ومنهم من جعلها في حرف الياء ، ولم
يكن بينها وبين الياء نسبة ، لأن الياء التي
فيها إنما هي همزة ، ولا يجوز أن تنقط ،
وإنما هي صورة همزة . ورأيت في نسختين
أو ثلاث مَنْ ذكرها في حرف الهاء . وإنما
اقتدنا بالإمامين الفاضلين صاحبي الشعر
والقوافي والعروض وهما عمدة أهل
الشام والحجاز والعراق : أبي الفتح بن جني
والإمام أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ،

فإنهما جعلها في أول حرف الهمزة ،
فاقتدينا بفعلهما واعتمدنا على
قولهما...." (٤١) .

(٢) يقف عند قول المتنبي :

"وبضدها تتبين الأشياء" ليقدم ما أبدعه أبو
الطيب من أمثال هذه الأعجاز المعجزة ،
ويذكرها مجتمعة . (٤٢)

(٣) ثم يتحدث عن نواذر أبي الطيب التي
فاقت وأعجزت ليعقب بقوله : "فهذا
الذي لم يأت شاعر بمثله ، وإنما ذكرناه
بجملاً ليسهل أخذه وحفظه" (٤٣)

(٤) يعرض لقصيدة من شعر المتنبي في صباه،
فيذكر ما قال الرواة فيها ثم ينقل ما ذكره
ابن القطاع (٤٤) .

(٥) وقال في التعليق على قول المتنبي :

لما تحكمت الأسنة فيهم

جارت وهن يجرن في الأحكام

" يروى المنية بدل الأسنة ، وليس
بشيء ، والأصح : الأسنة ... ومن روى
المنية أراد بها المنايا ، وليس هو بشيء إلا
أنى وجدتها في بعض النسخ فذكرتها ، حتى
لا أخلُ بشيء على حسب الطاقة " (٤٥).

(٦) ولما انتقد الواحدي قصيدة المتنبي في
مديح عضد الدولة وذكر الورد فقال فيها:

" وهذه قطعة في نثر الورد غير مليحة "
علق شارح الديوان على ذلك بقوله :
"قلت : إنما المتنبي ممن يحسن الأوصاف في
كل فن . وإنما هذا الذي يأتي له في البديهة
والارتجال ، أو في وقت يكون على شراب
أو غيره فلا يعتد به ، ولو كان أبو الفتح
عمل صواباً لكان أسقطه من شعره ، ولولا
أن من تقدمني شرح هذه المقطعات وأثبتها
لما ذكرتها في كتابي هذا " (٤٦) .

(٤)

لقد نسقتُ من أخبار المؤلف وصفاته التي
تعينني في بحثي ما صنفته في تسعة بنود
وأرى أن كل بند من البنود السبعة
الأولى كافٍ في نسبة الشرح إلى العكبري.
لقد عاش العكبري في بغداد ، وقرأ على
شيوخها ، ولم يغادرها إلى الموصل أو
الشام أو الديار المصرية (يخالف البنديين
١ ، ٢) . وقد أضر منذ الصغر (يخالف
البند ٣) ، وكان نحوياً بصرياً
المذهب، يتبين ذلك جلياً فيما خلفه من
مؤلفات (يخالف البند ٤) ، وأدر كتبه
الوفاة سنة ٦١٦ هـ (يخالف البند ٥) ،
وكان حنبلياً المذهب (يخالف البند ٦) ،
وخلا ثبت كتبه الذي أورده مترجموه من

ذكر الكتب التي ألفها صاحب الشرح
(يخالف البند ٧) .

وما سقناه هنا إنما هو تعزيز لما كان بسطه
الأستاذ الكبير مصطفى جواد .، وقد
أوردناه آنفا . ولكني توقفت في نسبة
الشرح إلى أبي الحسن علي بن عدلان، لأن
ما ذكره مترجموه من أخباره العلمية لا
يوافق ما استخلصناه من أخبار شارح
الديوان، ويحسن أن نوجز هنا ما
أورده مترجمو ابن عدلان مما يعنينا في بحثنا:
فهو عفيف الدين أبو الحسن علي بن
عدلان بن حماد بن علي الربيعي الموصلبي
النحوي المترجم (٥٨٣ - ٦٦٦ هـ) ،
ولد بالموصل ، وارتحل إلى بغداد، فسمح
بها عن أبي البقاء العكبري وغيره ، وأجاز
له أبو اليمن الكندي . وكان بينه وبين ابن
عينين الشاعر والقاضي ابن خلطان صحبة
ومودة . ولقيه ياقوت الحموي في مجلس
القاضي القفطي . وكان من أكابر العلماء ،
أقرأ العربية زماناً ، وتصدّر بجامع الصالح
بالقاهرة ، وكان علامة في الأدب، شاعرا ،
من أذكاء بني آدم . انفرد بالبراعة في حل
المترجم والألغاز ، وله في ذلك تصانيف ،
منها كتاب : عقلة المجتاز في حل الألغاز ،

ومصنف في حل المترجم للملك
الأشرف . مات بالقاهرة .

طُبِعَ له ، فيما اطلعتُ عليه ، كتابان هما :

١- الانتخاب لكشف الأبيات المشككة
الإعراب (تح . الدكتور حاتم صالح
الضاني ، ط ٢ / ١٩٨٥ - بيروت) .

٢- والمؤلف للملك الأشرف (وهو
مطبوع ضمن كتاب : التعمية واستخراج
المعنى عند العرب ١ : ٢٦٥ - ٣٠٧) .

أما كتاب الانتخاب فقد تناول (١٦٥)
بيت من الأبيات المشككة الإعراب ،
وأكثرها مما ألغز فيها أصحابها . وقد أثر
المؤلف الإيجاز في عبارته . وأهدى كتابه
إلى السيد الكبير العالم فريد دهره أبي
الحسن عز الدين علي بن وشاح بن مبادر
(ص ١٦ ، ٧٨) . وكان يشير أحيانا إلى
الخلاف بين البصريين والكوفيين (الشاهد
٢٤ ، ٢٥) وإلى المصطلح الكوفي المقابل
للمصطلح البصري (الشاهد ٣٨) . ونقل
مرة عن شيخه عن ابن الخشاب (الشاهد
٧٧) ، وأشار إلى أن المحفوظ في ضبط
لفظ (مَثَلَف) أنه بفتح الميم وكسر اللام،
ثم عقب على ذلك بقوله : " كذا قرأته
على مشايخي ، وعلمته من الأصول المنقحة

بالضبط والقراءة . ووقع في نسخ بعض
الحدائق (مُتَلَف) بضم الميم وفتح الـلام
وهو بعيد" (٤٨). ونظم بيتاً على طريق
الإلغاز حين لم يقع له بيت على حرف
الغين (٤٩) . وختم كتابه بأنه كان
مسبقاً بكتابي ابن المفجع والفارقي (٥٠).
— وصنف ابن عدلان كتاب : المؤلف
للملك الأشرف مظفر الدين موسى
(ت ٦٦٢ هـ) أيام مقامه بدمشق .
وهو في حل المترجم (أي الكلام المـلفـز
المعمى) . ويذكر ابن عدلان في كتابه
هذا أنه صنف في المترجم أيضاً كتابه
(المعلم) الذي قدّمه إلى الخليفة العباسي
المستنصر (٦٢٣ - ٦٤٠ هـ) ، وأنه
كان في بغداد سنة ٦٢٦ هـ .
يتبين من كل ما سقناه من أخبار ابن
عدلان التي ذكرها مترجموه ، أو جاءت في
كتبه المطبوعة أن شرح الديوان لا تصحّ
نسبته إليه . وها هي ذي الأسباب التي
دعتنا إلى نفي نسبة الشرح إليه :

- ١- لم يذكر مترجموه أنه قرأ على أحد من
الشيوخ الثلاثة المذكورين في البند (١)
- ٢- لم يذكر مترجموه أنه كوفي
المذهب في النحو (البند ٤)

٣- أجمع مترجموه أنه موصلني النشأة ، وقد
ترجم لنا أن شارح الديوان كان من أهل
الكوفة (البند ٢) .

٤- لم يرد في كتبه التي ساقها مترجموه ذكر
لأي كتاب من الكتب الأربعة التي أشار
إليها شارح الديوان (البند ٧) .

٥- لم يشر مترجموه إلى تعمقه في القراءات
القرآنية التعمق الذي يجعله في عداد المقرئين
المتخصصين (البند ٨) .

لهذه الأسباب ترددت في نسبة الشرح إلى
ابن عدلان .

أما العبارة التي أوردها الأستاذ الفاضل
مصطفى جواد فهي غير دالة على أن
المؤلف ابن عدلان ، بل يمكن القول إنها
جاءت في سياق الاستشهاد بها على رواية
في الديوان ، وقد أوردها الشارح ، أو
أحد العلماء فأدرجت في الشرح .

ويبدو لي أنه لابد من عودة إلى
البحث والتنقيب بين علماء المئة السابقة
لنقع على الشارح الذي ألف التبيان في
شرح الديوان .

شاكر الفحام

عضو الجمع من سورية

التعليقات

- (١) العمدة (بيروت - ١٩٨٨ م) ١ :
٢٢ ، ٢١٤
- (٢) شرح الواحدي (برلين - ١٨٦١ م)
١ : ٣
- (٣) كشف الظنون : ٨٠٩ - ٨١٢ ،
تاريخ التراث العربي لسزكين - الترجمة
العربية ، مج ٢ ، ج ٤ : ٣١ - ٣٩
- (٤) شرح الواحدي ١ : ٣
- (٥) معجم المطبوعات لسركيس ٢ :
١٦١٦ ، مجلة المجمع العلمي العربي
بدمشق ، مج ٢٢ ، ص ٣٨ ، ٤٠
- (٦) معجم المطبوعات لسركيس ٢ :
١٦١٦ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان -
الترجمة العربية ٢ : ٩٠ ، تاريخ التراث
العربي لسزكين مج ٢ ، ج ٤ : ٣٥
- (٧) كشف الظنون : ٨٠٩
- (٨) معجم المطبوعات لسركيس ١ :
٢٩٥ ، ٢ : ١٦١٦ ، تاريخ الأدب العربي
لبروكلمان - الترجمة العربية ٢ : ٩٠ ، مجلة
المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٢٢ ،
ص ٣٨ ، ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح
- أبي البقاء العكبري ٤ : ٣٨٠ ، تاريخ
التراث العربي لسزكين مج ٢ ، ج ٤ : ٣٧
- (٩) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي
البقاء العكبري ٤ : ٣٧٧ - ٣٨٥
- (١٠) وفي رواية : أن أبا محمد عبد المنعم
وُلد سنة ٥٤٥ هـ (مجلة مجمع اللغة
العربية بدمشق ، مج ٢٢ : ٤٤) .
- (١١) النجوم الزاهرة ٦ : ٢٧٩
- (١٢) مجلة الثقافة (القاهرة) العدد ١٧ ،
السنة الأولى (١٣٥٨/٣/٥ هـ -
٤/٢٥ / ١٩٣٩ م) ص ٤٩ - ٥٢ ، وانظر
تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة
العربية) ٢ : ٩٠ رقم ٩ ، تاريخ التراث
العربي لسزكين مج ٢ ، ج ٤ : ٣٧ ،
رقم ٢٤
- (١٣) مجلة المجمع العلمي العربي
بدمشق ، مج ٢٢ ، ص ٣٧ - ٤٧ ، ١١٠ -
١٢٠
- (١٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي
البقاء العكبري ٤ : ٢٠١ ، مجلة المجمع العلمي
العربي بدمشق ، مج ٢٢ ، ص ١١١ - ١١٢

- (١٥) شرح الديوان ١ : ب - ج ، ٧٢ ،
٢ : ٢١ ، ٢٦٧ ، ٣٥٨ ، ٣ : ٧٢ ،
١٢٥ ، ١٦٤ ، ١٨٤ ، ٤ : ٢٨٦
- (١٦) شرح الديوان ١ : ج ، ١٧ ، ٧٢ ،
٨١ ، ٢٨٦ ، ٢ : ٢٦٧ ، ٣٥٨ ، ٣ :
٧٢ ، ١٢٥ ، ١٦٤ ، ١٧٧ ، ٤ : ٢٨٦
- (١٧) شرح الديوان ٤ : ٢١٧
- (١٨) شرح الديوان ١ : ٦٣
- (١٩) شرح الديوان ٣ : ٧٨
- (٢٠) شرح الديوان ٢ : ٢٤٨ ، شرح
الواحد (ط برلين) ١ : ٥٩
- (٢١) شرح الديوان ٢ : ٦٨
- (٢٢) شرح الديوان ٢ : ٣٢٥ - ٣٢٦
- (٢٣) شرح الديوان ٤ : ٢٩٥
- (٢٤) شرح الديوان ١ : ٤١
- (٢٥) شرح الديوان ١ : ٣٠٧
- (٢٦) شرح الديوان ١ : ٣١٤
- (٢٧) شرح الديوان ٢ : ٢٥٧
- (٢٨) شرح الديوان ٢ : ٣٠٧
- (٢٩) شرح الديوان ٢ : ٣١٧
- (٣٠) شرح الديوان ٢ : ٣١٧ ، ٣٩١
- (٣١) شرح الديوان ٤ : ٥٩
- (٣٢) شرح الديوان ٢ : ٣٣٩ ، ٤ :
١٢٠ ، ١٢٩
- (٣٣) شرح الديوان ٢ : ٤٥
- (٣٤) شرح الديوان ٢ : ٣٣٣
- (٣٥) شرح الديوان ٣ : ١٨٤
- (٣٦) شرح الديوان ١ : ١٧١
- (٣٧) النجوم الزاهرة ٦ : ٢٧٢ ، ٢٧٩
- (٣٨) شرح الديوان ٢ : ١٢٩ - ١٣٠
- (٣٩) شرح الديوان ١ : ٨١
- (٤٠) شرح الديوان ١ : ب - د
- (٤١) شرح الديوان ١ : ١
- (٤٢) شرح الديوان ١ : ٨ - ٩
- (٤٣) شرح الديوان ١ : ٢٢ - ٢٣
- (٤٤) شرح الديوان ١ : ١٦١ - ١٦٧
- (٤٥) شرح الديوان ٢ : ٨٠ - ٨١
- (٤٦) شرح الديوان ٤ : ١٢
- (٤٧) شرح الواحد ٢ : ٧٧٤ ، شرح
الديوان ٤ : ١٦٥
- (٤٨) فوات الوفيات ٣ : ٤٣ - ٤٦ ،
النجوم الزاهرة ٧ : ٢٢٦ ، بغية الدعاة ٢ :
١٧٩ ، ذيل مرآة الزمان لليوني ٢ :
٣٩٢ - ٣٩٥ ، الوافي بالوفيات ٢١ :
٣٠٨ - ٣١٤ ، معجم الأدباء ٣ : ٢١٣ ،
(ترجمة أبي العلاء المعري) ، وفيات الأعيان
١ : ٧٦ ، ٢ : ١٧ ، ٧ : ٣٧ ، السلوك
لمعرفة دول الملوك ١ : ٥٧٢ ، تلخيص

- بجميع الآداب في معجم الألقاب لابن
الفوطي ٤ : ٥٠١ - ٥٠٢ ، إيضاح
المكنون ٢ : ١١٢ ، هدية العارفين ١ :
٧١١ ، مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق
٢٢ : ١١٢ - ١٢٠ ، الأعلام للزركلي ٤
: ٣١٢ ، معجم المؤلفين ٧ : ١٤٩ ، علم
التعمية واستخراج المعنى ١ : ٩٨ - ٩٩
- (٤٩) الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة
الإعراب : ٥٣ - ٥٤
(٥٠) الانتخاب : ٥٨
(٥١) الانتخاب : ٧٨
(٥٢) علم التعمية واستخراج المعنى
١ : ٢٨٨ ، ٣٠٢
(٥٣) علم التعمية ١ : ٣٠٣

لغتي فديتك

قصيدة للأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس

هَلْ أَنْتَ يَا فِكْرُ الْمُهَيْنِ الْمُعْدَمُ
 لا فِي عَمُودِ الشُّعْرِ جَاءَ مُجَلِّياً
 الْمُسْتَرِيبُ الْقَانِطُ الْمُتَجَهَّمُ
 أَوْ فِي مَجَالِ النُّشْرِ أَقْبَلَ يُسْنَهُمُ
 هَلْ أَنْتَ مُعْتَصُ الْقُوَى مُتَرَنَّحٌ
 يُؤْذِيكَ مِنْهُ مَا تَبْرَقَعُ أَوْبِداً
 هَلْ أَنْتَ مِنْ ضَوْءِ الْإِرَادَةِ مُعْتِمٌ
 فَهَوَ الْأَجَاجُ الصَّرْفُ وَهُوَ الْعَلَقَمُ
 هَلْ أَنْتَ مِنْ دُنْيَا الْخُصُوبَةِ مُجْدِبٌ
 لُغَةٌ تَقَاسَمُهَا الشُّذُودُ فَتَارَةٌ
 هَلْ أَنْتَ مَنْ سِمَطِ الْفَصَاحَةِ أَبْكَمُ
 يُعْزِي النَبِيطُ^(٢) لَهَا وَيُعْزِي الدَّيْلَمُ^(٣)
 مَاذَا دَهَاكَ وَكُنْتَ مَسْتَدُودَ الْقُوَى
 * * *
 جَلَدٌ بِمَفْتُولِ الْإِرَادَةِ مَعْلَمُ
 أَسَفًا وَنَحْنُ حُمَاتُهَا وَبُنَاتُهَا
 تَعْنُوكَ الْأَفْكَارُ وَهِيَ ذَلِيلَةٌ
 أَبْمَهْدِيهَا تَلْقَى الْهَوَانَ وَتُظْلَمُ
 وَتَصِيخُ عَافِيَةٌ وَأَنْتَ تَكَلَّمُ
 مِنْ رَهْطِهَا الْأَدْنَيْنِ مِنْ أَبْنَائِهَا
 دَأَنْتَ لَكَ الدُّنْيَا فَكُنْتَ إِمَامَهَا
 مِنْ أَهْلِهَا وَحُمَاتُهَا تَتَبَرَّمُ
 وَرَكْتَ لَكَ الْجَلَى فَأَنْتَ الْمَلْهَمُ
 مَا عَزَّ قَوْمٌ فَرَطُوا بِلِسَانِهِمْ
 أَيْحَوسُ رَبِّعَكَ تَافَةً مُتَسَكِّعٌ
 تَاللَّهِ عَنْ نَهْجِ الْهِدَايَةِ قَدْ عَمُوا
 وَيَسُوسُ شَأْنَكَ وَاعِظٌ مُتَجَرَّمُ
 لَغْتِي إِذَا لَمْ أَحْمِهَا وَأُجِلَّهَا
 وَيَرُوحُ مُسْتَنُّ الْهَوَى مُتَبَاهِيًا
 فَأَنَا الْمَفْرُطُ وَالسَّفِيهُ الْمُعْدَمُ
 وَهَوَ الْغُرَابُ، فَأَيْنَ مِنْهُ الْقَشْعَمُ
 وَعَلَوْتُ بِالْقُرْآنِ يَزْنَحُ بِالنُّهَى
 بِالْبَنِيَوِيَّةِ وَالرَّثَائَةِ وَالْعَنَّا
 هَدْيًا بِأَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ مُفْعَمُ
 بِالرَّمَزِ وَالتَّجْرِيدِ جَاءَ يُتْرَجَمُ
 بِالْمُعْجَزَاتِ تَبَلَّجَتْ نَفَحَاتُهُ
 وَبِحُكْمِهِ أَهْلُ الْهِدَايَةِ تَحْكُمُ

١- النبيت : جيل ينزلون سواد العراق ، وهم الأنباط .

٢- الديلم : جيل من المعجم .

وَبِهِ أُرِيدَ لَهَا الْخُلُودُ وَأَعْجَزَتْ

أَهْلَ الْبَيَانِ وَهُمْ أَوْلَيْكَ، مَنْ هُمْ؟!

لُعْتِي إِذَا مَا نَافَسُوا بِلِسَانِهِمْ

وَأَشْتَدَّ فَخْرُهُمْ بِهِ وَتَكَلَّمُوا

وَتَأَلَّبُوا وَتَعْصَبُوا وَتَوَثَّبُوا

وَتَنَافَسُوا فَخْرًا بِهِ وَتَحَكَّمُوا

جِئْتَ الْمُدَّةَ بِالْبَيَانِ سِيَادَةً

وَرِيَادَةً، إِذْ مِنْ هَذَاكَ تَعَلَّمُوا

لُعْتِي بِأَسْفَارِ الْخُلُودِ غَنِيَّةً

غَصَّتْ خَزَائِنُهَا بِمَا يُتَوَسَّمُ

حَفَلَتْ بِمُخْتَلَفِ الْعُلُومِ وَإِنَّمَا

لَهَا السَّبِيلُ الْمُسْتَبِينُ الْأَقْوَمُ

مِنْهَا تَفَجَّرَتِ الْمَعَارِفُ وَانْبَرَتْ

مِنْهَا يَنَابِيعُ الْفَصَاحَةِ تُثْجَمُ (*)

وَأَتَتْ بِأَقْطَابِ الْبَلَاغَةِ وَالنُّهَى

مَنْ هُمْ عَلَى قِمَمِ الْفَخَارِ تَسْنُمُوا

فَأَبُو عُبَيْدَةَ وَالْخَلِيلُ وَيُونُسُ

وَالْأَهْمَمِيُّ وَالنَّضْرُ، طَوْدٌ مَعْلَمٌ

وَالْجَوْهَرِيُّ وَسَيَوِيهِ وَتَغْلَبُ

وَالْمَازِنِيُّ وَابْنُ دُرَيْدٍ وَمُكْرَمٌ

مِنْ عَصْبَةٍ دَرَجَتْ عَلَى سُنَنِ الْهَدَى

وَمَضَوْا وَأَقْفَرَتِ الْمَغَانِي مِنْهُمْ

لَمْ يَبْقَ إِلَّا وَاعِلٌ أَوْ جَاهِلٌ

خَبٌّ بِمُشْتَبِهِ الْبَيَانِ مُشْرَذَمٌ

خَلَّتِ الدِّيَارُ مِنَ الرَّقِيبِ فَأَرْجَفُوا

فِي رُبْعِهَا، إِذْ غَابَ عَنْهَا الْقِيَمُ

* * *

عبد الله بن محمد بن خميس

عضو الجمع المراسل

من السعودية

(*) يُثْجَمُ : أُنْجَمَتِ السَّمَاءُ : أَسْرَعَ مَطَرُهَا .

مجمع الخالدين وتوحيد المصطلح العربي

للأستاذ عبد الرزاق البصير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام
على محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد :
فإني لا أعدو الصواب إذا قلت : إن من
المؤلم أن يرى مجمع الخالدين أن من واجبه
أن يبحث في توحيد المصطلح العربي.

ذلك أن من المفروض أن يكون المجمع قد
انتهى من بحث هذه المسألة منذ أمد بعيد،
فقد مضى على تأسيس مجمع الخالدين أكثر
من ستين سنة، مشتملاً على قمم من
العلماء والفضلاء المتخصصين ممن يجيدون
بعد اللغة العربية أكثر من لغة أجنبية .

وقد كانت قضية وجوب توحيد المصطلح
هاجساً في النفوس منذ عدة عقود من
السنين . ومن المؤكد أن مكتبة المجمع
تحتوي على بحوث قيمة في هذه المسألة .

وليس من الفضول إذا قلت بأن هذه
البحوث نداءات مخلصة تصدر إلى هذه
الأمة بوجوب توحيد المصطلح ، ويبدو أن
هذه النداءات لم تلق أذنأ صاغية على
الرغم من أننا جميعاً ندرك أن توحيد

المصطلح قضية يتحتم علينا أن تصبح
مطبقة في دوائر هذه الأمة منذ أمد بعيد .
وعلى كل حال فإني وغيري لا يمكنه أن
يأتى بجديد حين يؤكد بالبراهين القاطعة أن
توحيد المصطلح أمر ممكن التطبيق إذا
توفرت الإرادة الجازمة الحاسمة من أصحاب
الكلمة النافذة وعلى رأسهم وزارات
التربية والتعليم العالي ووزارة الأعلام .
فنحن نعلم جميعاً أن وزارات التربية
والتعليم العالي تهيمن على تعليم الصغار
والكبار من النساء والرجال ، ومن المحقق
أن في ملفات هذه الوزارات بحوث لعلماء
أجلاء بحثوا فيها توحيد المصطلحات وأن
هذه البحوث تشتمل على نداءات ترى أن
هذه المسألة يجب أن تكون واقعاً بأسرع ما
يمكن ، ومعنى ذلك أن تكون في مقاررات
وزارات التربية والتعليم العالي لكي تكون
هذه المسألة مغروسة في نفوس الجميع .

ويقال مثل ذلك لوزارات الإعلام التي
تهيمن على أجهزة لا يخلوا منها منزل من
ال منازل مهما بلغ ضعف أصحابه

الاقتصادى ، بل إن هذه الأجهزة أصبحت مصاحبة لكل فرد من الأفراد في سفره وحضره، ونعني بها التلفاز والمذياع بالإضافة إلى السينما والصحافة . ولست في حاجة إلى توضيح ما لهذه الأدوات من تأثير بالغ في النفوس والعقول ، ولست في حاجة أيضا إلى توضيح أن الاختلاف في استعمال المصطلحات بصورة عامة يعتبر من العلامات الواضحة على ضعف هذه الأمة وتفرقتها .

وكلنا يعلم أن ولاية الأمور يعلنون في كل حين أنهم يبذلون كل ما يستطيعون من نشاط في وحدة هذه الأمة أو تقاربها ، وكل من له أدنى إدراك يعرف أن التقلوب بين الأمة العربية لا يمكن أن يتحقق إلا إذا قامت وزارات التربية والتعليم العالي ووزارات الإعلام في جميع الدول العربية بعمل ما من شأنه تضامن هذه الأمة وتقاربها، وذلك بأن تكون مناهج التعليم وبرامجها مشتملة على تنفيذ ما يصدره مجمع اللغة العربية من قرارات وتوصيات، وهذا لا يكون إلا بصدور قرار سياسي يتضمن طلباً من جميع المؤسسات والوزارات بأن يكون عملها مستوحى من هذا التوجه .

وإنه ليؤسفنا ألا نرى إلا القليل من هذا الذى نشير إليه، فما زالت وزارة الإعلام لا تنهى الإذاعة والتلفزيون عن استخدام اللهجات العامية ، وما زالت مناهج وزارة التربية إلا القليل منها بعيدة عن ما يخلق التقارب العربى ، فكل دولة تجتهد في أن تكون مسيرة تاريخها مختلفة عن مسيرة التاريخ العربى العام كما أن عاداتها وتقاليدها تختلف عن بقية الدول الأخرى . وليس من التجنى إذا قلت إن وزارات الإعلام تحاول أن توهم الناس بأن الدولة التى تنتمي إليها أفضل من غيرها من الدول العربية ، يجرى ذلك في معظم إن لم أقل في كل الدول العربية . يعرف ذلك كله من يتابع نشاط وزارات التربية ووزارات الإعلام في الدول العربية ، ومعنى ذلك أن التمزق العربى يصبح أمراً مألوفاً إن لم أقل إنه مغروس في النفوس ، فلا بد من عمل شئ علمي يؤدي إلى التقارب العربى .. ثم إنى منذ مدة وجهت سؤالاً إلى رئاسة المجمع عن مصير توصيات المجمع التى نبذل فى الوصول إليها جهوداً مضنية ؟

أظن بأنى لا أتمنى إذا قلت بأن مصيرها الرفوف والأدراج، إذن فإن من الأفضل

للمجمع أن يتدارس هذه القضية المهمة ،
ونرجو أن يؤدي هذا التدارس إلى ما يدفع
ولاية الأمور في الدول العربية إلى إصدار
قرارات تلزم الجهات المختصة بتنفيذ هذه
التوصيات التي لا غنى عنها، لأنها صادرة
عن مؤسسة يعمل فيها علماء ومفكرون
لهم أرفع المكانة في النفوس ، فلا يجوز أن
يكون مصير ما يوصون به إلى الإهمال .

القرار السياسي وتوحيد المصطلح :

ومن المؤكد أن ولاية الأمور إذا أصدروا
قراراً بتنفيذ توصيات المجمع فإن من شأن
ذلك أن يحدث أثراً قوياً على كل الأصعدة
السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، الأمر
الذي يجعلنا قد خطونا خطوة في التقارب
العربي إلى الأمام.

أما عن توحيد المصطلحات فإنكم تعلمون
بلا شك أيها الأساتذة الأجلاء أن مجمع
الخالدين قد دعى إليه منذ مدة طويلة .
وقد كتب بعض الأعضاء بحوثاً في هذا
الشأن، ويبدو أن هذه النداءات المتكررة
والبحوث القيمة الصادرة عن المجمع لم تجد
ما تستحقه من استجابة عملية . وإننا
لنرجوا أن يستعمل المجمع كل ما لديه من

وسائل ليكون هذا النداء بوجوب توحيد
المصطلح نداءً عملياً في هذه الدورة .
أمّا عن الناحية العملية فإنه لا بد لنا أن نقرر
بأن لغة القرآن " أرقى اللغات السامية،
كما يقرر دارسوا تلك اللغات ، فلا تعادها
اللغة الأرامية ولا العبرية ولا غيرها من هذا
الفرع السامي ، وهي كذلك أرقى لغات
العالم ، فهي تمتاز حتى عن اللغات الآرية
لكثرة مرونتها وسعة اشتقاقها . فإذا قيس
ما يشتق من كلمة عربية في صيغ متعددة ،
لكل صيغة دلالة على معنى خاص، بما
يقابلها من كلمة إفريقية وما يشتق منها،
كانت اللغة العربية في ذلك - غالباً - أوفر
وأغنى " ذلك ما يذهب إليه المرحوم
العلامة أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام
جـ (١) ص (٢٨٩) وهذه الميزة في
اللغة العربية تمكن العلماء من وضع
المصطلحات في مختلف الفنون والعلوم
والمخترعات الحديثة .

ومهما يكن من شيء فإننا في أشد الحاجة
إلى توحيد المصطلح، لأن هذا النهج يُعد
من أهم العناصر التي تقارب بين شعوب
الأمة العربية، فإن من شأن اختلاف أسماء
المصطلح أن يسبب ضعف التفاهم بين

العرب . ويتضح جسامه هذا الضرر حينما يكون اللقاء بين القادة العسكريين .. إذ أن كل قائد لا يستطيع أن يفهم عن أخيه القائد العربي حين تكون المصطلحات العسكرية مختلفة فيما بينهم . ويقال مثل ذلك في لقاء العلماء الذين يقومون بترجمة البحوث العلمية ، فإن اختلاف المصطلح يجعل ما يقوم به أولئك العلماء من ترجمات شاقاً أعظم المشقة ، وكان من المفروض أن تتنبه الجامعة العربية لهذه القضية المهمة . ولكنها لم تفعل شيئاً من ذلك . ولقد تنبه الدكتور على القاسمى إلى هذه المسألة حيث يقول فى بحث مفصل: " إذا بحثنا فى أعمال جامعة الدول العربية منذ تأسيسها قبل أربعين عاماً تقريباً ، وفى أعمال وكالاتها المتخصصة والمنظمات التابعة لها لا نجد استراتيجية لغوية معلنة أو مضمرة تأخذ فى النظر خصائص اللغة العربية ومميزاتها وواقع أحوالها ، والتحديات التى تواجهها " .

على أن مكتب تنسيق التعريب فى الرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة الذى أقام عمله على ما أنجزته بجامع اللغة العربية قد بذل جهداً

مشكوراً فى بعض ما أصدر من بحوث يوضح فيها وجوب توحيد المصطلحات العربية .

وتقول لى ذاكرتى فيما تُسعفى به: إن الأستاذ محمود شيت خطاب أصدر قبل مدة طويلة معجماً فى توحيد المصطلحات العسكرية، وهو معجم قيم جداً، وأرجو أن تكون قيادات الجيوش العربية قد أخذت به.

ولطالما شكوا العلماء المتخصصون فى لغة القرآن من عدم العناية باللغة كما يجب أن تكون عليه . ويبدو ذلك واضحاً لمن يستمع أو لمن يتأمل بعناية فيما تنشره الصحف من مقالات وأحاديث، ويقال مثل ذلك فى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وفى المدارس على اختلاف فروعها .

القيادة المصرية وتوحيد المصطلح :

ولعل من أسطع البراهين على ما يعانى به المصطلح العربى من اختلاف هو ما نجده من اختلاف فى أسماء الشهور ، وفى أسماء النقود . فالشهر الثامن يسمى فى لبنان والعراق (آب) وفى مصر (أغسطس) وفى تونس (أوت) أما النقود فعندنا (الجنيه ، والدينار ، والريال ، والدرهم)

ولقد أصدر الدكتور محمد رشاد الحمزاوي بحثاً قيماً درس فيه تاريخ توحيد المصطلحات دراسة دقيقة مفصلة . وكان محققاً في إشادته بجهود مكتب التنسيق التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لما قامت به من نشاط لغوي واسع، فكان من جملة ما قامت به من عمل لغوي أن أصدرت ما يقرب من ٧٠ ألف مصطلح في ٢٣ علمياً في المرحلتين الثانوية والعالية من التعليم .

والذي قدر له أن يتابع مجلة اللسان العربي يتضح له أن كل عدد منها يشتمل على بحوث قيمة في اللغة . ويتضح مما أشرت إليه أن توحيد المصطلح العربي بصورة عامة أمر مفروغ منه، فلتكن دعوة بجمع الخالدين إلى هذا الأمر دعوة أخيرة حاسمة... وفي تصوري أن هذه الدعوة لا

تكون كذلك إلا بإصدار قرار من قيادة مصر ، فإننا نعرف جميعاً أن لمصر أقوى الأثر . ومن

المؤكد أن باقي الدول العربية ستحدوا حذو مصر العظيمة ، إذ لا توجد دولة من الدول العربية إلا وفيها عدد كبير من الخبراء في التربية والتعليم وفي الإعلام، بل في جميع المرافق ، وليس بعيداً أبداً أن تبني قيادة مصر هذه الخطوة الرائدة التي هي في الواقع عنصر من أقوى العناصر للتقارب العربي .

ولست في حاجة إلى القول بأن الأمة العربية في أشد الحاجة إلى التقارب فيما بينها، لأن التمزق العربي قد بلغ حالة تدمى القلوب .

عبد الرزاق البصير

عضو الجمع المراسل من الكويت

في تجديد الفكر وتاريخ الأفكار

للأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني

(١)

مقدمة ومثل تطبيقي

التبعية الفكرية عليها ، كما يتداعى إلى
الخاطر أن فكرة التجديد بغية التجدد هي
فكرة تضرب بجذورها في أعماق أبناء الأمة
بفعل عقيدتهم وتراثهم ، فقد ساد الاعتقاد
في أوساط حضارتنا العربية الإسلامية بسنة
التجديد باعتبارها من سنن الحياة في
الاجتماع الإنساني ، بفعل الحديث
الشريف الصحيح " إن الله يبعث لهذه الأمة
على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر
دينها . " وحفل تراث هذه الحضارة
بالحديث عن التجديد والمجددين.

إن التعرف على ظاهرة تجديد الفكر في
الاجتماع الإنساني يقتضي العناية بتاريخ
الأفكار الذي يتبع بالدراسة هذه الظاهرة
ويؤرخ لها . كما أن القيام بتجديد الفكر
يستوجب توافر شروط فيمن ينهض بهذه
المسؤولية من بينها شرط الإحاطة بما سبق
أن تبلور من أفكار بغية استحضارها .
وهذا يعني أن يكون عالماً بتاريخ الأفكار ،
الأمر الذي يقتضي أيضاً العناية بهذا التاريخ.

تجديد الفكر في مختلف نواحي الحياة - في
الاجتماع الإنساني - قضية مطروحة علينا
نحن العرب أبناء الحضارة العربية
الإسلامية ، في هذه المرحلة من تاريخنا ،
ونحن نعمل من أجل ازدهار العمران
الحضاري في وطننا العربي وكوننا
الأرضي بعامة . تماماً كما كانت مطروحة
من قبل على أجدادنا . شأننا في ذلك شأن
أمم أخرى في حضارات أخرى . ذلك أن
" التجديد " هو إحدى ظواهر الحياة في
الاجتماع الإنساني منذ كان . وهي من ثم
تستحق منا نظراً وتفكيراً وتأملات في إطار
معالجتها .

يتداعى إلى الخاطر ونحن نقف أمام هذه
القضية أن أمتنا العربية بلسورت هدف
التجديد الحضاري واحداً من أهداف
مشروع نهضتها عبر نهضات محاضته في
القرنين الأخيرين في مواجهة ، " بجمود " و
" وتقليد " يعلان فعليهما في داخلها ،
وتسلط فكري محارجي يستهدف فرض

واضح أن تحديد الفكر هو عمل يدخل في إطار "علم دراسة المستقبل" الذي سبق أن تناولناه بالحديث في الدورة الستين لمجمعنا قبل عام ، وهكذا تبدو الصلة وثيقة بين موضوع تاريخ الأفكار وموضوع دراسة المستقبل، وكما نرى العناية بدراسة المستقبل في مختلف دوائر عالمنا الحضارية وفي دائرة الغرب الحضارية بخاصة ، فإننا نرى مثل هذه العناية بدراسة تاريخ الأفكار.

يلح علينا ونحن نعالج قضية تحديد الفكر أن نبدأ بالتعرف على موضوع تاريخ الأفكار كما يجري تحديده اليوم في الغرب. ما تعريفه ؟ كيف بدأت العناية به وتطورت ؟ وما هي حدوده ؟ وأين يقع في علم التاريخ في بحره الواسع ؟ وما هي أهميته في عصرنا ؟ وما هي مصادره ؟ ثم ما هو دور الأفكار في العمران البشري ؟ وكيف تؤثر ؟ وما هو دور مؤرخ الفكر ؟

يلح علينا أيضاً أن نقوم بعد ذلك باستحضار ما حفل به تراث الحضارة العربية الإسلامية من حديث متصل بهذا الموضوع ، ضمن تلبية نزوع قوي لتأصيله. وهذا النزوع هو في إطار ظاهرة تفاعل

الحضارة مع تراثها حين تتفاعل مع حضارة أخرى . وسيقف بنا هذا الاستحضار أمام تاريخ تراجم الأعلام في القرون الهجرية المتتالية ، وتاريخ طبقات العلماء ، وتاريخ التجديد والمجددين . ويتداعى إلى الخاطر كيف عني أحد أعضاء مجمعنا الذين رحلوا إلى دار البقاء بتاريخ التجديد وهو المرحوم الشيخ أمين الخولي فأصدر كتابه "المجددون في الإسلام" على أساس كتابي "التنبؤ بمن يبعثه الله على رأس كل مئة" للسيوطي (٩١٠ هـ) و"بغية المقتدين ومنحة المجددين على تحفة المتهتدين" للمراغي الجرجاوي (ق ١٤ هـ).

يلح علينا أخيراً أن نتأمل في الفكر والتفكير والتفكر ، وننظر في كيفية تولد الأفكار عند الإنسان ، بدءاً من "الخاطر" الذي يرد على القلب ويتحرك فيه من رأي أو معنى ، وأصل تركيبه يدل على الاضطراب والحركة كما نقل ابن المناوي (٩٥٢ - ١٠٣١ هـ) في "التوقيف على مهمات التعريف" عن المطرزي . وقد تحدث محمد إقبال في مطلع كتابه بتحديد التفكير الديني في الإسلام عن الفكر والبداهة . وستغرينا "لُمع" فكرية لتحليل العلاقة بين الفكر

والفعل عند الإنسان . ومثل على ذلك ما جاء في " الفوائد " لابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ) من " أن مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار ، فإنها توجب التصورات ، والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل ، وكثرة تكراره تعطي العادة ، فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار " . وسنقف وقفة متأنية أمام معايير الأفكار " " والقيم " التي تحكمها . وهذا أمر عني بالوقوف أمامه كرين برنتون وفرانكلين باوهر أبرز المشتغلين بتاريخ الأفكار في الغرب وغيرهما، تماماً كما عني به من قبل أجدادنا وقدموا فيه الكثير مما يستحق أن يُستحضر ويُمثل ويبني فوقه ويُعلَى .

إن القيام بهذه الخطوات الثلاث يمكننا من الحديث الواصل في معالجة قضية تجديد الفكر ، المرتكز على وضوح " المعايير " ، المدرك لمعاني التغيير والتغيير والتطور والتطوير والتجديد والتجديد، الواعي للواقع القائم المحيط ، والمستحضر لحركة التاريخ التي أوصلت إليه ، وأخيراً المستشرف غده "ولتنظر نفس ما قدمت لغد" .

مثل تطبيقي

بين يدي العزم على معالجة قضية تجديد الفكر والقيام بالخطوات الثلاث بعون الله، أجد من المفيد تقديم مثل تطبيقي في تلويخ الأفكار يتناول موضوع " الفكر القومي العربي وتطوره وتطويره " ، أعطيته أولوية بمناسبة وقفة الذكرى الخمسين لتأسيس جامعة الدول العربية .

بلوغ جامعة الدول العربية الخمسين من عمرها في عام ١٩٩٥ مناسبة لوقفة مراجعة واستشراف ، ثمر رؤية لما ينبغي عمله لتحقيق أهداف العمل العربي المشترك.

موضوع الفكر القومي العربي واحد من عدة موضوعات حيوية تبرز في هذه الوقفة وتدعونا للنظر فيها ، فالصلة وثيقة بين هذا الفكر ومسار العمل العربي المشترك ، وقوي تأثير كل منهما في الآخر .

النظر في تطور الفكر القومي العربي يقع في إطار " تاريخ الأفكار " الذي يتعرف على العلاقات بين آراء العلماء والفلاسفة والمفكرين والمثقفين في الأمة ، وطريقة العيش الواقعية للناس ، بغية إدراك دور المذاهب والأفكار التي تدفع الناس في اتجاه

أولاً - مفهوم الفكر القومي العربي

ما هو مفهومنا للفكر العربي ؟ متى ظهر هذا الفكر بهذا المفهوم ؟ ما هي القضايا التي شغل بها ؟ ماذا عن التيار الذي تبناه ؟ ما هي الأحداث " الفاصلة " التي تبادل التأثير معها ؟ وأين نتسلمه ؟

مفهومنا للفكر القومي العربي يتحدد من كونه أولاً أنه " فكر " ، و " الفكر هو أعمال النظر في شيء " ، وهو يطرح أفكاراً ، والفكرة " هي قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم " من خلال التفكير في الأمور ، والتفكير هو " جولان تلك القوة بحسب نظر العقل " وهو أيضاً " التأمل " . وهو يعتمد على التفكير الذي هو أعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها .

وصف هذا الفكر بأنه " عربي " يعني أنه معني بالنظر فيما يجري في دائرة الوطن العربي الكبير فيما يخص الأمة العربية . كما يعني أيضاً أن أصحابه " عرب " يُعبرون " باللسان العربي " . والفكر العربي إذاً ينصرف إلى الفكر الذي ظهر في دائرتنا العربية منذ القدم .

وصف هذا الفكر العربي بأنه " قومي " يعني أمراً جديداً يتصل بفكرة " القومية "

معين . وتاريخ الأفكار هذا يتركز على أفكار الكافة ، ويهتم بالأفكار التي تحظى بانتشار واسع على صعيد حياة الناس من خلال الجماعات والحركات البشرية الكبيرة . وهو ، رغم أنه يدور بالضرورة داخل الفكر العقلاني ، يتناول أفكاراً ترتفع إلى درجة الإيمان والمعتقد .

والنظر في تطوير الفكر القومي العربي وثيق الصلة بعلم دراسة المستقبل الذي هو جهد علمي لاستشراف المستقبل وتشوفه ورؤيته ، بغية إحسان التعامل مع الواقع القائم ، والسعي لتحقيق أهداف محددة .

الإشارة إلى هذين العلمين هو بهدف استحضارهما عند النظر في موضوع الفكر القومي العربي ، بغية النفاذ عبر سحابة داكنة تظلل الموضوع ، صنعتها ظروف محيطية محبطة ، أدت إلى صدور أحكام على هذا الفكر في بعض أوساطنا الفكرية العربية " بقصوره وما ورائيته وتناقضه " بزعم أن العقل الذي ينتجه يتعامل مع إمكانات ذهنية لا فروض واقعية ، وهي أحكام أقل ما يقال فيها إنها بحاجة إلى تمحيص وإعادة نظر يُستحضر فيها تساريخ الأفكار ودراسة المستقبل .

حديثه الظهور في الغرب الأوربي، ثم في
دائرتنا الحضارية العربية الإسلامية وقلبها^١
الوطن العربي . فهو ذلك الفكر العربي
المعني بالنظر في قضايا الأمة العربية من
منظور كونها أمةً واحدةً تتوق للتعبير عن
ذاتها في وطنها ، وتسعى إلى تحقيق أهداف
بلورها نضالها . وقد اقترحتُ تعريفاً له بأنه
" الفكر الذي ينطلق من الإيمان بحقيقة
الانتماء القومي لأمة عربية واحدة ،
وينشغل بدراسة واقع هذه الأمة ، ويبحث
من ثم في التدليل على وجودها كوحدة ،
وفي توحيد الوطن العربي وتحرير أجزائه
المحتلة والتقدم به وتحديد مكانه في العالم " .
وذلك في كتابي "عروبة وإسلام ومعاصرة"
في مطلع الثمانينيات .

ظهور هذا الفكر بهذا المفهوم حديث
حدثة فكرة القومية التي ازدهرت في أوروبا
مع القرن التاسع عشر الميلادي ، وبدأ
الحديث عنها في الدولة العثمانية في الربع
الأخير منه، وجرى استخدامها أول مرة في
وطننا العربي عام ١٩١٦ في نداء إعلان
ال الشريف حسين الثورة العربية . ويمكننا
حين نتبع جذور الفكر القومي العربي أن
نجد تعبيرات عنه في حركات استقلال

الولاية في بعض الولايات العربية من الدولة
العثمانية منذ القرن الثامن عشر الميلادي ،
وفي بعض الكتابات والمواقف ، وبخاصة
منذ قيام دولة محمد علي في مصر .

ظهر الفكر القومي العربي بوضوح في
أوساط أمتنا العربية بعد الغزو الاستعماري
الأوروبي لوطننا العربي الذي بدأت الحملة
الفرنسية على مصر ١٧٩٨ م، وتوالي
موجة إثر موجة في القرن التاسع عشر
الميلادي وأوائل القرن العشرين ، في ظل
ضعف شديد عانت منه الدولة العثمانية .
وقد أكد هذا الفكر على وحدة الوطن
العربي الكبير في مواجهة عملية التجزئة التي
بشرها المستعمر على صعيد هذا الوطن ،
فكانت قضية الوحدة واحدة من القضايا
الحיוية التي شغلت الفكر القومي العربي .
تماماً كما أكد على التحرير والاستقلال في
مواجهة الاستعمار الأجنبي وشُغل
بقضيتيهما . وأكد على الشورى
والديمقراطية في مواجهة التفرد والاستبداد،
وشُغل بقضيتيهما . وأكد على التقدم
والارتقاء في مواجهة التخلف، وشُغل
بقضيتيهما . وأكد على الكفاية في الإنتاج
والعدل الاجتماعي ، وشُغل بقضيتيهما .

كما شغل أيضاً بقضية تَبوُّئ العرب مكافهم اللائق بهم بين الأمم في عالمنا .
تَبَنَّى هذا الفكر القوميَّ العربيَّ تيارٌ قوميٌّ ظهر في أوساط أمتنا ، ركز فيما يخص الهوية والانتماء على دائرة الانتماء للوطن العربي ، وغلب هذا الانتماء للقطر أو الانتماء للدين أو الانتماء للحضارة أو الانتماء الأممي للعالم . وتميز هذا التيار القومي عن آخر إسلامي وثالث ماركسي ورابع قطري ظهرت جميعها في الأمة .

في نطاق تفاعل هذا الفكر القومي العربي مع الواقع ، على مدى أكثر من قرن من الزمان ، هناك أحداث " فاصلة " حملت معها تحديات قوية له ، نشير من بينها إلى أحداث الاحتلال الأجنبي لأقطار عربية بدءاً من احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ ، إلى احتلال بريطانيا لجنوب اليمن فألراف الجزيرة العربية منذ عام ١٨٣٩ ، إلى احتلال فرنسا لتونس عام ١٨٨١ ، فاحتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ فالسودان عام ١٨٩٦ ، فاحتلال إيطاليا لليبيا عام ١٩١١ ، وفرنسا للمغرب عام ١٩١٢ ، وبريطانيا وفرنسا للمشرق العربي أواخر الحرب الأولى عام ١٩١٧ . كما

نشير إلى حادث خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩ ، وتولي الاتحاديين السلطة في الدولة العثمانية ، وإلى حادث القضاء على هذه الدولة في أعقاب مؤتمر فرساي عام ١٩١٩ ، وإقامة " الدولة القطرية " على نمط الدولة الأوروبية الحديثة في عدد من الأقطار العربية في مطلع العشرينيات ، وإلغاء نظام الخلافة عام ١٩٢٤ . ونشير إلى أحداث ثورات التحرير ضد الاستعمار الأجنبي في مختلف أقطار الوطن العربي في فترة ما بين الحربين العالميتين ، وإلى حادث قيام جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ ، وتدفق موجة التحرير في الوطن العربي ، ونيل عدد من الأقطار العربية استقلالها بدءاً من عام ١٩٤٥ ، ونكبة فلسطين عام ١٩٤٨ ، وقيام ثورات عسكرية في عدد منها أهمها ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر ، وما تلا ذلك من أحداث جرت في الوطن العربي تحت مظلة القومية العربية . ونشير إلى حادث ما عرف بنكسة حزيران - يونيو ١٩٦٧ وما تلاه من أحداث منذ عام ١٩٧٠ على صعيد الصراع العربي - الصهيوني بخاصة . كما نشير أخيراً إلى حادث اجتياح العراق

الكويت عام ١٩٩٠ وحرب الخليج عام ١٩٩١ .

كان لتحديات هذه الأحداث للفكر القومي العربي أثرها فيه وفي تطوره ، وكانت له استجاباته لهذه التحديات . وما الحرص على الإشارة لأهم هذه الأحداث إلا لاستحضارها عند النظر في تطور الفكر القومي العربي من ذاكرتنا التاريخية ، إذ إن من الملفت غفلة البعض عن ذلك وهم يصدرون أحكاماً على فكرنا القومي العربي، مستندين إلى أقوال ووقائع يتعاملون معها معزولة عن بُعدي الزمان والمكان والسياق التاريخي .

في ضوء ما سبق ، يمكننا ، أن نلمسَ هذا الفكر القومي العربي في كتابات أعلام عرب من مفكري الأمة تنالت حلقات، سلسلتهم منذ ما اصطلح على تسميته 'بنهضتها أو يقظتها' ، وفي برامج تنظيمات وأحزاب عربية ، وفي دساتير بعض الدول العربية التي قامت ، كما نتلمسُه في ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهداتها وأنظمة المنظمات المنبثقة عنها ومحاضر أعمالها . وإذا كانت كتابات المفكرين قد حظيت بالدراسة إلى حد ليس بالقليل ، فإن الجلل

لا يزال واسعاً أمام دراسات تستهدف تأريخ هذا الفكر القومي العربي ، وتنظر في أثره على أرض الواقع في إطار النظام العربي وعلى صعيد الأقطار العربية فرادى ومجتمعة .

ثانياً - تطور الفكر القومي العربي

النظر في تطور الفكر القومي العربي يدعونا بداية إلى استحضار العوامل التي تتفعل في تكوين الفكر، وما دام الفكر هو إعمال الفكر إعمال النظر في شيء أو أمر ، فإن هذا الشيء أو هذا الأمر ، هو عامل أولي أساسي ، ولما كان هذا الواقع قابلاً للتغيير وعرضة للتطور ، فإن الفكر تبعاً لذلك يتطور ، وما دام هناك من يُعمل النظر في هذا الواقع ، فإن القائم بإعمال النظر هو عامل الآخر عامل أساسي، وهو يقوم بذلك على هدى أهداف يضعها نصب العين بلورتها أحلام الجماعة وإرادتها وعملها . وهذه الأهداف عامل ثالث أساسي . وهي وأصحابها قابلون للتطور من خلال تعاملهم مع الواقع القائم مما يجعل الفكر يتطور . وتثل الظروف التي تكتنف الواقع والمناخ الذي يحيط به عاملاً رابعاً أساسياً في تكوين الفكر ، لأن القائم بإعمال النظر

يتأثر بها ، وهذه أيضا تتغير فيتطور الفكر تبعاً لذلك .

يمكننا في ضوء استجابة الفكر القومي العربي لتحديات الأحداث الفاصلة التي مرت بالوطن العربي على مدى أكثر من قرن ، أن نميز ، تسهيلاً للبحث ، بين عدة مراحل عبرها هذا الفكر ، يفصل بينها حدث انتهاء الدولة العثمانية ، وحدث نكبة فلسطين ، وحدث نكسة ١٩٦٧ ، وحدث حرب الخليج . وهكذا تكون مرحلة البدايات من استقلال محمد علي بمصر عملياً أوائل القرن التاسع عشر الميلادي إلى انتهاء الدولة العثمانية عام ١٩٢٠ . ثم تأتي مرحلة ما بين الحربين العالميتين إلى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، فمرحلة " المد القومي " إلى حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ ووقوف حرب الاستنزاف عام ١٩٧٠ ، فمرحلة ما بعد النكسة إلى حرب الخليج عام ١٩٩١ .

لقد بقيت القضايا التي برزت أمام الفكر القومي العربي، منذ بداياته ، مطروحة في المراحل التالية ، وإن اختلفت درجة الاهتمام بكل منها بين مرحلة وأخرى ، كما اختلف موقع كل قضية في ترتيب

أولويات الانشغال بها . وهكذا رأينا قضية التحرير تبرز في مرحلة البدايات ، وتلح بقوة في مرحلة ما بين الحربين العالميتين ، وتأخذ بعداً جديداً يشمل الدائرة الحضارية في آسيا وأفريقيا في مرحلة المد القومي ، وتكثف الجهود للحفاظ عليها حية أمام محاولات استهدفت طيها في مرحلة ما بعد النكسة ، ورأينا قضية الوحدة تناقش في إطار الجامعة الإسلامية وفكرة اللامركزية في مرحلة البدايات ، وتطرح هدفاً محدداً في مرحلة ما بين الحربين يرفع شعاره ، وتبحث أساليب الوصول إليها عملياً في ضوء محاولات وحدوية جرت في مرحلة المد القومي، ويستخدم الحوار حولها في مواجهة محاولات إنكارها وحكم قاطع باستحالة تحقيقها في مرحلة ما بعد النكسة، كما رأينا قضية الشورى والديموقراطية تبرز بقوة في مرحلة البدايات في مواجهة مختلف أشكال الاستبداد ، ويجري البحث في كيفية الممارسة في مرحلة ما بين الحربين في ضوء تطبيق نموذج غربي من قبل سلطات الاستعمار الغربي واعتماد التعددية ، ويدور الحوار في مرحلة المد القومي حول الديمقراطية

السياسية و الديمقراطية الاجتماعية
والعلاقة بينهما في ظل غلبة فكرة التنظيم
السياسي الواحد ، ثم تعود هذه القضية
لتأخذ موقع الأولوية في مرحلة ما بعد
النكسة ، وبرز فيها بقوة بُعد حقوق
الإنسان وتغلب فكرة التعددية والمشاركة .
والأمر نفسه يصدق على قضيتي الكفاية
والعدل ، وقد رأينا الفكر القومي العربي
يعنى بالقضية الأولى عناية خاصة بعد أن
نالت أقطار عربية استقلالها، ويتحدث في
مرحلة تالية عن " التنمية " ، ويتحدث
فيما يخص القضية الأخرى عن العدالة
الاجتماعية ثم عن الاشتراكية في مرحلة
تالية ثم عن العدل ، كما يصدق
الأمر نفسه على قضية التجدد الحضاري
الذي سُمي أيضاً نهضة وإصلاحاً وارتقاءً ثم
تقدماً ورسالة .

مجموعة مشكلات اتصلت بهذه القضايا
عني بها الفكر القومي في جميع مراحلها التي
مرّ بها ، ومنها مشكلة التوفيق بين الانتماء
القطري والانتماء القومي والانتماء
الحضاري، ومشكلة العلاقة بين الوطن-
الدولة والوطن الكبير العربي ودائرة
الحضارة الإسلامية ، ومشكلة التقدم

وكيفية الوصول إليه، ومشكلة العلمانية في
مواجهة الدين ، ومشكلة العلاقة بين
"الأنا" ممثلاً بالهوية العربية و"الآخر" في
عالمنا وبخاصة " الغرب " .

عُنى الفكر القومي العربي أيضاً بمجموعة
موضوعات تتصل بهذه المشكلات ، عالج
بعضها الآخر على صعيد التطبيق العلمي ،
ومنها موضوعات الشعب والأمة والدولة
والجنسية والمواطنة القطرية والقومية
والأقوام ضمن الأمة والصراع العربي -
الصهيوني ومداخل الوحدة والعلاقة بين
الوحدة والتحرير والوحدات الإقليمية فيما
سمي " بالإقليمية " ، والاستشراف،
ودراسة المستقبل.

تعددت المدارس في هذا الفكر القومي
العربي وتطورت هي الأخرى بين مرحلة
وأخرى . ففي مرحلة البدايات رأينا
مدرسة ظهرت في بلاد الشام رداً على
التريك ، وعلى الاستعمار الغربي . كما
رأينا مدرسة قامت في مصر تأثرت بكون
مصر " خديوية " وولاية لها نوع من
الحكم اللامركزي في ظل الدولة العثمانية
وقعت فريسة للاحتلال البريطاني
ورأينا مدرسة في المغرب الذي استهدفته

أطماع الاستعمار الفرنسي ، وأخرى في الجزيرة العربية ، وثالثة في السودان وشرق أفريقيا تأثرت بالظروف السائدة .

عبّرت عن هذا الفكر القومي العربي كتابات كثيرة، حقق بعضها انتشاراً من خلال تعبيره عن اتجاهات رئيسية في المرحلة التي ظهرت فيها . ونشير على سبيل المثال إلى مؤلفات ساطع الحصري في مرحلة ما بين الحربين التي تناولت الوطنية و القومية وأكدت على العروبة ، وبحث في اللغة والأدب ، وإلى مؤلفاته بعد نكبة فلسطين التي تناولت القومية العربية في مرحلة المد القومي ، ووقفت أمام ظاهرة " الإقليمية " عند انفصال وحدة مصر وسورية عام ١٩٦١ . كما نشير إلى مجموعة الكتب التي صدرت في نطاق الاستجابة لتحدي النكبة ، ومنها "عبرة فلسطين"لموسى العلمي ، و " النكبة والبناء" لوليد قمحاري، و "معالم الحياة العربية الجديدة " لمنيف الرزاز ، ثم مجموعة الكتب التي حاولت منذ أواخر الخمسينيات تقديم نظرية عربية شاملة رداً على نظريات غربية شاملة من بينها الماركسية ، ومن هذه الكتب مؤلفات عبد الله الريماوي وعصمت

سيف الدولة ، ثم مجموعة الكتب التي شغلت بالنظر في عصرنا ، ومنها مؤلفات جمال حمدان ، وبخاصة استراتيجية الاستعمار والتحرير ، ومؤلفات قسطنطين زريق وبخاصة في معركة الحضارة . وقد قدم لنا ميثاق جامعة الدول العربية ومعه المحاضر التي تضمنت المناقشات التي أوصلت إليه ، وثيقة هامة لكيفية تجسد هذا الفكر في عمل عربي رسمي مشترك . وجاء كتاب " فلسفة الثورة " لجمال عبد الناصر في الخمسينيات وثيقة مهمة أخرى لرؤية قيادة سياسية ترفع شعار عروبة مصر والقومية العربية . ثم جاء كتاب " الميثاق الوطني " للجمهورية العربية المتحدة معبراً عن تيار فكري قوى تبنته دولة قوية في الستينات . ونلاحظ في مرحلة ما بعد النكسة ظهور الكتابات التي تتناول مختلف جوانب الحياة العربية بالدراسة الشاملة والمتعمقة . وقد قام مركز دراسات الوحدة العربية الذي تأسس في منتصف السبعينيات بدور خاص فيها . كما نلاحظ بداية العناية باستشراف المستقبل ودراسته، و ظهور أعمال رائدة وكتابات لافتة شارك فيها زكي نجيب محمود ، وقسطنطين زريق،

وكاتب هذه السطور وآخرون ، وتوجت
بالمشروع الاستشراقي للمستقبل العربي
الذى أنجزه مركز دراسات الوحدة العربية.
ونلاحظ أيضاً قيام عدد من المراكز
والمعاهد والمنظمات العربية المتخصصة التى
أسهمت فى الفكر القومى العربى كل فى
مجالها ، ومن أشهرها معهد البحوث
والدراسات العربية ، وكذلك صدور عدد
من المجلات والدوريات المعنية بقضايا الأمة
العربية ، ومنها مجلة " شؤون عربية " .

هذا قليل من كثير نوره على سبيل المثال،
لنؤكد على ضرورة كتابة تاريخ الفكر
القومى العربى الحديث ، ولندعو من أصدر
أحكاماً على هذا الفكر بدون الإحاطة به
إلى مراجعة يعيد فيها النظر .

من الأمور التى تستحق أن يلتفت إليها
تفاعل الفكر القومى مع التيارات الفكرية
الأخرى التى ظهرت فى أوساط أمتنا العربية
خلال القرن الأخير ، وما نجم عن هذا
التفاعل من تأثير متبادل . وقد رأينا من
أمثلة ذلك بروز بعد عربى فى الفكر
الإسلامى الحديث فى مرحلة ما بعد
الحربين ، وكذلك بروز بعد دينى فى الفكر
القومى العربى ، أشارا إلى كون التيارين قد

نبعا من تيار واحد كان يقرن بينهما قبل
الغزو الاستعماري الأوربي . كما رأينا
حدوث تناقض مصطنع فى تلك المرحلة
بين التيارين بفعل اتجاه علمانى برز فى
أوساط الفكر القومى العربى ولّد ردّ فعل
فى أوساط الفكر الإسلامى تمثل فى إنكار
البعد القومى . ورأينا اتجاهاً آخر برز فى
أوساط الفكر القومى العربى تبادل التأثير
مع التيار الماركسي فى مرحلة المد القومى .
ثم رأينا اتجاهاً آخر برز فى مرحلة ما بعد
النكسة عاد إلى التأثير بالأفكار " الليبرالية "
للغرب الرأسمالى . ولعل أهم ما أثمره هذا
التفاعل الذى تحقق على الصعيدين الداخلى
والخارجى هو تقارب التيارين القومى
العربى والإسلامى من خلال إدراك العلاقة
بين العروبة والإسلام :الركنين الأساسيين
فى هوية الأمة .

إن لنا بعد هذه النظرة العامة على تطوّر
الفكر العربى خلال قرن ، أن نقف وقفة
نتأمل فيها تأثير كل عامل من العوامل
الثلاثة التى تفاعلت فى تكوينه .

لقد كان عامل " الواقع القائم " فى مرحلة
البدايات محكوماً بحقيقة كون الوطن العربى
جزءاً من أراضي الدولة العثمانية التى

جاءت امتداداً للدول المتتالية في ديار الإسلام في ظل نظام الخلافة . كما كان محكوماً بحقيقة تعرض هذا الوطن لغزو استعماري أوروبي . وهكذا رأينا الحقيقة الثانية تتجه بمفكري النهضة إلى الدعوة للجامعة الإسلامية لمواجهة هذا الغزو ، ورأينا الحقيقة الأولى تحفزهم على مقاومة الاستبداد الذي وقع في أسره الرجل المريض والعمل على شفاؤه ، ورأينا تفاعل الحقيقتين يدعو هؤلاء المفكرين إلى النظر في اللامركزية . ولم يلبث أن حدث تغيير في ذلك الواقع على أرض الواقع فرض نفسه حين احتلت بريطانيا وفرنسا المشرق العربي ، وأعلنت الأولى فرض حمايتها على مصر التي احتلتها قبل ذلك ، ورسمت الدولتان حدوداً سياسية تفصل بين أقطار عربية شاركت إيطاليا التي احتلت ليبيا والصومال في رسم بعضها . وهكذا أصبح على الفكر القومي العربي في مرحلة ما بين الحربين أن يتناول قضية الاستقلال والتحرر من الاستعمار ، وأن يرفع شعار الوحدة العربية في مواجهة التجزئة المفروضة ليكون هدفاً يناضل من أجله يعود بالأمر إلى طبيعتها بعد التحرير . ويتداعى إلى الخلط

مثل على تأثير هذا العامل هو انعقاد المؤتمر السوري الفلسطيني قبيل اتفاقات فرساي لبحث مشترك في أوضاع مواجهة الواقع الجديد ، وتعذر انعقاده مرة أخرى بعد الفصل بين القطرين ووقوعهما تحت تسلط الاستعماري لدولتي فرنسا وبريطانيا ، فكان أن تتالى انعقاد مؤتمرات فلسطينية ، وأخرى سورية . وحدث تغيير آخر في ذلك الواقع في أعقاب الحرب العالمية الثانية تمثل في نيل بعض الأقطار العربية استقلالها ، وفي وقوع نكبة فلسطين ، ثم في تدفق حركة التحرر العربي ، فكان أن عني الفكر القومي العربي بقضية الوحدة العربية وأعطاه أولوية ، وارتفع شعار الوحدة طريقاً لتحرير فلسطين . ثم لم يلبث أمام حدوث تغيرات أخرى دولية ، وإقليمية أن شغل هذا الفكر بالنظر في العوائق في ضوء ما بدا من وقائع عند القيام بخطوات وحدوية ، ورفع البعض شعار الوحدة المدروسة . وكان على هذا الفكر أن يُطوّر نفسه في مرحلة ما بعد النكسة أمام تغيرات جذرية حدثت في الواقع القائم تناولت موضوع الصراع العربي - الصهيوني وموضوعات داخلية

وخارجية . يمكننا أن نتبع تأثير تغير الواقع على تطور الفكر العربي من خلال أهداف الأمة وقضاياها و الموضوعات المتصلة بهذه القضايا .

يمكننا أن نلاحظ على صعيد عامل "جماعات الفكر" التي تقوم بإعمال النظر في أن بعض المفكرين استجابوا لدواعي تطوير الفكر القومي العربي وأسهموا فيه ، وأهم أيضاً تأثروا بالظروف المحيطة بهم فبدأ على ما كتبوه أثر شخصياتهم . ويمكن أن نتبع هذه الاستجابة لدواعي التطوير والإسهام فيه عند عدد منهم شهدوا عدة مراحل . فهذا أبو خلدون ساطع الحصري الذي تميز بين فترتين في حياته ، كان في إحداها عربياً مواطناً عثمانياً وصل إلى أن يعمل قائم مقام في مقدونيا ثلاث سنوات (١٩٠٦ ، ١٩٠٩) ، وكان في الأخرى عربياً تنقل بين عدة أقطار عربية ، يخلف لنا تراثاً فكرياً يقدم لنا مثلاً جلياً على ذلك . وقد كشفت الندوة التي أقامتها مؤسسة شومان في عمان آخر عام ١٩٩٣ -بمناسبة مرور ربع قرن على رحيله- عن هذا التطور وهذا الإسهام في الفترتين وفي عدة مراحل ضمن الفترة الثانية . وهذا

عصمت سيف الدولة الذي نشط في التنظير على صعيد الفكر القومي العربي في مرحلة المد القومي يتابع جهوده في مرحلة ما بعد النكسة ، ويكتب في العروبة والإسلام وعن الديمقراطية ، وأمثلة أخرى كثيرة . ويبدو من خلال التأمل في هذا العامل ما يفسر لماذا لم يُعَنَّ ساطع الحصري بالبعد الروحي في كتاباته وتجنب الحديث عن الدين ، ولماذا أغفل النظر في أوضاع الدائرة الحضارية العربية الإسلامية التي تشمل دول الجوار ، ولماذا اهتم عدد من المفكرين القوميين العرب بموضوع العروبة والإسلام في مرحلة ما بعد النكسة اهتماماً خاصاً . ومن الملفت على صعيد هذا العامل بروز ظاهرة عمل الفريق فيه بدءاً من المد القومي وتنامي هذه الظاهرة في مرحلة ما بعد النكسة ، إلى جانب استمرار ظاهرة المفكر الفرد . وقد نجح عمل الفريق في إنجاز عدد من المشروعات البحثية .

بدأ أثر عامل الأهداف واضحاً في تطوير الفكر القومي العربي ، في ضوء ما طرأ على ترتيبها في قائمة الأولويات بحكم تغير الواقع القائم بين مرحلة وأخرى . وقد رأينا كيف أن هدف الوحدة في مرحلة المد

القومي تقدم على هدي التحرير والديموقراطية . كما بدا أثر عامل المناخ المحيط واضحاً أيضاً ، وشتان بين روح العزيمة التي غلبت على هذا الفكر إبان تدفق حركة التحرير في الخمسينيات وبين روح الإحباط التي سيطرت على بعض المفكرين في مرحلة ما بعد النكسة ووصلت بهم إلى البحث عن أسباب النكسة فيما اصطالحوا على تسميته "بالعقل العربي"، فعمدوا إلى تحليله وتشريحه وخرجوا بنتائج وأحكام على مسار حضارتنا عبر العصور بحاجة إلى إعادة نظر وتمحيص . ولم يلتفت هؤلاء إلى سنن نشوء الحضارات وازدهارها وانحطاطها وأفولها ، وفاقم " أن العقل هو العقل حيثما كان " كما نبّه حافظ الجمالي في مقاله المتميز في شؤون عربية (مارس / آذار ١٩٩٤)، " وأن وظيفته دوماً هي تفسير ما يجري حوله معنوياً أو مادياً ، أما الظروف فإنها هي التي تتحكم في اتجاهه إلى أمر آخر " ، وأوصلت روح الإحباط بعض هؤلاء إلى دمع اللسان العربي بالقصور عن البيان وعجزه عن استيعاب العلوم ، وإلى تفسير ظواهر في تاريخنا مثل

ظاهرة الصوفية مثلاً تفسيراً لم يتعمق فهم ما كانت تؤديه من وظائف اجتماعية . وهكذا تكرر مع اللسان العربي ما حدث في عهد شاعر النيل حافظ إبراهيم أول هذا القرن حين قال قصيدته الشهيرة التي تتضمن شكوى هذا اللسان وبيانه . وقد رأينا كيف فعلت روح الانتفاض فعلها في الفكر القومي العربي في الثمانينيات بما أشاعته من عزم من خلال ظاهرة الانتفاضة والمقاومة ، فعُني هذا الفكر بدراسة ظاهرة الصحوة وعواملها .

يحمل القول أن الفكر القومي العربي مرّ بعدة مراحل ، وتطور خلالها بفعل عوامل محددة . وقد كان له تأثيره على مجرى الأحداث في منطقتنا ، واختلف درجة هذا التأثير بين مرحلة وأخرى . وتباين الآراء حول مقدار هذه الدرجة ، ولكنها تكاد تجمع على وجود أزمة في العلاقة بين إدارة السياسة في وطننا العربي وهذا الفكر.

ثالثاً - تطوير الفكر القومي العربي

نصل إلى النظر في تطوير الفكر القومي العربي . وهذا النظر كما سبق أن قلنا وثيق الصلة بعلم دراسة المستقبل . وهذا العلم له منهجه الذي يدرس الواقع، ويسـتـحضر

سنن حركة التاريخ، ويستشرف المستقبل مدخلاً عنصري الحلم وإرادة الفعل .

نلاحظ بداية أن " التطوير " يتضمن في طياته وجود عنصر إرادي فاعل يقوم به . وهذا ما يميزه عن " التطور " الذي يتحقق تلقائياً بفعل عوامل محددة . كما نلاحظ أن النظر في هذا التطوير يأتي ليلي متطلبات مرحلة جديدة تعيشها أمتنا والعالم من حولها بعد انتهاء الحرب الباردة على الصعيد الدولي وحرب الخليج التي جرت على أرض وطننا عام ١٩٩١ . وقد عني الفكر القومي العربي بالنظر في هذه المرحلة مدلياً بدلوه في تحليلها ، فصدرت كتابات جادة تناولت هذا الموضوع . ونلاحظ أيضاً أن الحديث عن التطوير يعبر عن استشعار الحاجة إلى ما ينبغي تطويره . والحق أن الشعور بهذه الحاجة قوي في الأوساط الفكرية العربية ، وهو وثيق الصلة بحديث عن أزمة يعانيها الفكر القومي العربي يتردد بين حين وآخر . هكذا تبرز أمامنا مجموعة أسئلة :

أين تكمن الأزمة؟ ومن المؤهل للقيام بتطوير هذا الفكر؟ وفي أي اتجاه يكون التطوير؟

الواقع القائم في وطننا العربي يشير إلى وجود أزمة على صعيد الفكر . هذا أمر لا شك فيه ، والأسئلة كثيرة في حياتنا العربية اليومية على ذلك ، بدءاً من السياسات التي تحكم العلاقات بين الدول العربية وصولاً إلى الإجراءات التي تواجه الإنسان العربي في تنقله بين أقطار وطنه الكبير أو في معاملاته اليومية . ويمكننا أن نبحث عن مكن هذه الأزمة على أكثر من صعيد . فعلى صعيد الفكر نفسه هناك أزمة بين أوساط اتجاه انغماسي فيه معلق النظر بإنجازات الحضارة الحديثة السائدة في الغرب ، وجوهر هذه الأزمة التمييز بين الحضارة ونقلها . تماماً كما أن هناك أزمة بين أوساط اتجاه انكماش في محكوم بعقدة تجاه الحضارة الحديثة تجعله يتخذ موقف انكماش كرد فعل . وعلاج الأزمة على هذا الصعيد هو متابعة الحوار بفكر متفتح وصبر ، والمؤهل للقيام به هو تيار الاستجابة الفاعل في الفكر القومي العربي ، وهو تيار غالب . والأزمة أكثر ما تكون وضوحاً على صعيد علاقة الحكم بالفكر . وسببها الرئيسي انفصال قائم بين أهل الفكر وأهل الحكم - القلم والسيف - في

أكثر مجتمعاتنا العربية . وهذا الانفصال
ناجم عن نقص حاد في الديمقراطية
والشورى ، وعدم إحكام آلية منتظمة في
صنع القرار بحثاً ومناقشة وبلورة . وعلاج
الأزمة على هذا الصعيد هو بسيادة
الشورى والديموقراطية واستكمال
مؤسستهما وإحكام آلية العمل فيها وكفالة
حرية التعبير للقضاء على مرض الحرمان
الذى يصيب الجماعة في غياب هذه
الحرية . والأزمة واضحة أيضاً على صعيد
علاقة الإعلام الرسمي بهذا الفكر . وسببها
الرئيسي محاولة فرض الرؤية الرسمية في
غياب حرية التعبير . وعلاجها وثيق الصلة
بعلاج سابقتها بسيادة الديمقراطية
والشورى . ونستطيع أن نرى هذه الأزمة
متجسدة على الصعيدين الثاني والثالث في
التعامل مع موضوع " العمل العربي
المشترك والمصالحة العربية " في أعقاب
حرب الخليج الثانية .

المؤهل للقيام بتطوير هذا الفكر ، هم الذين
يعلمون ، من القادة السياسيين المستنيرين
ومن المفكرين الفاعلين . ولا غنى أن يكون
عمل هؤلاء مؤطراً في مؤسسات على

الصعيدين القومي والقطري ، وعلى
المستويين الرسمي والأهلي .

هذا التطوير لا يبدأ من فراغ ، ولا بد أن
يستحضر تاريخ الفكر القومي العربي ،
ليتابع جهوداً سابقة . واتجاهه هو إلى مزيد
من تعمق فهم العالم المحيط بنا ، ومزيد من
الإحاطة بواقعنا ورسم أطلس خرائط
مجتمعاتنا العربي الخاصة بالأقوام والملل
والشرائح الاجتماعية وأنماط الحياة ، ومزيد
من استيعاب تراثنا وإدراك حقائق تاريخنا ،
واعتماد النظرة النقدية في القيام بذلك .

لابد أن تضع عملية تطوير الفكر القومي
العربي في اعتبارها محاولة قوى الهيمنة
الدولية فرض نظام إقليمي جديد على
منطقتنا ، وما يقترن بهذه المحاولة من تعميم
فكرة تزعم انتهاء القومية العربية كان
برنارد لويس من أوائل من طرحوها ، ومن
تسوية للصراع العربي - الصهيوني تبني
حلاً عنصرياً صهيونياً وتسند دوراً خاصاً
للكيان الصهيوني في المنطقة . كما لابد أن
تضع عملية التطوير هذه في اعتبارها ما
يواجه العمران الحضاري في عالمنا من
أخطار بفعل الطغيان على المحيط الحيوي
وعلى مجتمعات إنسانية .

تحدد في ضوء سبق الموضوعات التي يتناولها الفكر القومي العربي في هذه المرحلة، وترتيب كل موضوع في سلم الأولويات . وواضح أن موضوع حقوق الإنسان وسيادة القانون من أكثر الموضوعات إلحاحاً . وكذلك موضوع "المواطنة العربية" وما يتصل بها حقوق الإقامة والعمل والتنقل في الوطن العربي الكبير . وهناك أيضاً موضوع التعددية السياسية والممارسة الديمقراطية ، شأن بقية الموضوعات المتعلقة بأهداف الأمة هدفاً هدفاً من تحرير وكفاية وعدل وتحدد حضاري .

إن من أهم ما يساعد على إنجاح عملية التطوير هذه ، توعية أبناء الأمة العربية بها . وهنا يبرز دور "إعلام الكلمة الطيبة" . وضروري أن تتضمن هذه التوعية رسداً لحال الأمة من منظور قومي للدائرة علسي هذا الصعيد ، ومنها تقرير حال الأمة الذي يناقشه المؤتمر القومي العربي في اجتماعه السنوي ، وتقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان . وتبدو الحاجة ماسة إلى قيام مؤسسة عربية بحصر التقارير السنوية الصادرة عن مراكز معتمدة في مختلف

مجالات الحياة العربية واستخلاص عصارتها وطرحها على أبناء الأمة والقيادات السياسية على السواء . وتتداعى إلى الخاطر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية التي يقع على عاتقها واجب خاص في هذا التطوير ، يقتضي فيما يقتضي تطويرها هي .

خاتمة :

وبعد ،

فإن الفكر القومي العربي بالمفهوم الذي طرحناه حقيقة تفعل فعلها في حياتنا . وهو يتصف بحيوية مكانته من التطور . وإمكانية تطويره قائمة . وواضح أنه يواجه في هذه المرحلة تحديات شديدة جعلت البعض يرى أنه "يعيش أزمة حادة ربما طالت وجوده بأكمله" - كما عبرت صحيفة عربية تصدر في الخارج في استفتاء نظمته صيف عام ١٩٩٢ .

وقد أوجزت رؤيتي لحاله ومستقبله : " بأن الفكر القومي العربي اليوم يشهد تعاضد مدرسة العمران الحضاري العربي الإسلامي فيه ، واشتداد ضعف مدرسة التغريب الانغماسي فيه ، وإذا كانت هذه المدرسة الثانية تعيش بحق أزمة حادة ، فإن المدرسة الأولى تنصف اليوم بالحيوية، وتنهض

بمسؤولياتها في النظر الفكري للواقع والاستجابة لتحدياته ومعالجة مشكلاته .
وتيارها هو التيار المؤهل للاتساع والتعاضد في وطننا العربي إبان هذه المرحلة من تاريخنا ، لأنه يجسد الهوية العربية بعناصرها الثلاثة: اللسان، والعقيدة، والتاريخ ، ويلبي متطلبات مختلف دوائر الانتماء فيها ، ويعبر

عن الاستجابة الحضارية الفاعلة، ويتفاعل مع الحضارات الأخرى الإنسانية في عالمنا .
وهذا هو شأن التيارات المماثلة له في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية وفي دائرة العالم الإسلامي بخاصة " .

أحمد صدقي الدجاني

عضو المجمع المراسل من فلسطين

إشكالية تعريب التعليم العالي للأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد

للألفاظ الأجنبية لتعليم اللغة العربية واستخدامها في ميادين المعرفة البشرية كافة.

ويقصد بالتعريب حالياً استعمال اللغة العربية لغة قومية في الوطن العربي للتعبير عن المفاهيم ، واستخدامها في التعليم بجميع مراحله ، والبحث العلمي بمختلف فروعِهِ وتخصصاته، واستخدامها لغة عمل في مؤسسات المجتمع العربي ومراقبهِ كافة (٢).

ومنهم من يوسّع دائرة التعريب ليرى أن للتعريب مفهوماً جوانبَ فنية وقومية واجتماعية وسياسية وحضارية ، وقد يتداخل مفهوم التعريب مع مفهوم الترجمة فتعرض قضايا فنية حول طبيعة اللغة وطاقاتها الدلالية والاستيعابية وآلياتها الذاتية وحول إعداد المترجمين وتدريبهم ... إلخ ، وفي هذا الإطار تكون قضية التعريب قضية علاقات فكرية وثقافية مع اللغات الأخرى أي قضية عربية أجنبية .

وقد يعنى التعريبُ دعمَ الوجود العربي والوحدة العربية بمعنى شمولية استعمال اللغة

نحاول في هذا البحث أن نتعرف مسألة تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، وأن نتبين التعريب مفهوماً وأهدافاً وأشكالاً ، موضحين حجج المؤيدين له والمعارضين والمترشحين ، ومشيرين إلى مستلزمات التعريب حتى يحقق الأهداف المرسومة له .

أولاً : التعريب مفهوماً وأهدافاً :

=====

التعريب لغة مصدر للفعل عَرَّبَ ، وعَرَّبَ بمعنى أبان وأفصح ، وعَرَّبَ عن الرجل إذا تكلم بحجته ، وعَرَّبَ منطقة إذا هذَّبه من اللحن ، ويقال : عَرَّبَتْ له الكلام تعريياً إذا بينته له ، وعَرَّبَهُ : أي علَّمه العربية ، وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها (١) .

ولقد تدرَّج لفظ " عَرَّبَ " بهذه المعاني المتقاربة بعض الشيء منذ القديم إلى معنى ترجمة النصوص الأجنبية ونقلها إلى العربية، وتعليم العلوم الأجنبية بالعربية .

والتعريب اصطلاحاً إيجاد مقابلات عربية

العربية في الوطن العربي نفسه على المستوى الجغرافي والقطاعي لقطاع التعليم والبحوث والإدارة وتوحيد المصطلح العربي .

وقد يعنى التعريبُ تعريبَ لغة الإدارة الرسمية بما في ذلك أنواع النشاط المالي والتجاري والاقتصادي ، وقد يعنى تعريبَ لغة التعليم والمجتمع معاً في بعض الأقطار العربية التي كانت رازحة تحت الاحتلال الأجنبي واستقلت حديثاً .

والتعريبُ من جهة أخرى قد يعنى كل ما يستوعبه المجتمع العربي ويحتويه في نسخ حياته، مما يتلقاه بأي صورة من صور التلقي الفكري والمادي والاجتماعي من أهداف وقيم ووسائل ، والانطلاق منه كواقع جديد للتفاعل الجدلي إنتاجاً وعلاقات ، أخذاً وعطاء ، تأثيراً وتأثراً ، من رؤية متكاملة للحياة وقدرة ذاتية على ممارستها .

والتعريبُ في المستوى المباشر يعنى سيادة اللغة العربية على ساحة الوطن العربي ، بما يوحد المشاعر العربية ، ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها ، مما يجعله علماً جوهرياً في الخروج من دائرة التخلف السياسي المتمثل في التجزئة إلى حرية الوحدة العربية في الصورة التي توصل دور

الأمة العربية التاريخي والمصري .
والتعريب في معناه الأكثر شمولاً يعطي للوحدة العربية مضمونها الحضاري المعاصر ويعينها على كسر طوق التخلف والتحرر من أنواع التبعات الاقتصادية والتقانية "التكنولوجية" والثقافية (٣) .

ومن هنا يكون للتعريب هدفان :
أولهما :

خلق شخصية إبداعية عربية تمتلك القدرة الذاتية على إنتاج العلم وصناعة التقنية " التكنولوجية " ، وهذه القدرة ليس مناطها المعرفة العلمية وحدها ، ولكن المناخ العلمي الذي يستدعي عددا من الظروف المواتية لتملك القدرة الذاتية ، وهي ظروف متعددة الجوانب ، منها ما هو سياسي ، ومنها ما هو تشريعي ، وما هو تنظيمي ، وما هو اجتماعي ، وما هو مالي ، وما هو في الأساس علمي .

وثانيهما :

هو القدرة على المشاركة والتفاعل من منطلق متميز ذلك أنه يمكن للأمة العربية أن تسهم في الحضارة العالمية المعاصرة متجاوزة عقبات التخلف بضم قدراتها البشرية والعلمية والمادية واستنبات علمها

عربيا ، وتوحيد استراتيجياتها تنمويدا ، وأن تضع تقانة " تكنولوجيا " عربية ، والسبيل إلى ذلك هو الإنسان الذى يتلقى علوم العصر بلغته ، يتعلم ويعلم ويبحث بهما ، حتى يكون ذلك إغناء للثقافة العربية بين المتخصصين والمتعلمين و جماهير الشعب، بما يوسع من قاعدة المشاركة وصنع الوعي بالتقدم ودعم الشعور بالحاجة إليه والإسهام فى تطويره (٤) .

ثانيا : أين تقع الإشكالية ؟

=====

غني عن البيان أن لكل أمة لغة تعبر عن هويتها القومية وشخصيتها الحضارية ، وأن لغتنا العربية رمز لكياننا القومي وعنوان لشخصيتنا العربية ، وهى لغة قرآنا الكريم وحضارتنا العريقة الضاربة الجذور فى الأعماق ، وهى مستودع تراثنا الفكرى وموحدة المنهجية الفكرية بين أبناء الأمة ماضيا وحاضرا وتوجها نحو المستقبل ، هذا نتفاهم ، ونعبر عن حاجتنا وتطلعاتنا ، وبما نفكر ، وقد وجدت بين العسرب فى مواضي الحقب بوساطة القرآن الكريم ، إذ لولا ذلك الكتاب العربى المبين الذى نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربى

الكريم آية لنبوته، وتأيدا لدعوته ودستورا لأمتة لكان العرب بدوا .

وما دامت اللغة العربية هوية المجتمع العربى رافقته منذ طفولته، وعبرت عن مسيوته فى قوته وضعفه ، فى توثبه وانحساره ، فى حضارته وتخلفه كان الحفاظ على هذه الهوية واجبا مقدسا ، وكان الحرص على تبنيتها والاعتزاز بها أمرا لازما بكل المعايير والمقاييس دينية كانت أو قومية أو وطنية ، وإن الإشكالية تقع فى إهمال هذه اللغة واعتماد لغة أخرى مكانها فى التدريس الجامعي ، ولا تتجلى الإشكالية فى التعريب لأنه الطريق الطبيعى والأمر البديهي، وإنما فى عدم استخدام العربية أداة للتواصل بين أبناء الأمة فى معاهدهم وجامعاتهم ، فقد " ابتلينا - كما يقول يوسف الحاج فى كتابه فى " فلسفة اللغة " - بإهمالنا للعربية ، بغرورنا أن سواها أعمق وأهى وأفتى وأقرب إلى مقومات الحضارة الحديثة ، أسمعنا هذه المعزوفات فابتلينا بعقدة الشكابر حيال لساننا ،وبعقدة التصاغر حيال لسانهم ، والنتيجة صغرنا فى أنفسنا دون أن نكبر فى أنفس الحاكمين

حتى صرنا لا ننتمي لبيان عربي ولا لبلاغة عربية" (٥) .

ويتابع قائلا : " لا أبالغ إذا قلت إن معظم مشكلاتنا الاجتماعية سببه التنازل عن واحدنا الأحد ، عن تاريخنا الواحد ، عن لساننا الواحد ، عن أرضنا الواحدة ، عن تراثنا الواحد ، عن إرادتنا الواحدة . وإن كل أمة عزيزة الجانب ، أبية الخلق ، ثابتة الإرادة ، تقدّم لغتها على لغة سواها ، ولا تتناول أشياء الأخرى إلا من بعد أشياءها القومية، أى من وراء حدودها الوطنية" (٦) . فاللغة رمز للكيان القومي وأمانة على شخصية الأمة وذاتيتها الثقافية ، و " على التعليم العالي أن يقوم على أنه محور أساسي لرسالته ، على عملية تنمية الذاتية الثقافية التى تمثل الخصوصية الحضارية للمجتمع والتى هى مناط سائر أنواع التنميات الأخرى ، والتى هى بصفة خاصة سبيل الأمة فى العطاء الحضاري للمجتمعات الأخرى وأسلوب التبادل الخلاق مع الآخرين ، ويتمثل ذلك فى الذاتية الثقافية ، فى خصائص المجتمع الأساسية، وفى تراثها الحضارى وفى مقدّماتها اللغة القومية التى

ليست شكلا ولا رمزا ، ولكنها مضمون وطريقة تفكير ومستودع حضارة " (٧) .

وثمة من يرى أن لمشكل التعريب وجهين أولهما: كون لسان أجنبي يحلّ محلّ اللسان الأصلي ، وثانيهما: كون هذا اللسان الأصلي منقطعا عن اللغات بسبب جمود المجتمع (٨) .

إنهما وجهان لعملة واحدة ، ويبدو من السهولة أن يخفي الأول الثاني ، ولكن لا يمكن سر عمق مشكلة التعريب إذا لم نميّز بينهما نظريا على الأقلّ ، فالوجه الأول ظاهرة اجتماعية تنشأ عن القهر والاحتلال الأجنبي بحيث يصبح اللسان الدخيل عنواناً التقدّم والعلم والأناقة ، ويصبح اللسان الأصلي سمة كل ما هو بلدي متخلف ، فترى الموظف يخاطب الزبون بلسان أجنبي ليظهر نفوذه ، والأمّ تخاطب ابنها باللسان نفسه للإعلان عن انتمائها إلى طبقة راقية ، والطالب يقحم الكلمات الأجنبية ليثبت ثقافته العصرية إلى آخر ما هنالك من المظاهر المؤسفة المضحكة التى نلاحظها اليوم فى المغرب العربي وفى بعض الأوساط المشرقية على حدّ تعبير الباحث المغربي عبد الله العروي .

ومن هنا كان للدعوة إلى التعريب في هذا المجال مغزى سياسي واضح ، إنما دعوة إلى الوحدة الوطنية، ومحاولة لإيقاف تيار خطر يقسم المجتمع إلى تقسيم لغوي وثقافي ناقض الذي كان موجوداً أيام الاستعمار بين الجالية الأجنبية والشعب المستعمر يتحوّل إلى تناقض بين النخبة الحاكمة ذات النفوذ الاقتصادي وباقي الطبقات المحرومة، وفي هذا الوضع ما فيه من تبعية اقتصادية وسياسية للمجتمعات المتقدمة .

والوجه الثاني للمشكلة يربطه بالمستوى الحضاري ، إذا أن اللسان القومي يزدهر أو يضمحل بحسب تجدد اللغات الاصطلاحية وتعدد الرموز العلمية . ويشخص العروى مشكلة التعريب حالياً في الوطن العربي من خلال ردّه على التساؤل : ولماذا لا نرضى بما يؤول إليه التطوّر تلقائياً أي الازدواجية اللغوية ؟ لماذا لا نرحب بحالة مثل حالة الهند التي أحرزت درجة لا بأس بها من العلم والتقانة " التكنولوجيا " ؟ هل هناك مصلحة حقيقية في طرح قضية التعريب سوى تعلق عاطفي بالتراث، وسوى مصلحة فئة قليلة من الفقهاء والأدباء والنحاة الذين لا يتقنون شيئاً غير اللسان

القديم ؟

فيقول : " إن الاعتراض يبدو وجيهاً ، ويدفع المرء إلى كثير من التساؤل ، لكن لدى الفحص يتبين أنه مبني على مغالطة ، على افتراض شيء لا وجود له في الواقع ، يكون الاعتراض مقبولا لو كان يتنافس بالفعل مشروع التعريب في الوطن العربي ومشروع مضاد يستهدف تطوراً ثقافياً بلسان متطور غير عربي . في الهند منذ ثلاثين سنة توجد سياسة تثقيفية مبنية على استيعاب اللسان الإنجليزي ونشره ، والكلام عن إحياء اللسان الهندوساتاني يعدّ من قبيل الدعاية السياسية . أما في الوطن العربي فإننا لا نجد سوى الإهمال ، وترك الأمور تتطور كما كتب لها . ليس هناك قرار تعريب جدي ولا قرار مضاد . ولما كان إهمال الأمور يعني في الحقيقة استمرار التخلف والتبعية والأمية ، فكل قرار يستهدف التقدم والتطور يتساوى منطقياً مع قرار التعريب ، فمضمون القرارين واحد هو سياسة قومية تخطط لمستقبل عربي . ولما كان مشكل التعريب قائماً حتى الآن فهذا دليل على أن القرار الوحدوي لم يتخذ فعلاً في الكيان العربي .

ثالثاً : التعريب بين التأييد والمعارضة

والتريث :

أ - المؤيدون :

يرى مؤيدو التعريب أن التدريس باللغة
القومية يهدف إلى تحقيق ما يلي :

١ - تقوية تماسك الوحدة الوطنية، وتنمية
الشعور القومي، وتقوية الروابط الثقافية
بين أبناء الأمة : ذلك أن الحديث عن اللغة
والعمل من أجل بقائها كان ميدانا مسن
الميادين التي صارع فيها العرب أعداءهم ،
فلقد كانت الهجمات الاستعمارية منذ
بداياتها حريصة على أن تصيب هذا
الوجود العربي في نقطة القلب منه : الدين
واللغة .

ولم تكن الحملات التبشيرية التي رافقت أو
مهدت أو جاءت من بعد هذه الهجمات
الاستعمارية إلا تمكينا لذلك على نحو من
الأنحاء . ومن هنا كانت قضية اللغة
والتعريب في كثير من أشكالها ومظاهرها
رداً على الحملات التي استهدفت الوجود
العربي لا في صورته المادية : الأرض ، ولا
في صورته الدولية : الاستقلال، فحسب بل
في وجوده الذاتي بالدرجة الأولى ، أعنى في
أخص خصائصه وفي أبرز عناصر الأصالة

ويكتسي الأمر صفة مشكلة حادة عندما
تحدث ظروف تمنع من اتخاذ القرارات
لتحقيق الإصلاحات اللازمة ومنها انعدام
الحكم القومي ، ولن يتم أى إصلاح في حال
غياب سلطة لها نفوذ على المجموعة القومية .
أما السلطات الخاضعة لمنطق الإقليمية فإنها
لن تجرؤ على تبني الإصلاح ، لأنها تعتمد
الازدواجية سياسة ، تحافظ على اللسان
القديم لتكسب قدراً من الشرعية ، وتفتح
المجال لنشر لسان أجنبي لتحقيق قدراً من
التحديث ، وتترك الحرية للهجات لتضمن
قدراً من الاستقلال الداخلي .

ومن هنا لابد للعرب من أن يفكروا بكيفية
حديثه مع أنفسهم وبلسانهم لا مع غيرهم
فقط وبلسان الغير (٩) .

تلك هي مشكلة التعريب في التعليم العالي
في الوطن العربي : عدم اتخاذ القرار الحاسم
لإعتماد العربية وتبنيها في التدريس
الجامعي، وبقاء الأمور معلقة واستمرار
التخلف والتبعية ، والامية وعدم استنبات
العلم عربياً ، وتسبب لغوي قومي وشعور
بالتصاغر والتكابر ، التصاغر تجاه الثقافة
الأجنبية ، والتكابر تجاه الثقافة القومية
وتراثها الحضاري .

فيه . هل يمكننا أن ننسى حملة التستريك وإبعاد اللغة العربية عن أن تحتل مكانتها في الحياة ؟

إن الأحداث التي ألت بالوطن العربي في مشرقه ومغربيه بعد الحرب الأولى جعلت جناحي هذه الأمة في وضع مماثل : سلطان أجنبي قاهر لا يريد الأرض وحدها ، ولا يريد المواد الأولية وحدها ، ولكنه يريد أن يحول بين هذا الشعب في هذين الجناحين وبين وظيفته الحضارية . يريد أن يردّ هذه الأمة عن أن تعي ذاتها ، وهو يتخذ إلى طمس هذه الذات وتذويبها كل الوسائل منفردة ومجتمعة ، الاستعمار الاستيطاني والاستعمار الفكري والاستعمار اللغوي والاستعمار الديني ... الخ.

وفي الواقع وجدت البلاد العربية نفسها من شواطئ الدار البيضاء إلى شواطئ الخليج أنها هدف لقوى مفترسة ، وأنها تعاني أوضاعا متشابهة ، وأن طريقها لتجاوز هذا الطغيان طريق واحد هو طريق الحفاظ على عناصر الأصالة الذاتية ، وهي ذاتها عناصر الوحدة .

وكان من تقدير الله للشعب العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية وحولها وقبلها

أنه تخلص في كثير من أقطاره من التبعية السياسية الصريحة بشكل أو بآخر ، ولكنه ظل مستهدفا للتبعية الثقافية وظل الحكم الغربي في السطوة الفكرية يملأ قلوب المستعمرين الأوروبيين كما يملأ عقولهم ويوجههم في مجالات اللقاء كافة .

وظلت اللغة العربية مادة تفجير وتفجر: الغرب المستعمر يريد تفجيرها بطرائق لا تحصى من مثل : إحياء اللغات الميته ، وتشجيع انتشار اللهجات المحلية ، ورمي اللغة العربية بكل نقيصة واتهامها بكل صعوبة ، وفرض اللغة الأجنبية ونشر المؤسسات التعليمية والتبشيرية ، ويؤيده في ذلك التقدم الحضاري للدول الغربية وضعف الحكومات العربية واستخذاء بعض عناصرها . وكانت الأمة العربية الإسلامية تحاول أن ترد ذلك في هذه الميادين ، وأن تحيل هذا التفجير الخارجي الذي يريد الإبادة إلى تفجير داخلي في ذات اللغة ينفي عنها ما علق بها من مظاهر الضعف ، ويحاول أن يردها حية على الألسنة والأقلام ، ويريد لها أن تكون كما كانت بالأمس لغة حضارة ، لغة علم ولغة أدب على السواء ، ويصدّ عنها كل ألوان

النقص الذى رمت به والعيوب التى ألصقت بها ، ويحرص على أن تكون عاملاً مزدوجاً ، عامل تحرير فكرى من نحو ، وعامل وحدة سياسية أيضاً من نحو آخر (١٠) .

وها هو ذا التاريخ يعلمنا أنه ما وجدت أمة من الأمم إلا كانت لهل لغتها الخاصة ، وإن فقدناها لهذه اللغة يؤدي بها لا محالة إلى فقدان وعيها وإنيتها وذاتيتها ، لأن المحتل يحرص دائماً على فصل ضحاياه عن ماضيهم بقطع وسيلة الاتصال التى هي صدى أسلافهم والقوة الطبيعية الحية لأمتهم ، إذ أن اللغة المكتوبة هي الأسمت الذى يضمن تماسك الوحدة الوطنية ، وهى العروة الوثقى التى تربط بين الأحياء وتصل بالأموات ويكتسب بها سجل الأمم (١١) .

٢- الجمع بين الأصالة والمعاصرة :

ذلك أن العربية كانت طوال قرون عدة لغة العلم والحضارة فى العالم المتحضر ، لقد عرفها وكتب بها العرب والمسلمون وغير المسلمين حتى إن طائفة كبيرة من هؤلاء العلماء قد ثقفوها ووقفوا على أسرارها

فأحبوها وهجروا لغاتهم ، فجعلوها لغتهم المفضلة وبها عرفوا لأنهم كتبوا بها (١٢) . وإذا ألقينا نظرة على التراث العلمى لأمتنا العربية الإسلامية فإننا نلاحظ غناه وتنوعه فى مختلف الميادين ، فها هو ذا الكندى يعد أول من وضع معجماً للمصطلحات العلمية ، فقد وضع رسالة فى حدود الأشياء ورسومها اشتملت على ثمانية وتسعين مصطلحاً فلسفياً جميعها من أصل عربى ما عدا مصطلحين اثنين فقط هما "فلسفة والاسطقس" .

ووضع العالم العربى الرازى كتابه "الحاوي" ، ويقع فى ثلاثين جزءاً جمعت المعارف الطبية التى توصل إليها العقل البشرى منذ أيام أبقرط ، وظل هذا الكتاب المرجع الطبى الأساسى فى أوروبا مدة تزيد على أربعمئة عام ، كما كتب الرازى فى الكيمياء ، وهو أحد الأوائل الذين جعلوا الكيمياء علماً يمارس على طرائق علمية وعملية وتجريبية .

وكتب "ابن سينا" فى عدة علوم ، وفى مجال الطب وضع قواعد علم الجراحة والتشريح ، ومهد السبيل للاكتشافات

الطبية العظيمة التي حققها علم الطب الحديث ، ووضع كتاب " القانون " في الصيدلة أورد فيه ما يزيد على السبعمئة عقار .

وكان " البيروني " عالما بالفلك وفيلسوفاً ورياضيا وجغرافيا ، وكتابه في الفلك موسوعة تضمنت القوانين الطبيعية ، ووضع كتاب الجواهر الخاص بالأوزان النوعية للمعادن والأحجار الثمينة ، وعالج في كتابه الصيدلة أنواع الأدوية .

ويعدّ " ابن البيطار " من أعظم العبقرية في علم النبات حيث شرح في كتابه " الأدوية المفردة " و " الأقرباذين " حوالي ألف وأربعمئة نبات طبي مع ذكر أسمائها وطرق استعمالها .

ووضع أبو القاسم الزهراوي كتاب " رسالة التصريف لمن عجز عن التأليف " ويُعدّ كتابا مدرسيا للجراحة يشتمل على أشكال وصور لآلات طبية ساعدت على وضع أسس علم الجراحة في أوروبا، إذ كان مرجعا لقرون عديدة .

ويعدّ جابر بن حيان من أوائل الأسماء التي مجدها الغرب ، ترجم كتبه إلى اللاتينية وكتابه " التراكيب " من أوائل الكتب

العربية التي ترجمت إلى اللاتينية ، وظلت كتبه في الكيمياء المرجع الأساسي لأوروبا في القرون الوسطى ، واستمر أثرها حتى القرن الثامن عشر .

كما يعدّ الحسن بن الهيثم من أعظم علماء الطبيعيات ، ويأتى على رأس قائمة علماء البصريّات، وقد ترجم كتابه " المناظير " خمس مرات إلى اللاتينية ، ونقل كثير من علماء أوروبا في البصريّات وعلم الضوء من مؤلفاته .

ووضع " الخوارزمي " كتابين هامين في الرياضيات، حمل الأول منهما حساب الجبر والمقابلة لتصبح كلمة "الجبر" كلمة عالمية ، والكتاب الثاني في علم المحاسبة شرح فيه استخدام نظام الأعداد والأرقام ، كما شرح طرق الجمع والطرح والقسمة وحساب الكسور . وترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية ، واستعاض الأوروبيون بالأرقام الرومانية المعقدة الأرقام العربية البسيطة . والصفر يعدّ من الاكتشافات المهمة التي أشار إليها الخوارزمي ، وعن طريقه استطاعوا بناء الأرقام (١٣) .

تلك هي إشارات عابرة فقط تدل على مساهمات العلماء العرب والمسلمين في

المجالات العلمية تأليفاً وتعريباً ، وما زالت دور الكتب في العالم تزخر بالوثائق والمخطوطات العربية التي تكشف كل يوم عن خباياها، وتضيف جديداً لإسهامات العرب والمسلمين في بناء الحضارة الإنسانية. وعندما يتعرف المدارس ما أسهمت به أمتهم في إغناء الحضارة الإنسانية، وخاصة في الميادين العلمية يدفعه ذلك إلى وصل الحاضر بالماضي والاستمرار في إعلاء صرح تلك الحضارة بحثاً وإنتاجاً وإبداعاً .

وإذا كنا اليوم نروم استنبات العلم عربياً والتعبير عن العلم بالعربية فما ذلك إلا لاستمرار أمتنا العربية، وربط لماضيها المجيد بحاضرها الذي نوده مشرقاً وبناءً وفعّالاً في مسيرة الحضارة البشرية .

٣- تعزيز وشائج الربط بين الجامعة والمجتمع : إذ إن علينا أن نحكم الصلة بين ما نعلمه لأبنائنا وما نعدّهم من أجله ، وأن على القيادات الجامعية أن تجعل من الجامعات ومعاهد التعليم العالي العربي مصانع لتخريج الرجال الذين استتارت بصائرهم وتأصلت شخصياتهم ، وتركزت دعائم انتمائهم إلى أمتهم، ولن يتحقق ذلك

بإبعاد اللغة القومية، وإنه لتناقض عجيب أن نعلم طلابنا شرف لغتنا وكونها دعامة قوميتنا ، ونتحدث لهم عن مزاياها وسعة تراثها، ثم نباعد بينهم وبينها فنعزلها عنهم ونعزلهم عنها، مثبتين لهم عملياً أنها لغة قاصرة وعاجزة ، ولا تصلح للتعليم عندما ندرس باللغات الأجنبية ولا ندرس بها .

٤- توحيد الثقافة والمجهود العلمي والفكري في الوطن العربي: إذ أن عدداً من أعضاء الهيئة التدريسية تخرجوا في جامعات فرنسية أو ألمانية أو روسية أو غيرها ، فهل يترك لكل طائفة لغة تختص بها فلا يكون بين علماء الأمة الواحدة جامعة تضم أفكارهم وتجمع إنتاجهم ، إننا إن لم ندرس بالعربية نبذل جهود علمائنا فلا يفيد بعضهم من بعض ، ولا يطلع بعضهم على ما يؤلف بعضهم الآخر إلا إذا كانت بينهم لغة مشتركة واحدة، يصبون أفكارهم في قوالبها، ويصوغون علومهم بها. ومن هنا كانت الدعوة إلى التدريس بالعربية دعوة إلى توحيد الثقافة وتركيز الجهود العلمي والفكري في الوطن العربي.

٥- مساعدة الدارسين على الفهم والاستيعاب : ذلك أن التدريس باللغة

العربية يسهل كثيراً التحصيل العلمي والاكتساب التربوي ما دام باللغة الأم ، ويجعل من عملية التدريس عملية ممتعة للطلاب والمدرس، فيشارك الطلاب أستاذهم بفهم المسموع وسرعة التدوين ، مما يوفر الكثير من الوقت للطرفين ، إضافة إلى أن الطالب لا يتهيب المادة كما هي عليه الحال باللغة الإنجليزية ، إذ أن من مقاييس التهييب للطلاب قدرته الذهنية واستعداده النفسي في فهم المادة في حد ذاتها . وقد أثبتت بعض الأبحاث أن اللغة العربية تساعد الدارس على الفهم والاستيعاب بصورة أفضل. والدعوة إلى استخدام اللغة القومية في التدريس الجامعي ليست بدعا في العالم ، ولا هي أمر عجيب بل العكس فيها هو الأمر العجيب ، إذ ليست هناك دولة في العالم إلا اتخذت من لغتها القومية لغة للتعليم العالي في جامعاتها ، بل حتى في جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً تدرس كل جمهورية بلغتها المحلية في جامعاتها حرصاً منها على أن يطلع كل مواطن مثقف على ميادين العلم والمعرفة باللغة التي يتقنها ، وكان قادة الاتحاد السوفيتي سابقاً قادرين على فرض اللغة الروسية الواحدة

في جميع الجمهوريات ، ولكنهم أدركوا الألفة بين اللغة التي يتقنها الطالب والعلوم التي يجب عليه الإلمام بها ، كما أدركوا الضرر الذي سيعود على العلم والثقافة لو أبعدوا اللغات المحلية عن التعليم العالي .

٦- تحقيق ديمقراطية التعليم ، إذ ما معنى ديمقراطية التعليم إذا لم يكن هذا التعليم باللغة التي يفهمها معظم أبناء الأمة، إن ديمقراطية التعليم ما لم يكن باللغة القومية شعار لا مضمون له، وصورة لا واقع لها ، وديمقراطية التعليم وكونه باللغة القومية طرفان متلازمان لا بد أن يؤدي أحدهما بالاحتمية إلى الآخر ، وما إصرار بعض الجامعيين على استخدام لغة لا يتقنها غيرهم إلا تعبير عن شعور بالتمييز والطبقية، وترفع عن المجتمعات التي أنشئت مؤسساتهم لخدمتها .

٧- استمرارية تعليم اللغات الأجنبية : إن الداعين إلى التدريس باللغة القومية يدعون في الوقت نفسه إلى الاستمرارية في تعليم اللغات الأجنبية ، ذلك لأن إتقان لغة أجنبية واجب لا بد منه لمتابعة التقدم العلمي، ولكن شتان ما بين إتقان اللغة الأجنبية وبين استخدامها بديلاً عن اللغة

القومية . إن في إتقان اللغة الأجنبية دعمًا للثقافة ورمزًا لها في كل ميدان من ميادين العلم ، وأما استخدامها بديلاً فنعزل للغة القومية وواد لها .

٨-الإفادة من تجارب المجتمعات الأخرى: أدراك فلاسفة الغرب ومفكروه وساسته أهمية اللغة في البنيان القومي ، فهذا هو ذا "هردر" الألماني يقول : " إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، وقلب الشعب ينبض في لغته ، وروحه يكمن في لغة الآباء والأجداد " (١٤) .

وعندما سئل "بسمارك" عن أفضع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر أجاب: إن المستعمرات الألمانية في شمال أمريكا اتخذت اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها "، وهو يعني أنه كان في شمال أمريكا جاليات ألمانية كبيرة ، وعند حصول هذه المستعمرات على استقلالها اتخذت اللغة الألمانية بدلاً من الإنجليزية كي يضمن ولاءها لألمانيا ، وأثبت التاريخ صدق نظرة بسمارك ، ففي الحربين العالميتين الأولى والثانية كان ولاء الولايات المتحدة الأمريكية لإنجلترا، على الرغم من كل

خلاف بين أمريكا وإنجلترا ، ومن مصادر هذا الولاء اللغة المشتركة التي تجمع بين الأمتين ، إذ أن لوحدة اللغة أبلغ الأثر في تقريب الاتجاه الثقافي (١٥) .

واعتمدت الثورة الفرنسية اللغة الرسمية الفصحى انطلاقاً من أنه لا حرية حقيقية من رواسب الإقطاع، ولا كيان للشخصية الفرنسية إلا بتمثل اللغة القومية ومعرفتها . والقائد الفيتنامي "هوشي مينة" يرى أنه لا انتصار على العدو إلا بالعودة إلى اللغة والثقافة القومية (١٦) .

وهاهي ذي إسرائيل تقيم كيانها على إحياء اللغة العبرية ، إذ كانت لأغلبية المهاجرين اليهود إلى أرض فلسطين لغة في ألمانيا والنمسا وروسيا وبولونيا وأوروبا الشرقية عامة ، وكانت لهذه اللغة آدابها ، ولكنهم تركوها وآدابها ليحيوا لغة أخرى ماتت عملياً منذ ألفي سنة، ألا وهي العبرية ، وشتان بين اللغتين: العبرية والعربية في مسيرة الحضارة الإنسانية (١٧) .

وهاهي ذي فنلنده تدرس الطب باللغة الفنلندية ، على حين ندرسه في أغلب جامعاتنا بالإنجليزية، وأين الفنلندية من العربية ؟ وهل لها الرصيد الثقافي

والحضاري العربي العريق ؟ وهل لها منا
للعربية من تراث طبي مجيد ؟ نحن الذين
علموا الطليان الطب في عصر النهضة وهذا
هم أولاء يدرسون الطب بلغتهم الطليانية،
وأساتذتهم العرب يدرسونه بلغة
أجنبية. (١٨)

ب - المعارضون :

يتجه المعارضون على التعريب إلى تقديم
الحجج التالية :

١- إن لغة العلم في عصرنا الحالي إنما هي
اللغة الإنجليزية ، و (٩٨%) من المراجع
والمصادر العلمية هي باللغة الإنجليزية ، وإذا
لم نعلم الطلبة هذه اللغة فكأننا نمنعهم من
الاطلاع على هذه المصادر و المراجع
ونغلق عليهم نافذة العلم ، ونحول دون أن
ينمو تحصيلهم لدرجات عليا في الجامعات
الخارجية لو أرادوا ذلك ، فضلا عن أن
استعمال اللغة الإنجليزية في تدريس العلوم
يعدّ أسرع وسيلة للسيطرة على هذه اللغة.
(١٩) .

٢- ضالة توافر الكتب و المراجع باللغة
العربية وركاكة الأسلوب وسوء الإخراج.
٣- قلة الأساتذة المعدين للتدريس بالعربية .

٤- غرابة بعض المصطلحات العربية التي
أصدرتها بعض الجامعات اللغوية ، ووفرقتها،
واستعمال أكثر من مصطلح تبعا لما يصدر
عن كل مجمع لغوي أو جامعة أو مركز
بحث ، وصعوبة فهم بعض المصطلحات
العربية وشيوع المصطلحات الأجنبية التي
أصبح بعضها متداولاً حتى بين عامة الناس.
(٢٠) .

ويروى آخرون أن في كل علم عددا كبيرا
من المصطلحات ، وأن أكثر هذه
المصطلحات لم يترجم إلى العربية حتى الآن
وقد لا يكون له مقابل في اللغة العربية .

٥- النظر إلى التعريب على أنه شعار بلا
مضمون .

٦- وجود مشكلة الرموز العلمية والأحرف
والأرقام .

٧- وجود مشكلة النشر و التوزيع .

وفي دراسة ميدانية قام بها الدكتور سيد
حامد حريز في جامعة الخرطوم عام
١٩٨٣ وجد أن نسبة عالية من أساتذة
جامعة الخرطوم لا ترى ضرورة للتعريب،
وأن اللغة العربية الفصيحة بنحوها وصرفها
قد اكتسبت صورة منفرة في أذهان الصفوة
من المتعلمين السودانيين لا سيما الذين نالوا

تعلّما أوربيا ، وأن عددا كبيرا من أساتذة جامعة الخرطوم تجيد اللغة الإنجليزية ، وتعترف بعدم إجادة اللغة العربية ، وأنهم يذكرون بشئ من الحسرة أن تعريب المناهج في المراحل الثانوية صحبه انخفاض في مستوى اللغة الإنجليزية ، وأن الكتب والمراجع باللغة العربية غير متوفرة (٢١) .

ج- الرد على المعارضين

الحجة الأولى : أن التعليم باللغة العربية يحرم الطالب المتخرج من متابعة الركب العلمى المتطور بسرعة .

الرد :

إن علاج ذلك سهل وميسور ويتجلى في تقوية اللغة الأجنبية، بحيث يتقنها الطالب أو يُلم بها إلماما كافيا يسمح له بالمتابعة فيما بعد ، و الدليل أن طلاب كلية الطب بجامعة دمشق الذين يدرسون الطب بالعربية عندما يتقدمون إلى الفحص الأمريكى اللغوى الطى ، تفضل نتائج امتحاناتهم في مرات كثيرة نتائج زملائهم الذين درسوا الطب باللغة الإنجليزية ، ولم يحل تعلمهم الطب بلغتهم العربية من اجتياز امتحانات اللغة الطبية الإنجليزية بنجاح .

الحجة الثانية : أن فى كل علم عددا كبيرا من المصطلحات لم يترجم إلى العربية حتى الآن ، وقد لا يكون له مقابل فى لغتنا بسبب عجز اللغة العربية .

الرد :

إن استخدام اللغة العربية فى التعليم أمر واستعمال المصطلحات أمر آخر ، إننا ندعو إلى أن نكتب العلم بالعربية ونلقى دروسنا بالعربية ، وتبقى المصطلحات العلمية بأسمائها الأجنبية إلى أن تُعرب أو تُحلّ مشكلتها ، ليكتب المؤلفون المحاضرون الفيتامين و الهرمون و الكولسترول ، وكل مصطلحات العلوم غير المعربة بأسمائها الأجنبية ، ولكن ليتكلموا عنها وليتحدثوا باللغة العربية ، إننا نطالب باستعمال اللغة القومية، لأن اللغة كيان فكرى ونفسى رائع ، وأما المصطلحات فألفاظ وقوالب لفظية تدل على معان معينة (٢٢) .

ثم كيف نوفق بين ادعاء عجز اللغة العربية عن استيعاب المصطلحات الطبية كما يدعى بعضهم وبين واقع الأمر وحقيقته وهو شمول اللغة العربية لكل مصطلحات الطب وغيره، كما ينطق به الواقع السوري

في كلية طب دمشق، والتي كانت من أوائل الجامعات التي بدأت في التعريب ، وكان لها الفضل في نشر التعريب الطبي وغيره، حيث سادت لغة الضاد في مدرجات هذه الجامعة تدريسا و امتحانا ؟ (٢٣) .

الحجة الثالثة : قلة المراجع و الكتب .

الرد :

إن هناك عددا من الجامعات في الوطن العربي تدرس الطب و الهندسة والعلوم وغيرها باللغة العربية ، وفي هذه الجامعات كتب و مراجع في مجالات الاختصاص ، كما أن هناك العديد من المعاجم والمصطلحات التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، كما أن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر التابع للمنظمة أيضا يصدر كتباً مترجمة في المجالات العلمية .

الحجة الرابعة : التعريب شعار بلا مضمون .

الرد : ليس التعريب شعاراً بلا مضمون ، ولكنه ضرورة قومية وحضارية لا بد منها، وهو موقف نفسي أولاً يدعو إلى التميّز الإنساني وتقوية الانتماء إلى هذه

الأمة ، وها هو ذا المسؤول عن التعليم الطبي في منظمة الصحة العالمية يستنكر ظاهرة في التعليم الجامعي في البلاد العربية، ولا يستطيع أن يستسيغ هذه الظاهرة ، وهي أنه ليس فيها إلا جامعة واحدة تدرس الطب بالعربية ، وهو يرى أن التعليم بغير العربية ظاهرة تخلف ليس لها مبرر ، وتتناقى مع مقررات منظمة الصحة العالمية الداعية إلى التعليم الطبي باللغة القومية. (٢٤)

الحجة الخامسة : اللغة الإنجليزية هي لغة العلم ولابد من تعليم الطب بها .

الرد :

ليست اللغة الإنجليزية وحدها لغة العلم ، فهناك الفرنسية والروسية والألمانية واليابانية والإسبانية والصينية ... والبلدان الأوربية وغيرها تعلم طلبتها بلغاتها . وليس هناك شكوى من أن هؤلاء الطلاب ممنوعون من الاطلاع على المرجع ، وأن نافذة العلم قد أغلقت دونهم ، ويؤيد ذلك الأبحاث والمخترعات والمكتشفات التي ينتجها أبناء هذه الشعوب .

د- الداعون إلى التريث :

ثمة من يدعو إلى عدم الإسراع في التعريب، وأن التعريب يستلزم مدى زنيا ولا يمكن

أن يتم إلا بعد توفير مستلزماته ، ونظراً لأن هذه المستلزمات غير متوافرة بصورة وافية كان التريث في التعريب أمراً تقتضيه الظروف الراهنة ، إذ أن المراجع بين أيدي الطلبة غير متوافرة ، كما أن الأساتذة المعدين إعداداً جيداً للتدريس بالعربية غير متوافرين على النحو المنشود ، إضافة إلى تأهيلهم إنما هو بالإنجليزية في الأعم والأغلب ، يضاف إلى ذلك أن هناك معوقات فنية ومادية تستلزم التريث ، ومن هذه المعوقات (٢٥) :

- قلة الإمكانيات الفنية وضعفها " رسم ، طباعة ، تصوير ... " .

- قلة القواميس والمعاجم المتخصصة في مختلف المجالات .

- عدم وجود مصطلحات علمية متفق عليها .

- ضعف بعض أعضاء الهيئة التدريسية باللغة العربية مما يعوقهم في عملية الترجمة والتعريب .

- إقبال التدريسيين بأعباء تدريسية وإدارية كثيرة تستنفد طاقتهم ، وتحد من تفرغهم للتعريب .

- عدم توفر المكان والجو الملائم داخل الجامعة للقيام بعملية التعريب .

- العجز في الأطر التدريسية وارتفاع نسبة الطلبة إلى المدرسين .

- عدم اطلاع التدريسيين على ما يجري في الأقطار العربية في مجال التعريب .

- فقدان خطة عربية قومية موحدة للتعريب والترجمة .

- ضعف الإقبال على العمل الجماعي المنظم في عملية التعريب .

- عقدة الخوف من الجهول حيث يظن الظانون أن التعليم بالعربية سيؤدي إلى مستوى التعليم والبحث .

لهذه الأسباب مجتمعة يرى نفر من الأساتذة أن التريث في التعريب أمر تحكمه الظروف الموضوعية ، وأن الإقدام عليه دون تهيئة مستلزماته قد يكون له آثار سلبية وانعكاسات خطيرة على عملية التعريب نفسها .

رابعاً : مستلزمات التعريب :

تجدر الإشارة إلى أن الأهداف المرسومة للتعريب يستلزم تحقيقها أمور متعددة منها :

١ - القرار السياسي الملزم لاعتماد التعريب منهاجاً في الحياة ، وأن التسوييف الذي سبق الإشارة إليه لا يمكن أن يحسمه إلا قرار سياسي تمده جذوة من الحماسة

والإيمان ، وعندها فقط تذلل الصعوبات ولنتخذ من تجارب الآخرين معلما نستهدي به في مسيرتنا ، فها هي ذى جامعة الفيتناميين تستعمل اللغة الفيتنامية في تدريس العلوم كافة ، وعندما أصدر "هوشى مينة " أمره بالفتنة الشاملة ، على الرغم من أن الفرنسية للمجتمع الفيتنامي دامت أكثر من ثمانين سنة ، طلب أساتذة كلية الطب في هانوي مقابلته ليخبروه بأن فتنة الدراسات الطبية عملية مستحيلة، بسبب جهل أساتذة كلية الطب وطلبتها للغة الفيتنامية ، وطلبوا إليه العدول عن قراره أو إهمال تطبيق الفتنة على كلية الطب ، و استمع القائد الفيتنامي لهم ساعات ، ثم حسم المقابلة قائلا لهم: "يسمح لكم بالتدريس باللغة الفرنسية بصورة استثنائية هذه السنة فقط ، مع ضرورة تعلمكم وطلبكم اللغة الفيتنامية الوطنية خلال أشهر الدراسة التسعة ، على أن تجرى الامتحانات فى سائر المستويات فى نهاية السنة باللغة الفيتنامية ، ثم تستأنف الدراسة فى السنة المقبلة باللغة الفيتنامية" (٢٦)

٢- إلى جانب القرار السياسى الملزم بالتعريب لابد من توافر فئة من المدرسين تؤمن بالتعريب ، و تدعو إليه ، و تدافع عنه ، و ترتب تنفيذ ذلك، لأن المدرس هو أساس عملية التعريب ، ولا بد من توافر القناعة لديه بالتعريب ، و أن يكون مستعدا نفسيا له ، و ذا عزيمة لتذليل العقبات .

٣- الإفادة من تجارب التعريب فى بعض جامعات الوطن العربى " فى سورية ، والأردن ، ومصر "

٤- انتداب أساتذة من الجامعات التى تنفذ التعريب، وذلك للتدريس بالعربية وإلقاء محاضراتها لفترات كافية ، على أن يفيد الأساتذة المحليون من تجاربهم .

٥- تشجيع الأساتذة على مطالعة كتب التراث ذات العلاقة بتخصصاتهم، لمدهم بمصطلحات علمية ومفردات تعينهم فى إغناء فى مجالات تخصصهم (٢٧)

٦- تشجيع الأساتذة على الكتابة وإلقاء الدروس والمحاضرات والمشاركة فى الندوات باللغة العربية الفصيحة .

٧- تنظيم برنامج تبادل الزيارات بين مدرسي المادة الواحدة في الجامعات العربية.

٨- تنظيم دورات تدريبية مستمرة لتأهيل أعضاء هيئة التدريس في أثناء خدمتهم.

٩- الطلب إلى الموفدين العائدين ترجمة رسائلهم إلى العربية، واعتبار ذلك شرطاً لتعيينهم في عضوية الهيئة التدريسية، كما هي عليه الحال في جامعة دمشق.

١٠- العمل على تخفيف الأعباء التدريسية والإدارية عن أعضاء الهيئة التدريسية، وتوجيه جزء من نشاطهم إلى التعريب الذي سيؤدي بدوره إلى رفع مستواهم العلمي بصورة غير مباشرة.

١١- عدم الاقتصار في عملية التعريب على الكتب الدراسية المقررة في الجامعات على أنها أمهات الكتب، بل أن تشمل أيضاً أمهات المجلات العلمية العالمية، ليكون الطالب على اتصال دائم بتقدم العلوم وتطورها على النحو الذي يفعله الإنجليز والألمان والفرنسيون والروس... إلخ وإعطاء مستخلصات لآخر ما صدر عن الأمم الأخرى من بحوث.

١٢- الاستمرار في تحقيق التراث العلمي العربي وكشف النقاب عن المخطوطات العلمية العربية، إن في داخل الوطن العربي أو في خارجه كالمتحف البريطاني بلندن، والمكتبة الأهلية بباريس والأسيكوريال في إسبانيا... إلخ.

١٣- تشجيع العناية بالترجمة الفورية التي تحتاج إلى تدريب ومران وسرعة خاطر، وإطلاع على مادة الاختصاص مع رصيد كبير في اللغتين العربية والأجنبية (٢٧).

١٤- دعم المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، وتخصيص الإمكانيات المادية الملائمة لمشروعاته وتخصيص جوائز للترجمة.

١٥- تشجيع كتابة البحوث بالعربية.

١٦- إصدار مجلات علمية متخصصة على مستوى عالمي تنشر بالعربية.

١٧- إصدار كتب علمية مبسطة للمستويات المختلفة بالعربية.

١٨- إصدار مجلات علمية مبسطة للمستويات المختلفة بالعربية.

١٩- الإطلاع على تجارب نقل العلوم إلى اللغات القومية في مجتمعات لا تملك لغة مرنة وواسعة، كالعربية واليابانية والكورية.

٢٠- الاهتمام بالدراسات العليا في الوطن العربي وتطويرها .

٢١- العناية باللغة العربية في مراحل التعليم العام قبل الجامعي، واستعمال اللغة العربية السليمة في مرافق المجتمع، ووسائل الإعلام كافة . الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ينبغي له أن يتم بصورة متوازنة مع تنفيذ التعريب .

٢٢- إنشاء وحدة معلومات تختص بالدراسات العليا والبحث العلمي في الوطن العربي ، تتصل بشبكة الوحدات الفرعية الماثلة في الجامعات ومراكز البحوث التربوية .

٢٣- توحيد المصطلحات في الجامعة الواحدة وبين الجامعات ومراكز البحث في الوطن العربي .

٢٤- توفير الاعتمادات المالية لتأمين المراجع والمعاجم غير المتوافرة باللغة العربية .

٢٥- وجوب التكامل بين سياسات التعريب على نطاق الوطن العربي، حرصاً على الجهود المبذولة توحيداً للرؤية الفكرية.

خامساً - الخلاصة :

من يُلَق نظرة على واقع خريطة التعريب في الوطن العربي يجد أن ثمة جهوداً بذلت

بعضها فردي وبعضها جماعي ، بعضها قامت به مؤسسات خاصة وبعضها الآخر قامت به مؤسسات حكومية ، منها ما قامت به مجامع لغوية ، ومنها ما قامت به الجامعات ، ومن هذه الجهود ما تم في الوطن العربي ، وجهود قامت بها هيئات أجنبية .

إن تنوع هذه الجهود يرسم أمام الإنسان بصورة عفوية خريطة زاهرة الخطوط ، ولكنها خطوط متداخلة ومتشابكة تمثل تكامل الجهود وتقاطعها ، تواصلها وانقطاعها ، إقليميتها وقوميتها ، مشكلاتها الجزئية ومشكلاتها الكلية ، اتساعها وضيقها ، حذرنا واندفاعها حتى ليتعذر أن تمثدي إلى الوحدة بينها (٢٩) .

تلك هي الصورة التي رسمها أستاذنا المرحوم الدكتور شكري فيصل لعملية التعريب في الثمانينيات وما تزال هي هي ، ولنستمع إليه يقول : " كنا نتحدث عن التعريب ، عن إقراره أو إنكاره ، عن قبوله أو رفضه ، ولكن الجهد الأقل كان منصباً على التعريب ذاته ، وكنا نتحدث عن قدرة العربية وعبقريتها دون أن نستثمر على مقياس واسع هذه القدرة وهذه

العبقريّة ، وإنّ الذي نلاحظه في الحياة السياسية من التنوع الذي يقترّب من التخالّف ، والتكثر الذي يقترّب من التكرار هو الذي نلاحظه في هذا اللون من العمل الثقافي العربي .

لقد كانت المؤتمرات والندوات في كلّ قطر تبدأ عملها من الصفر ، ولكنها غالباً لا تتابع بعد ذلك من حيث انتهى المؤتمر السابق .

وكان من النتائج المنطقية لهذا التنوع والتكثر أن تبدو الجهود مشتتة ، وأن تكون نتائجها من الضالة بحيث لا يمكن أن تكون متكافئة أو موازية لما أعد لها وبُذِل من أجلها ، وقاد هذا التشتت إلى نوع من الجهالة حتى أضحى طبيعياً أن يجهل بلد ما كان في بلد آخر ، وألا تعرف جامعة ما يكون قد نُفِذ في جامعة أخرى .

إننا في حاجة إلى أمرين :

أحدهما : منهجية واضحة في العمل تجمع كلّ ما كان أولاً ، وتفيد منه ، وتضعه في مكانة من البناء الداخلي ليكون مشاركة في هذا البناء .

وثانيهما : برنامج زمني يُراعى التزامه والتقيّد به ، حتى لا تبقى حكاية تعريب

التعليم الجامعي حكاية طويلة من غير حدود .

وها هي ذي تجربة الجامعات السورية تبقى الرد العلمي الموضوعي على كلّ حملات التشكيك ، إنها تجربة جدية بكل تدبير ، جدية بدراسة إيجابياتها ، وتعرف سلبياتها تعزيزاً للإيجابيات وتلافيّاً للسلبيات في انطلاقتنا الجديدة (٣٠) .

وها هي ذي الأمم صغيرها وكبيرها من حولنا في العالم تحافظ على هويتها القومية ، إذ تحت عنوان " إندونيسيا حريصة على لغتها " نقلت الأنباء أن الرئيس الإندونيسي " سوهارتو " ناشد شعبه يوم الخميس في الثالث عشر من جمادى الأولى عام ١٤١٤ هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٩٩٣ م بعدم الخلط بين اللغة الأم واللغات الأجنبية الأخرى في إطار التخاطب والتواصل اللغوي اليومي ، ونقلست رويستر عمن سوهارتو قوله في خطاب له بمناسبة يوم الشبيبة الإندونيسية: إن الكثير من العبارات والكلمات الأجنبية أصبح يشكل تهديداً للغة الباهاما ، وهي اللغة الأصلية والرسمية للبلاد ، مشيراً إلى أن ذلك يشكل تهديداً للهوية الوطنية للشعب الإندونيسي ،

وأضاف: إن التقدم في العلوم والتقانة
"التكنولوجيا" يتطلب من الإندونيسيين
إتقان لغات أجنبية، ولكن ذلك يجب ألا
يتم على حساب اللغة الإندونيسية الأم .
وحرى بنا أن نعرف قدر أمتنا ومكانتها في
مسيرة الحضارة الإنسانية ، فها هسى ذى
"زيغريد هونكة" تقول في كتابها النفيس
"شمس الله تسطع على الغرب" : " دبّ في
الطب الغربي فجأة في القرن السادس عشر
شعور غريب بالخجل من تقليده للطب
العربي ، وبقي قروناً طويلة مسن الزمن
نسخة منسوخة عنه ، وكانت معظم
المخطوطات الأوروبية الطبية في أول عصر
الترجمة وحتى القرن السابع عشر تقليداً
للعرب ونقلاً منهم ، وقبل ٦٠٠ عام كان
لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم
لا تحتوى إلا على مؤلف واحد ، وهذا

المؤلف كان لعربي هو أبو بكر محمد بن
زكريا الرازى " (٣١)

ولنستمع إلى قول شاعر إيطاليا الكبير
"بيترارك" في القرن الرابع عشر الميلادى
يُندد فيها ببني قومه ، ويستنهض همسهم
ويبث في أنفسهم العزيمة والثقة قائلاً :
"ماذا ؟ لقد استطاع شيشرون أن يكسب
خطيباً بعد ديموستن ، واستطاع فيرجيل أن
يكون شاعراً بعد هوميروس ، وبعد العرب
لا يسمح لأحد بالكتابة ، لقد جارينا
اليونان غالباً وتجاوزناهم أحياناً ، وبذلك
حارينا وتجاوزنا غالبية الأمم ، وتقولسون :
إننا لا نستطيع الوصول إلى شأ العرب ،
يا للجنون ويا للخُبال ، بل بالعبرة إيطاليا
الغافية أو المنطفئة " ! (٣٢) .

محمود أحمد السيد

عضو الجمع المراسل من سورية

هوامش البحث

- ١- معجم لسان العرب لابن منظور ،
الجزء الرابع ، دار المعارف ، ص ٢٨٦٥ .
- ٢- الدكتور محي الدين صابر ، قضايا
الثقافة العربية المعاصرة ، الدار العربية
للكتاب ، تونس ١٩٨٢ ، ص ٨٧ .
- ٣- المرجع السابق .
- ٤- المرجع السابق ، ص ٨٨
- ٥- الدكتور كمال يوسف الحاج ، في
فلسفة اللغة ، دار النهار ، بيروت ،
١٩٦٧ ، ص ٣١١ .
- ٦- المرجع السابق ، ص ٦ .
- ٧- الدكتور محي الدين صابر ، دور
التعليم العالي في تنمية الذاتية الثقافية ، المجلة
العربية للتربية ، المجلد الثاني ، العدد الثاني
سبتمبر ١٩٨٢ ، ص ٥٢
- ٨- عبد الله العروي ، ثقافتنا في ضوء
التاريخ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،
الطبعة الثانية ١٩٨٨ ، ص ٢١٤ .
- ٩- المرجع السابق ، ص ٢٨ .
- ١٠- الدكتور شكري فيصل ، المؤتمرات
والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات
العربية حول تعريب التعليم الجامعي في
مجالات المصطلح العلمي والترجمة
والتأليف: " عرض ودراسة " ، ١٩٨٢ .
- ١١- مولود قاسم نايت بلقاسم ، إنية
وأصالة مطبعة البعث بالجزائر ، وزارة
التعليم الأهلي والشئون الدينية ، ١٩٧٥ ،
ص ٦٨ .
- ١٢- الدكتور إبراهيم السامرائي ، في
التعريب بين ماضيه وحاضره ، مجلة الجمع
العلمي العراقي ، مج ٢٩ عام ١٩٧٨ ،
ص ٩٤ .
- ١٣- قاسم عثمان نور ، التعريب في
الوطن العربي ، جامعة الخرطوم ، ١٩٨٨ ،
ص ١٣ و ١٤ .
- ١٤- أبو خلدون ساطع الحصري ، ما
هي القومية ؟ ، بيروت ، دار العلم
للملايين ط ٢ ، ١٩٦٣ ، ص ٤ .
- ١٥- الدكتور محمود أحمد السيد ،
شؤون لغوية ، دار الفكر بدمشق ، ودار
الفكر المعاصر لبنان ، ١٩٨٩ ، الطبعة
الأولى ص ٩ .
- ١٦- مولود قاسم نايت بلقاسم ، إنية
وأصالة ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .
- ١٧- المرجع السابق ، ص ٧٤ .
- ١٨- الدكتور صفاء خلوصي ، تعريب
الجامعات ، إحياء لكيان أكاديمي

عربي أصيل، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٢، ص ٤.

١٩- الدكتور عبد المجيد نصر، تعريب التعليم الجامعي " العلوم الطبيعية " أفكار ومقترحات ، جامعة اليرموك ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٨٢ ، ص ٤.

٢٠- المرجع السابق ، ص ٥ .

٢١- الدكتور سيد حامد حريز ، تعريب التعليم الجامعي في السودان، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، العدد الأول المجلد الثاني ١٩٨٣ ، ص ٣٧ .

٢٢-الدكتور مدني الخيمي ، التعليم العالي بالعربية في لبنان ، مؤتمر التعريب بدمشق ١٩٨٢ ، ص ٤ .

٢٣-الدكتور أحمد محمد الحصري ، مسؤولية عضو هيئة التدريس والناشر عن جمود التعريب في الوطن العربي ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٨٢ ، ص ١٠ .

٢٤-الدكتور مدني الخيمي ، التعليم العالي بالعربية في لبنان ، مرجع سابق ، ص ٥ .

٢٥-الدكتور حسين محمد رزق والدكتور حاتم عبيد جعفر ، معوقات تعريب التعليم العالي من وجهة نظر تدريسي الجامعة

التكنولوجية في العراق ، مؤتمر التعريب في دمشق ، عام ١٩٨٢ .

٢٦-عثمان السعدي ، العبرنة الشاملة والتحكم بالتكنولوجيا المعاصرة في الكيان الإسرائيلي وجامعة الكويت ، كلية التربية قسم أصول التربية ، ص ٦ .

٢٧-الدكتور سلطان الشاوي ، تعريب التعليم العالي وسياسة الالتحاق به ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٨٤ ، ص ٩٧ .

٢٨-الدكتور صفاء خلوصي ، تعريب الجامعات إحياء الكيان الأكاديمي عربي أصيل ، مرجع سابق ، ص ٥ .

٢٩-الدكتور شكري فيصل ، المؤتمرات والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعي في مجالات المصطلح العلمي والترجمة والتأليف، مرجع سابق ، ص ٥٠ .

٣٠-المرجع السابق .

٣١-نقلا عن الدكتور محمود أحمد السيد، شؤون ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

٣٢-المرجع السابق ، ص ٤٦ .

تأبين :

- المرحوم الأستاذ محمد شوقي أمين عضو المجمع
- المرحوم الأستاذ الدكتور حامد جومر عضو المجمع

كلمة المجمع في تأبين عضو المجمع الراحل الأستاذ محمد شوقي أمين
للأستاذ إبراهيم الترزي

أستاذي الجليل رئيس المجمع :

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته،

وبعد

فإن لكل شيء معايير يتفاضل بها أفرادُه.

وكذلك الإنسان؛ يتفاضل أفرادُه فيما

بينهم بمعايير عديدة، يأخذُ بها الناسُ على

مختلف نزعاتهم، فقد يكونُ المالُ لدى

بعضِ الناسِ هو المِيارُ المختارَ لبيانِ شأنِ

الإنسانِ وقيمتِه، وقد يكونُ المِيارُ هو

العلمُ، أو العملُ، أو قوةُ السلطان.. وغيرِ

ذلك من المعايير التي تُتبعُ من ضميرِ

المجتمعاتِ والشعوبِ، بما يسودُها من مثلِ

وَقِيمٍ، وعاداتٍ ومعتقداتٍ.

ولكن الناس إذا كانوا يتفاضلون

بهذه المعايير _ فإن هذه المعايير تتفاضلُ

هي كذلك فيما بينها بمِيارٍ آخرِ ينتظمُها

جميعاً؛ لِتُدَوَّرَ في فَلَكِه، ذلك هو مِيارُ

الأخلاقِ، ولهذا عَدَّ الفلاسفةُ الأخلاقَ

من أهمِّ العلومِ المِياريةِ للإنسانِ.

فالمعاييرُ الإنسانيةُ كُلُّها لا تنهضُ

وحدها _ دونِ مِيارِ الأخلاقِ _ لبيانِ

شأنِ الإنسانِ وقيمتِه.

وفي القمة من مِيارِ الأخلاقِ نرى

خُلُقَ الإيثارِ، وقد شَرَّفَهُ اللهُ تعالى بالثناءِ

على أهلِه في قوله الكريم :

" وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌ "

والحكمةُ البالغةُ تقول :

" ما استحقَّ أن يُولَدَ مَنْ عاشَ لنفسِه

فقط "

وعروة بن الورد _ على الرغم من

جاهليته وصعلكيته _ خَلَدَ مِنْ شَعْرِهِ

هذا البيت المأثورُ، حيث يقول :

أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ

وَأَحْسُو قَرَّاحَ الْمَاءِ، وَالْمَاءُ بَارِدُ

هكذا كان محمد شوقي أمين، وبهذا

ولهذا عاشَ حياته كُلُّها، أو عاشَ حياةَ

الناسِ، بالتعبيرِ الصحيحِ الدقيق !

وإذا كان على كلِّ باحثٍ

يَتَصَدَّى لدراسة الأفذاذ من أعلام الأدب
والعلم والفن أن يبحثَ عن مفتاحٍ
للشخصية التي يَدْرُسُهَا، حتى يَتَسَنَّى له
الدخول إلى عالمِها الحافلِ بجلائلِ
الأعمال _ فإنني حين أَمَعْتُ في النظر
إلى شخصية محمد شوقي أمين، بأعوامِ
عمره الثمانين، وجدتُ مفتاحَ شخصيتهِ
الجليلةِ النبيلةِ مُتمثلاً في " الإيثار "، وقد
تَطَوَّرَ "الإيثارُ" لديه حتى صار طبعاً
وسليقة، ثم تصاعَدَ حتى صار " إنكاراً
للذات " !

وكم كنتُ حين أراه غارقاً في
طوفان من شواغله بالآخرين، أصبح به
في احتجاجٍ ودُود : أين أنت يا
رجل ؟!

فكان يُجِيبُنِي مازحاً على طريقة اللغويين
والنحاة :

" أَيْ هَكَذَا خُلِقْتُ ! "

وكان يُضِيفُ أحياناً بعد أن يُجَلِّجِلَ
بضحكته المعهودة :

هذا قَدَرِي يا إبراهيم، وإني والله لَراضٍ
به، بل سعيد !

ولقد صدَّقَ اللهُ فيما قال .. فشوقي
أمين قد تَخَلَّى عن شوقي أمين منذ شبابه
الباكر !

وكان والدُه الشيخُ " أمين العالم "
من علماء الأزهر، له حلقةُ درسٍ ووعظٍ
يَعْقِدُهَا في بعض مساجدِ القاهرة،
ولكنه حين طَعَنَ في السَّنِّ، وَهَنَ الْعَظْمُ
منه، وأدركه عَجْزُ الشيخوخة، وأقعده
المرض، فحُضَّ ولده الأكبرُ شوقي، فحملَ
عنه أمانةَ أسرته، فكان راعِيَهَا، بل
عائِلَهَا، وهو ما زال في غُضارةِ عمره،
ونضارةِ شبابه، وكان بإيثاره هذا راضياً
مرضياً.

وقد تجلَّى هذا الإيثارُ السَّمْحُ النبيلُ
من بعدُ، حين تُوفِّيَ أَخٌ له عن أولادٍ
مازالوا في مَدْرَجِ طفوليتهم، فضَمَّهم
شوقي إلى كنفه، كما استظلَّ برعايته
آخرون من أقربائه، وإني لأَعْلَمُ من هذا
الكثير !

وليس هذا بعجيبٍ من شوقي، فقد
كان نَهْراً متدفقاً بالحب والحنان !
أيها السادة :

وُلد محمد شوقي أمين في منتصفِ
العام العاشر من هذا القرن، والتحق في
طفولته بكتابٍ في حارة الروم بحى
الدرب الأحمر بالقاهرة، فتلقَّى فيه مبادئَ
العلوم، وأكملَ حِفْظَ القرآن الكريم، ثم
التحق بالقسم الابتدائي في الأزهر، حيثُ

تَفَتَّحَتْ مواهبُهُ عن قُدراتٍ لغويةٍ فِذَّةٍ،
وَنُزُوعٍ عَرِمَ نَهْمٌ إلى الأدب العربيّ،
فَانْطَلَقَ الصَّبِيُّ الطَّلَعَةُ إلى ذخائر اللغة،
ومصادر الأدب، يقرأ ويقرأ، حتى استوعبَ
في سنواتٍ قلائِلَ ما يستوعبه غيره في
عشرات السنين، ففاضَ مَوْرِدُهُ، واستحصَدَ
زرعُهُ، وصار مُؤَهَّلًا لِلْعَطَاءِ في سحاء، وهو
ما زال طَرِيَّ العُودِ، غَضُّ الإهاب !

كان التعليمُ الأزهرى قد بدأ منهجه
يأخذ بالعلوم الحديثة، كالحساب والجبر
والهندسة والكيمياء والطبيعة، وغير ذلك
من العلوم التي لم يكن للأزهر عهد بها
من قبل، فضاقت الفتى شوقى أمين بهذه
العلوم البعيدة عن اللغة والأدب، والتي
يُرْغَمُ على استيعابها واجتياز امتحانها،
حتى ينتقل إلى مرحلةٍ أخرى من التعليم
الأزهرى الجديد.

وما كاد الفتى اللغوى الأديبُ ينتقلُ
إلى المرحلة الثانوية حتى آثَرَ أن يختارَ
الدراسة الحُرَّةَ العصاميَّةَ للغة العربية
وآدابها على هذه الدراسة النظامية
الجديدة التي انتهجها الأزهرُ في عهده
الحديث.

وقد قوى هذا الإيثارَ لديه ما أخذَ
ينتظره من حَمَلِ أعباءِ أسرته !

ولكنَّ الفتى شوقى لم يكن لديه مِر
عُدَّةٌ يُواجهُ بها الحياة سوى ثقافته اللغوية
والأدبية، وقلمه الفتى المُرْهَفُ، فخاضَ
غِمَارَ الصَّحَافَةِ .. وكانت حينذاك في
العشرينيات، وقد نشأ الكثير منها في
أحضان السياسة، حيث الأحزاب الوليدة
تَخوضُ تجربتها الديمقراطية الطليعية في
عالمنا العربى، ولكلِّ شىء في إبانهِ حماسة
وفورة، وعَجيج وضجيج !

نأى شوقى بنفسه عن ذلك كُلِّهِ،
حتى لا يُغيره ما تُثيره معاركُ الصُّحُفِ
السياسية في جَوَلَاتِهَا وَصَوَلَاتِهَا،
وَكَرَّهَا وَفَرَّهَا، وآثَرَ أن يَتَّبِعَ مَقْعَدَ صِدْقٍ
على المنهلِ الصافى للصَّحَافَةِ الأدبيَّةِ؛
فَأَشَدُّ ما يُنْكِرُهُ شوقى أمين ما تُلجأ إليه
الصَّحَافَةُ السياسيةُ مِن مُدَاهَنَةٍ
ومُخاصَمة، ومُداوَرَاتٍ ومُناوَرَاتٍ، فهو
رجلُ علمٍ وأدبٍ، والعلمُ بَحْثٌ عن
الحقيقة، والأدبُ غايَةُ الحقِّ،
وكم مِن حَقائِقَ وحَقوقٍ
تُسْفِكُ دماؤها على مَذْبَحِ السياسة !

أمرٌ آخرُ جَعَلَ شوقى يَعْرِفُ عن
الصَّحَافَةِ السياسيةِ؛ ذلك أن جَوَّ السياسةِ
قُلْبَ، لا يكادُ يَصِفُو حتى يَغِيْمَ، وتياراتُها
لا تُكادُ تَهْدأُ حتى تستحيلُ عواصفَ

وأعاصير، فكيف يَضَعُ مَصِيرَ أُسْرَةٍ _ بل أُسْرِ _ هو عَائِلُهَا فِي مَهَبِّ هَذِهِ الْأَخْطَارِ ؟!

ولكن أمر السياسة في أواخر العشرينيات كان يَمُورُ بصراعٍ بين رجالها الوطنيين الشُّرفاء والقصر، انتهى بأن دَفَعَ القصرُ بإسماعيل صدقي إلى رئاسة وزارة عَطَلَتِ الدستور، وكادت تُجْهَزُ على التجربة الديمقراطية في مَهْدِهَا، لولا أن شَبَابَ مِصْرَ هَبَّ في مظاهرات عاصفة، تَعَالَى زَئِيرُهَا مُطَالِبًا بِعُودَةِ الدستور، وتخطيط اليدِ الحديديَةِ الَّتِي تُمَسِّكُ بِخِنَاقِ الديمقراطية !

كان ذلك في العام الثلاثين من هذا القرن، حين كان شوقي قد بلغَ عَامَهُ العشرين.

ولم يكن بُوْسَعِهِ _ وهو في عُنْفُوَانِ شَبَابِهِ _ أَنْ يُمَسِّكَ بِزِمَامِ غَضَبِهِ وَهُوَ يَرَى مظاهرات الشبابِ تَجْتَاحُ مِصْرَ سَخَطًا وَنَقْمَةً عَلَى طِفَاقِهَا الْمُسْتَبْدِينَ، وكان مَصِيرُهُ _ مع زعماء تلك الانتفاضة _ الاعتقال والسَّجْن، حيث أَمْضَى بعضَ أيام، خرجَ بعدها مِنْ سِجْنِهِ لِيَكْتُبَ مُؤَلَّفَهُ الْأَوَّلَ : " مشاهدات

سَجِين : عشرة آلاف دقيقة في سِجْنِ مِصْر " .

ثم أَصْدَرَ فِي الْعَامِ نَفْسِهِ مَجْلَّةَ "الشاعر" الَّتِي كَانَ مَقْرُوهَا فِي شَارِعِ حَسَنِ الْأَكْبَرِ بِالْقَاهِرَةِ، بِالْقُرْبِ مِنْ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَةِ _ مِنْهَلِهِ الثَّقَافِيُّ الَّذِي لَمْ يَنْقُطِعْ عَنْهُ طَوَالَ حَيَاتِهِ _ وَقَدْ كَانَ مَقْرُوهَ هَذِهِ الْمَجْلَّةِ _ الَّتِي لَمْ تَعِشْ طَوِيلًا _ مُتَّسِدِي أَدَبِيًّا لِبَعْضِ الْأَعْلَامِ مِنَ الْأَدَبَاءِ وَالْعُلَمَاءِ .

ومن الذكريات الطريفة الَّتِي حَدَّثَنِي عَنْهَا أَنَّ مَقْرُومَجْلَّةِ "الشاعر"، كَانَ مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي لَجَأَ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ الشَّعْبِيُّ الْكَبِيرُ "بِيرَمُ التَّوْنَسِي"، لِيُقِيمَ فِيهَا بَعِيدًا عَنْ أَعْيُنِ مُطَارِدِيهِ مِنَ الشَّرْطَةِ، بَعْدَ أَنْ صَبَّ عَلَى الْمَلِكِ فُؤَادَ جَامِ أَزْجَالِهِ اللَّاذِعَةِ السَّاخِرَةِ !

ومن مواقفه المشهودة المحمودَةِ كَذَلِكَ تَصَدِّيهِ _ وَهُوَ الشَّابُّ الصَّغِيرُ _ لِكَاتِبَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ هُمَا : الْعَقَادُ وَالْمَازِنِي، حِينَ هَاجَمَا أَمِيرَ الشُّعْرَاءِ " شَوْقِي " _ وَمَوْقِفَهُمَا مِنْ شَعْرِهِ مَعْرُوفٍ _ فَكُتِبَ شَوْقِي دِفَاعًا مَجِيدًا عَنْ شَوْقِي، رَدًّا عَلَى الْكَاتِبَتَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ كُلِّ مَا رَمَيَا بِهِ شَعْرَ أَمِيرِ الشُّعْرَاءِ، بِاقْتِدَارٍ فَذَّ،

وجرأة باهرة، وقد عبّر أمير الشعراء
عن عرفانه وامتدانه لشوقي ببطاقة
دعوة أرسلها إليه لشهود مسرحيته
"مجنون ليلي" بدار الأوبرا، وبدعوة
لزيارته في داره (كرمة ابن هاني)،
ولكن هذا اللقاء الموعود لم يتم، لأن
أمير الشعراء كان على موعد آخر
لللقاء ربّه، حيث وافته منيته !

أيها السادة :

لم يمتّهن شوقي الصحافة؛ لتكون
مهنة أو حرفة أصيلة يقف عليها
رزقه، فقد دخلها من باب الهواية لا
الامتهان؛ فهو لغوي أديب، وقف
قلمه على كل ما يتصل باللغة
والأدب من بعيد أو قريب، وهو
صاحب رسالة فرغ لها جل وقته
وجُهدِه، وهي حماية اللغة العربية من
كل لحن أو تحريف، والدعوة إلى
النهوض بها لتعبّر عن الحضارة
المعاصرة، بمستحدثاتها ومخترعاتها
في العلوم والفنون.

فقد كان قلم شوقي أمين
يلاحق ما يشيع على الأقلام والألسنة
من أخطاء لغوية ونحوية، حتى ذاع
صيته بين شيوخ الفصحى وسدّتها

حينذاك، ولكنه، وهو يحاول أن
يطاول هؤلاء العمالقة في علمهم،
كان ينفرد بينهم باجتناب الباب
القراء لما يكتب، على الرغم من
جفاء المبحث اللغوي ووعورتته لدى
الكثير من القراء، فقد كانت كتابات
شيوخ الفصحى يسودها وقار
وصرامة وجّهامة، وهي تؤاخذ
المخطئين أو تساجل الناظرين، أما
شوقي أمين فقد كان يسوق
تصوياته ومؤاخذاته ومساجلاته
رشيقة أنيقة، تقطر مودة، وتفتّر عن
بسمه مريح ودعابة، فتنزل برداً
وسلاماً على من يؤاخذهم
ويساجلهم، وتكسبه قبولاً حسناً
لدى قارئيه !

أما دعوته إلى النهوض باللغة العربية
لتعبّر عن حضارتنا المعاصرة، بعلومها
وفنونها وصناعاتها - فقد تمثّلت في
انضمامه إلى كوكبة الدعاة لإنشاء مجمع
لغوي، وهي دعوة نادوا بها منذ أواخر
القرن الماضي، وآتت بواكيرها في مجمع
البكري الذي أنشئ في شارع الخرنفش
بالقاهرة في العام الثاني والتسعين من
القرن الماضي، وكان من أبرز أعضائه

الشيخ محمد توفيق البكرى، والشيخ الإمام محمد عبده، والشيخ محمد محمود الشنقيطى، ثم توقف بعد أشهر قليلة. وبعد عشر من السنين فُضَّ نادى (دار العلوم) بتجديد هذه الدعوة، فى ندوة امتدت أسبوعين، كان من أعلامها حفى ناصف، ومحمد الخضرى، وحمزة فتح الله، وطنطاوى جوهرى، وفتحى زغلول. وفى سنة ست عشرة من هذا القرن أنشأ أحمد لطفى السيد "مجمع دار الكتب"، الذى رأسه شيخ الأزهر، الشيخ سليم البشرى، وكان لأحمد حشمت وزير المعارف حينذاك محاولة فى هذا السبيل، ولكن الثورة التى اجتاحت مصر عام تسعة عشر غلاً صوئها على كل صوت، ووقف الجميع جهودهم على إنجاحها حتى تبلغ غايتها من التحرر والاستقلال!

وظهرت بعد الثورة محاولة لإنشاء مجمع لغوى أهلى، حين تألف مجمع فى دار "إدريس راغب" بحى الظاهر بالقاهرة، كان من أبرز أعضائه محمد رشيد رضا، وأحمد العوامرى، ومحمد صادق عنبر، الذى أصهر إليه محمد

شوقى أمين بالزواج من ابنته، التى كانت هى الأخرى أديبة شاعرة! ثم حميت الدعوة إلى إنشاء مجمع لغوى فى أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات، ونحاض حومتها شوقى أمين حيث امتشق قلمه الفقى الجرىء، مستفزاً غيرة الأدباء والعلماء على لغتهم التى استباح حماها العامى والدخيل، واعتري همتها قصور قعد بها عن الوفاء بحققها فى أن تكون لغة علم وفن وحضارة، وأن تستعيد مكانتها المرموقة بين لغات العالم الكبرى، وراثتها العلمى العريق خير شاهد على قدرتها وجدارتها، حين انعقد لها اللواء على سائر اللغات، وصارت لها السيادة والريادة فى العلوم والفنون والآداب، عدة من القرون!

كتب شوقى أمين بجريدة الأهرام فى أوائل العام الثانى والثلاثين مقالاً عنوانه "حاجة اللغة العربية إلى أكاديمية" جاء فى مستهلّه قوله :

"أشرق الأهرام - فى صباح اليوم - حالياً صدره بمقال كريم، من قلم حضرة صاحب السعادة زنائزى

باشا، أعربَ فيه عن حاجةِ العصر
الحالى إلى معهدٍ لغوىٍّ يأخذُ على
عَاتِقِهِ أن يُوجِدَ مُستحدّثاتٍ من
الألفاظِ العربيةِ الفصحى، تَدُلُّ على
مُستحدّثاتِ المعانى العاليةِ العامة .

ولا أنسى في مُقْتَبَلِ حديثى أن
أشكرَ لسعادةِ الباشا تنويهه باسمى في
مُقْتَبَلِ حديثه، فلقد ذَكَرَنِى في مَعْرِضِ
ذكره لمن يقرأ لهم تعليقاتهم على أغلاطِ
الكتاب. ثم مضى يقول :

" والواقعُ أن الحاجةَ إلى المعهدِ
اللغوىِّ حاجةٌ ماسَّةٌ لا يُمَدُّها إلَاهُ
... فعند المعهدِ اللغوىِّ يُصِيبُ
الأدباءُ والصَّحَافِيُّونَ ما يُذَلِّلُونُ به
تلكَ العقباتِ التى تعترضُهم فى حياةِ
الأدبِ والصَّحَافَةِ. ومِنَ العَجَبِ
العَاجِبِ أن يَبْقَى المعهدُ اللغوىُّ إلى
الساعةِ التى نحن فيها : فكَرَةٌ تَتِمَّاجُ
بها الرؤوسُ، وأُمْنِيَّةٌ تَخْتَلِجُ فى النفوسِ،
ولا هو شَأْنٌ يَنْتَطِحُ فِيهِ عَنَزَانُ، ولا
هى مسألةٌ فيها قولان .. ونَضْرِبُ فى
خَطَلٍ : حينَ نَظُنُّ أن الجُهودَ الفرديةَ
التي يبذلها أنصارُ اللغةِ تُورِثُ كفايةً
وغناءً، والحقُّ أن أثرها وقْتُ إن صَحَّ

أن يكون لها أثر . فهذه الجهودُ
الفرديةُ يُعَوِّزُها النظامُ المعنوىُّ الذى
يَسْعَى سَعْيُهُ لَدَى الأدباءِ، وتنقِصُها
القوةُ الروحيةُ التى تُؤْتِي أَكْلَهَا عند
الكتاب، ولن يكونَ ذلكَ النظامُ، ولا
تلكَ القوةُ، إلا حيثُ الجَماعُ النبيلةُ
الموصوفةُ التى تترامى إليها العيونُ، فى
تقديرِ لها، واعتدادِ بها".

ثم اختتمه بقوله :

" أماننا : المعهدُ اللغوىُّ، وفينا -
بحمدِ الله - رجالات : فى مُلْكِهِم أن
يُنْشِئُوهُ إنْشاءً طَيِّباً، وَيُنْبِتُوهُ نَبَاتاً
حَسَناً، فَيُؤْتِي أَكْلَهُ مَرَّتَيْنِ بِإِذْنِ الله "

إذن : فليس يَبْقَى إلا الجُودُ والعزمُ،
فهل يَنْقُصُ رجالاتنا هذان؟

ألا نفوسُ أَيْيَاتٍ لها هِمَمٌ

أما على الخيرِ أنصارُ وأعوانُ؟

ولم يَجْنَحْ بقلمِهِ إلى انتظارٍ يَتَرَقَّبُ فى
ظِلِّهِ ثَمَرَةَ دَعْوَتِهِ، بل أخذَ يُلِحُّ بها إلحاحاً
فى مقالاتٍ متتابعةٍ، منها مقالاتُ عنواها:
" الجَمْعُ اللغوىُّ - لماذا يُراد ؟ "

جاء فى إحداها بجريدةِ الأهرام :

" أَفْرَغُ الساعةَ باليراعةِ إلى استئنافِ
الحديثِ عن الجَمْعِ اللغوىِّ من جانبِهِ
العملىِّ، بعد أن تحدّثُ عنه فى كلمتين

سَلَفَتَا من جانبهِ الشكلى، والحديثُ ذو شُجون:

وإذا كان الجمعُ اللغوى إنما يُعَقَّدُ للنهوضِ بالفصحى إلى مكانٍ عَلى، فعندى أنه لن يُوفىَ على الغاية إلا حينَ تَوَجَّهَ جهوده نحو أمورٍ ثلاثة لا مُتَدَحٍ له عن واحدٍ منها، وأولُ ذلك اشتقاقُ مُسْتَحْدَثَاتٍ من الألفاظِ تَصِفُ مُسْتَحْدَثَاتِ المعاني، والأمرُ الثانى تَبْيِينُ ما شابَ كثيراً من العبارات من أخطاءٍ وأغاليط، وثالثُ الأمورِ إصلاحُ منطقِ الألفاظِ على ألسنةِ الخطباءِ والأدباءِ."

ثم عرضَ لفوضى الجهودِ الفرديةِ فى معالجةِ الكُتُبِ لِمَا جَدَّ على صعيدِ الحضارةِ الحديثةِ من مُسْتَحْدَثَاتٍ تَقْتَضِي وضْعَ مصطلحاتٍ علميةٍ وألفاظٍ حضارية .. فقال :

"والجمعُ اللغوى فى مَوْسُوعِهِ أن يُبَيِّدَ هذه الفوضى ويسدَّ حاجةَ رجالِ العلمِ والفنِّ بتعريبِ المصطلحاتِ العلميةِ والفنية، ونُحِبُّ أن نُشِيرَ إلى أن موقفَ الجمعِ من تلكِ المصطلحاتِ موقفُ سياسةٍ وتدبير، لا موقفُ تَعَسُّفٍ وتَعَصُّب، وليس من خيرِ العربيةِ أن

نَعْتَمِدَ فى تعريبِ كلِّ المصطلحاتِ على الاشتقاق؛ فيجب ألا نُعَانِي وضْعَ اسمٍ للترام - مثلاً - واسمه كما تَرَى مصقولٌ عذب، فالسَّماحُ للدخيلِ قانونٌ مصطلحٌ عليه فى عصورِ العربيةِ جمعاء، وجِدُّ كافٍ فى كثيرٍ من المصطلحاتِ العلميةِ أن تبقى فى وضعها العلمى على شريطةِ أن تُنَسَجَ على مِنوالِ عربى .. ذلك أولى وأجدى "

ولم يَكَدْ هذا العامُ - العامُ الثانى والثلاثون - يُشْرِفُ على نهايته حتى صدرَ مرسومٌ ملكى فى الثالث عشر من ديسمبر بإنشاءِ مجمَعِنا اللغوى، وإن كان العملُ به لم يبدأ إلا فى الثلاثين من يناير عامٍ أربعةٍ وثلاثين . وقد حَدَّثَنِى أخى شوقى أمينٌ أن حلمى عيسى وزيرَ المعارفِ حينذاك هو الذى اختاره للعملِ محرراً بالجمع؛ وفاءً وعرفاناً بما بذله من جُهدٍ مشهود فى سبيلِ إنشائه !

أيها السادة :

نَوَهْتُ من قبلُ بأن شوقى أمين كان خُلُقُهُ الإيثار؛ آثَرَ أن يُفْرِغَ نفسَه للغةِ العربيةِ وآدابها، بعيداً عما تَقْتَضِيهِ فُصُولُ الدراسة، وما تنتهى إليه مِن

شهاداتٍ ودرجاتٍ علمية، وآثر أُسرته وعشيرته على نفسه، ثم ها هو ذا يُؤثرُ المجمعَ على كل ما سواه، فوقفَ عليه جهده، وعكف عليه محرراً في لجانه اللغوية وجلساتِ مجلسه ومؤتمره، وبذلك افتقدتْ ساحةُ الصحافةِ فتاها اللغويُّ الأديب، فكم كان يَصُولُ فيها وَيَجُولُ بقلمه المغوار، الذي آثر أن يجعله في رباطِ المجمعِ إلى آخرِ رمقٍ في حياته !

عَمِلَ شوقي أميناً بالمجمع محرراً، ثم ترقى إلى المحرر الأول، فنائب رئيس التحرير فرئيس التحرير، وقد عَمِلَ إلى جانب ذلك مديراً لمكتب رؤساء المجمع الأساتذة : محمد توفيق رفعت، وأحمد لطفى السيد، والدكتور طه حسين.

وقد آثر ألا ينتظرَ حتى تُجِيلَه الحكومةُ على المعاش، فأحالَ نفسه قبل بلوغه الستين بعام، واختيرَ خبيراً بلجان الأصول، والألفاظِ والأساليب، والمعجم الوسيط، ثم انتخبَ لعضوية المجمع عامَ أربعة وسبعين، حيث امتدَّ نشاطه المجمعى إلى لجانٍ عديدة، فكان مقررًا للجنتي الأصول، والألفاظِ والأساليب، وعضواً بلجان اللهجات، والمعجم الكبير، والمعجم الوجيز، ولجنة الاقتصاد، ولجنة القانون.

وإنتاجه اللغوى المجمعى غزير متنوع يربو على مئة بحث، تنوزعها مجالاتٌ ثلاث: مجالٌ ينحُو فيه إلى نحو العربية لتيسير بعض قواعده وضرابطه، ومجالٌ ثانٍ يعمِدُ فيه إلى تصويبِ بعضِ ما شاعَ من ألفاظٍ وأساليبٍ معاصرة، أما المجالُ الثالثُ فقد أبان فيه فصاحةَ الكثير من اللغة الدارجة.

وقد أسهم شوقي أمين في إعداد كثيرٍ من مطبوعات المجمع ومراجعتها، منها : كتبُ أصولِ اللغة، والألفاظِ والأساليب، والقرارات العلمية، ومحاضر الجلسات، والمعجمان: الوسيط والوجيز، كما مثل المجمع في كثير من المؤتمرات والندوات في مصر، وخارج مصر.

أما نشاطه خارجَ المجمع فقد كان من نافلة جهده ووقته، حيث كان يلقي محاضراتٍ في معهد الدراسات الإسلامية التابع للأزهر، ومعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، ومعهدى: الخدمة الاجتماعية، والإدارة والسكرتارية للفتيات. كما اختيرَ عضواً بلجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون

والآداب والعلوم الاجتماعية،
وأَسَهمَ إسهامًا كبيرًا في لجنة نشر
المؤلفات التيمورية ؛ فحقّق ديوان
عائشة التيمورية، وأشرف على
إخراج كُتُب : الآثار النبوية
الشريفة، وأسرار العريفة، والقياس
والسّماع، والتذكّرة التيمورية،
وأعلام الفكر الإسلامي.

كما أفرّدت مجلة الهلال بابًا لطرائفه
الأدبية والفكاهية، من العام الثالث
والخمسین إلى العام الحادی والستین، وهي
من ذخيرته الحافلة بكنوز اللّغة والأدب،
المُعبرة عن الكثير من جوانب الحضارة
العربية، على امتداد عصورها وبيئاتها.
وقد صدرت في كتابٍ عنوّاه : " طرائفُ
وفكاهات من تراثنا العربيّ " .

وقد صدرَ له من قبل : كتاب
"التشريع الإسلاميُّ للأحوال الشخصية
والتكافل الاجتماعيّ" ، وكتاب :
"الكتابة العربية" ، وشارك في تحقيق ديوان
بشار بن بُرد، كما شارك في سلسلة
المطبوعات التي تُصدرها مطبعة الكيلانيّ
بعنوان : "سبيلُ الله" ، فأخرج فيها قُطوفًا
من كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام
الغزاليّ، وقَدَّمَ لقصيدة محمود سامي

البارودي : " كَشَفُ الغُمَّة في مدح سيّد
الأُمَّة " .

أيها السادة :

كنتُ أودُّ أن أُحدّثكم عن شوقي
الشاعر، وهو صاحب مجلة " الشاعر "
وكم أَسَمَعَنِي الكثير من شعره، وكم
أَلَحَّحْتُ عليه في جَمْعِهِ، ولكنه كان يَمُدُّ
في حبالِ تسويفه حتى تداخَلت وتاهت
في شواغله _ أو شواغلِ الناس _ التي
كانت تأخُذُ عليه أقطارَ حياتِهِ، وإن
لأُهيّبُ بأسرته أن تنهضَ بذلك، حتى
يرى القراء الجانبَ الإبداعيَّ من شوقي
أمين، وهو لم يُفِلْتُ كذلك ممّا عَهِدناه
فيه من مرحٍ ودعابة أو إني لأذكرُ من
ذلك أبياتًا له حين عاجَلَه الشَّيْبُ
والصَّلَعُ، وكان قد أعدَّ صِبْغَةً يَصْبِغُ بها
شعرَهُ، فقال :

رَضِيتُ بالشَّيْبِ تَعْرِوْنِي مَواضِيحُهُ
والسِّنُّ لَمَّا تَزَلْ لِلَّهِوَ إِبَانَا
ما بالُ شَعْرِي قد جَفَّتْ مَنَابِتُهُ
وارْتَدَّ مُنْجَرِدًا ما كان فِينَا
أَعَدَدْتُ للشَّيْبِ صِبْغًا حين باكَرَنِي
يا لَيْتَ شَعْرِي ماذا أَصْبِغُ الآنَا؟
ولعلَّ مِسْكَ الخِتَامِ لكَلِمَتِي أَيْبَاتُ قَالِهَا
شوقي حين قَعَدَ به المرضُ، يُنَاجِي رَبَّهُ
فيقول :

حَسْبِيَ دُعَائِي (يَا رَبَّاهُ) إِيْمَانَا
فَامُنُّ بِعَفْوِكَ يَا رَبَّاهُ إِحْسَانَا
إِنْ كَانَ ذَنْبِي عَظِيمًا فِي مُسَاءَلَةٍ
فَأَنْتَ أَعْظَمُ (يَا رَبَّاهُ) غُفْرَانَا
الذَّنْبُ : ذَنْبٌ عَلَى عَمْدٍ لِمَعْصِيَةٍ
وَمَا تَعَمَّدْتُ يَا رَبَّاهُ عِصْيَانَا
النَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِنْ ضَعُفَتْ
وَالضَّعْفُ عَذْرٌ لِمَنْ سَوَّيَتْ إِنْسَانَا
إِنِّي إِلَى رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ مُفْتَقِرٌ
وَقَدْ دَعَوْتُكَ (يَا رَحْمَنُ) رَحْمَانَا

رُوحِي تَتَوَقُّ إِلَى لِقْيَاكَ وَاثْقَةً
بَأَنْ سَتَمُنِّحَنِي رُوحًا وَرَيْحَانَا
أُخْرَاكَ فِيهَا خَلَاصُ الرُّوحِ مِنْ كَبَدٍ
فِيهَا التَّخَرُّرُ مِنْ أَوْهَامِ دُنْيَانَا
هَبْ لِي رِضَاكَ فَمَا أَرْضَى بِهِ بَدَلًا
يَا وَاهِبَ الْفَضْلِ، كُلَّ الْفَضْلِ رِضْوَانَا
جَزَاهُ اللَّهُ فِي جَنَّتِهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، بِقَدْرِ مَا
أَعْطَى لَأُمَّتِهِ وَلُغَيْتِهِ وَجَمِيعِهِ فَوْقِي !
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

إِبْرَاهِيمُ التَّرْزِي

عَضْوُ الْمَجْمَعِ

عاشقُ الفُصحى

رثاء للصديق المجمعي العريق، الأستاذ شوقي أمين..
تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته .

عزاء، مجمع الفصحى، عزاء
مضى "شوقي"، لقد لَبَّى النداء
خبا ألقى الفصيحة بعد شوقي
وكان حِجَاهُ يجلوها جَلَاءَ
أشوقي كنتَ في الفصحى مُحِيطاً
يفيض لكل مغترفٍ عَطَاءَ
عِصامياً بدُّتِيا العِلْم؛ لكنْ
بذت ذوى الشهادات ارتقاءً
وكنتَ إذا خطبت، فذويان
كنور الشمس، يُبهرُنا بهاءَ
وفي نحوٍ وصرفٍ سيبويه
أحطت بكل شاردة ذكاءَ
وفي أدبٍ ونقد كنتَ عَمراً^(١)
جميل اللفظ والمعنى سَوَاءَ
وفي الإلقاء سَحْبَاناً^(٢)، فنونٌ
بلاغته، وساحرة أَدَاءَ
وفي خُلُقٍ سموت، فكنتَ شهماً
وصدِّيقاً، وأخلصتَ الوفاءَ
وكنتَ لكل من ترعى حميماً
وللمكروب أنساً أو عَزَاءَ
وللأبناء كنتَ أباً بذولاً
وكم قد سُغتَ في ذاك العناءَ
ويحسبك الذى يلقاك بدِّهاً^(٣)
خَلَّى البال، موفوراً ثراءَ
وأعرف كم صبرتَ على بلاءٍ
وكم أبليتَ في الدنيا بلاءَ
وما جَهِمَ المحيّا منك يوماً
ولكنْ مُحسناً أبداً لقاءَ
وكنتَ إذا مزحت، ففى رُقِيٍّ
وما جرحتْ دُعابتُك الحياءَ
خفيفَ الروح كنتَ، وذا مِرَاحٍ
كأنَّك لم تَذُقْ أبداً شقاءَ
عهدُك يا أخى لم ترضَ ضيماً
ولم تبع الكرامة والإباءَ
نزيتهاً كنتَ فى عملٍ وقولٍ
وأصلاً فى المبادئِ وانتِهاءَ

(١) عمرو بن بحر الجاحظ كاتب العربية وأديبها الأكبر .

(٢) سحبان بن وائل : أشهر خطباء العرب (جاهلي)

يُضرب ببلاغته المثل .

(٣) بدِّهاً : مفاجأة .

وذا عزم إذا ما جدَّ جدُّ

وأول من يرى يُعلى اللواء

وداعاً عاشقَ الفصحى، ومن كا

ن حاميها، ومخلصها إلولاء

رحيلك يا أختي أصاب كبدِي

وفجّعتني، ولو عني بُكاء

فيا شوقي، إلى جنّاتِ خُلدٍ

بما قدّمت، تلقاها جزاء

ويا شوقي، لقد أوحشت ذاتي

فصارت بلقعاً، قفراً، خواء

ويا " شوقي أمين " متى لقاء

فإني بت أرجو ذا اللقاء

محمد يوسف حسن

عضو المجمع

٣- كلمة الأسرة

سيدى العالم الجليل الأستاذ الدكتور
إبراهيم مذكور رئيس الجمع :

سادتى العلماء الأفاضل ، نائب
الرئيس، والأمين العام، وأعضاء
مجمع اللغة العربية :

السيدات والسادة أعضاء أسرة الجمع :
إنه يشرفنى أن أقف بينكم متحدثًا فى
هذا الجمع الزاخر من العلماء العظماء
شيوخ مصر وأعلامها المرفرة
دائمًا - تزهو بهم مصرنا وتباهي -
وفى ذات الوقت يعز علي أن أقف
متحدثًا عن والدي - زميلكم -
المرحوم الأستاذ محمد شوقي أمين
العالم، الذى أفنى عمره بين
الأسرتين : عائلته التى تحمّل كامل
المسؤولية عنها، منذ فقد زوجته
ورقيقة حياته المرحومة الأديبة وداد
صادق عنبر عام ١٩٥٩م، التى لم
يبحث بعدها عن بديل فعاش
لأولاده، وكنّت أكبرهم ولم أتجاوز
السابعة عشرة من عمري، ثم
شقيقتي الثلاث فى مراحل الطفولة
المختلفة - فعاش لنا راعيًا ومتفانيًا ،

ليضيف علينا دفء الأم قبل حنان
الوالد وليعبر بنا حياتنا الدراسية حتى
تخرجنا فى الكليات المختلفة:
التجارة، والطب، والهندسة، والعلوم
- ثم يساعدنا فى تكوين أسرنا . هذا
عن أسرته الصغيرة. أما أسرته الكبرى
فكانت أسرة بمجمعكم الموقر- هذا
الصرح اللغوي الشامخ الذى انتمى
إليه، منذ دورته الأولى عام ١٩٣٤م،
فعين محررًا، ثم رئيسًا لمكتب رؤساء
الجمع الثلاثة الأساتذة الرواد
الأفاضل : محمد توفيق رفعت،
وأحمد لطفي السيد، وطه حسين،
ورئيسًا للتحرير حتى طلب إحالته
للتقاعد عام ١٩٦٩م، ليصبح خبيرًا
بلجان الجمع المختلفة ، حتى تم
انتخابه لعضوية الجمع عام ١٩٧٤م.
من هذا السرد الموجز -الذى لا شك
أن حضراتكم أدرى به مني -
يتبين أن صلته بالجمع كانت صلة
رحم وحب واعتزاز لرحلبة دامت
نحو ٦٠ عامًا، ومع هذا النشاط
الجمعي كانت هناك كتاباته التى

بدأها منذ شبابه المبكر بعدد من المقالات التي كتبها في جريدة الأهرام في عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٣ م، كان موضوعها " مجمع اللغة العربية لماذا وكيف يراد ؟ .. وهكذا كان داعياً لمولد صرحكم اللغوي الموقر مما دعاه إلى أن يخصص جمَّ نشاطه للمجمع طوال حياته _ وما بقي لديه من قدرة على النشاط، فقد كان في مقالاته المتابعة في كثير من المجالات والجرائد المصرية والعربية، وبخاصة مجلة الهلال التي خصَّها بمقالاته المنتظمة منذ عام ١٩٥٢م حتى عام ١٩٦٤م وكانت تحوي أفنانين الموضوعات .. فيها دين وتربية _ وفيها أدب ولغة _ وفيها خلق واجتماع _ وفيها طرائف وأعاجيب _ وفيها نواذر وفكاهات من التراث اللغوي العربي، وكلها مستمدة من جولاته في المكتبة العربية _ قديمها وحديثها _ سساعياً ألاَّ يتقي إلا ما هو غير متعارف عليه أو متناقل _ فكانت مقالاته رحلة في أعماق التراث العربي والإسلامي، وكانت عصارة العصاراة لخبرة الثقافية

العربية في مواجهة الحياة، أو فلتقيل إنها رحلة في لمعات الفطنة وحضور البديهة والتعابير اللغوية المبدعة.

كما أثمر نشاطه عن كتب منها : مشاهدات سجين _ طرائف وفكاهات من تراثنا العربي _ الكتابة العربية _ التشريع الإسلامي للأحوال الشخصية.

كما قام أيضاً بتحقيق بعض الدواوين وإخراجها مثل : ديوان بشار بن برد بأجزائه الأربعة، وديوان عائشة التيمورية.

كما أنه استمر لنحو ربع قرن - منذ عام ١٩٦٢ م - يلقي محاضراته على طلاب الدراسات العليا الإسلامية، ومعاهد الخدمة الاجتماعية، ومعاهد السكرتارية، ولعلَّ مجلة مجمع الموقر خير شاهد على إنتاجه اللغوي بما حوته أعدادها من بحوث في مجال اللغة، وكذلك مطبوعاتكم العظيمة : مثل: المعجم الوسيط، والمعجم الوجيز، وأصول اللغة، والألفاظ والأساليب، كلها كتب جمعكم العريق التي عمل معكم وبينكم في إعدادها وإخراجها، واسمحوا لي أن أستاذكم فأستعير جزءاً من كلمة

العالم العظيم الأستاذ عبد الحميد
حسن - يوم استقبال والدي عند
انتخابه عضواً بالمجمع التي قال فيها
:" وقد عكف على التحصيل بطرق
إليه كل باب ويتبع كل مورد عذب
- فينهل منه ما يروي ظمأه -
واستمر ينقب، ويبحث، ويختزن في
ذاكرته اللمعة وذهنه الخصب
وقريحته الوقادة حتى صار بحراً تتلاطم
أمواجه ويحتفظ في قراره المكين بقدر
من طرائف اللغة والأدب وشوارد
الحقائق "

وإذا كان لي أن أتطلع إلى تحقيق أمر
- لا تكريماً لوالدي بقدر ما هو للغة
العربية نفسها - فهو أن يسهم المجمع في
جمع ما تنائر من أبحاث ومقالات محمد
شوقي أمين - ولا أقول هنا والدي -

فلا شك أن في جمعها ما يؤلف
سفرًا متكامل به رؤية عميقة واجتهادات
لامعة في مجال اللغة .

واسمحوا لي أيها العلماء
الأجلاء أن أتقدم لكم شاكرًا باسمي
وباسم أسرة فقيدنا الراحل محمد
شوقي أمين العالم - أشكر لجمعكم
هذا التكرم، وشكرًا لفخامة الأستاذ
الدكتور رئيس المجمع، والسادة :
نائب رئيس المجمع، والأمين العام
للمجمع، كما أشكر السيد العالم
الأستاذ إبراهيم الترزي عضو المجمع
على كلمته الطيبة، وأقدم شكري
للسادة الأفاضل الأعضاء، وجميع
أفراد أسرة مجمع الموقر - ودمتم
لنا فخراً وحماة أفاضل للغتنا الجميلة
وتراثنا العربي العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد شفيع محمد شوقي أمين العالم

كلمة المجمع في تأيين عضو المجمع الراحل المرحوم الأستاذ الدكتور حامد جوهر

للأستاذ الدكتور محمد رشاد الطوبى

السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع:

السادة الزملاء أعضاء المجمع:

سيداتي سادتي:

منذ سبع سنوات خلت،
وبالتحديد في اليوم السادس عشر من
شهر أبريل سنة ١٩٨٦م (ست وثمانين
وتسعمئة وألف) جلستُ أمام هذه
المنصة مع زميلي الكبير المرحوم الأستاذ
الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر في
حفل أقامه المجمع لاستقبال ثلاثة من
أعضائه الجدد هم:

المرحوم الاستاذ الدكتور محمد زكى
شافعى رحمه الله رحمة واسعة .
الأستاذ الدكتور محمد نايل أحمد أمد الله
في عمره .

ثم شخصى الضعيف.

ومن تقاليد هذا المجمع العتيذ أن
يُقدّم كلُّ عضو جديد عضو آخر من
قدامى الجمعيين، وقد تطوع المرحوم
الدكتور حامد جوهر للقيام بهذه المهمة
بالنسبة لى، وأجلس اليوم أمام هذه المنصة
نفسها هذا المجلس الحزين الكئيب، لتأيين

هذا الزميل الكريم، الذى امتدت زمالته
إلى أكثر من نصف قرن من الزمان.

ولد الدكتور حامد جوهر بالقاهرة
سنة ١٩٠٧م (سبع وتسعمئة وألف)،
والتحق بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية
الابتدائية، ومنها انتقل إلى مدرسة
الأوقاف الثانوية الملكية (مدرسة الخديو
إسماعيل فيما بعد). وهناك تتلمذ على
يد الأستاذ عبد الله عفيفى، الذى كان -
رحمه الله - من أعظم رعاة اللغة العربية،
لغة القرآن الكريم، فقد كان يشجع
تلاميذه، ويدعوهم إلى قراءة الشعر
والأدب، والاطلاع على كتابات
الأقدمين والمحدثين من أدباء العرب، تمجيداً
لتلك اللغة، والارتقاء بها إلى أعلى
درجات سمو والنقاء، وأثمرت جهوده
في تخريج ثلاثة من أعضاء هذا المجمع
الموقر، أولهم - كما ذكرتُ من قبل -
الدكتور حامد جوهر، الذى عُرف عنه

حبّه للغة العربية، والدفاع عنها في جميع مناقشات هذا المجمع، وبعد ذلك بسنوات ثلاث تلمذتُ على هذا المربي الفاضل القدير، ثم تبعتُ بعد ذلك شيخ الصحفيين وعضو هذا المجمع أيضاً الأستاذ مصطفى أمين .

بعد حصوله على شهادة الثانوية العامة، التحق الدكتور حامد جوهر بكلية العلوم في أول إنشائها، وتخرج منها بمرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٢٩ م (تسع وعشرين وتسعمئة وألف) ثم عين بعد تخرجه معيداً بالكلية في قسم علم الحيوان، حيث حصل على درجة الماجستير في فسيولوجيا الحيوان سنة ١٩٣٢ م (اثنتين وثلاثين وتسعمئة وألف). ثم عين بعد ذلك وكيلاً لمحطة الأحياء البحرية بالغردقة.

وقد أنشئت تلك المحطة في بادئ الأمر لتكون مركزاً لجمع العينات البحرية التي تستخدم في الدراسات العملية لطلبة الكلية، وأيضاً مركزاً للبحوث العلمية التي يجريها أعضاء هيئة التدريس بقسم علم الحيوان. أي أنها كانت في الواقع تمثل إحدى الوحدات العلمية التابعة لكلية علوم القاهرة، وكان

لها في ذلك الوقت مدير بريطاني عيسى دراية واسعة بمتطلبات المحطات البحرية، وذلك هو " الدكتور كروسلاند " .

وفي سنة ١٩٣٦ م (ست وثلاثين وتسعمئة وألف) انتقلت عمادة كلية العلوم إلى الأستاذ الكبير على مصطفى مشرفة رحمه الله. ووجد نفسه في ذلك الوقت محاطاً بمجموعة من الأساتذة البريطانيين. فكان من أولى اهتماماته تمصير هيئة التدريس بالكلية، فأرسل إلى إنجلترا عشرة معيدٍ من الحاصلين على درجة الماجستير، لاستكمال دراستهم العلمية، والحصول على درجة الدكتوراة. ولم ينسَ رحمه الله _ أن " محطة الأحياء البحرية بالغردقة " هي إحدى وحدات الكلية، ومن الضروري تمصير إدارتها أيضاً، فعين لمدير المحطة " الدكتور كروسلاند "، وكيلاً مصرياً هو الدكتور حامد جوهر، وقد وضح من هذا التعيين فيما بعد أهمية " وضع الرجل المناسب في المكان المناسب " . فقد كان الدكتور جوهر _ رحمه الله _ ميالاً للهدوء، عزوفاً عن الأماكن المزدحمة، المليئة بالضوضاء والضجيج، وما كان هناك أهدأ من مكان قصي، على شاطئ

مهجور، وتلك كانت الغردقة حين عرفناها لأول مرة.

ذهب إليها زميلنا المرحوم الدكتور حامد جوهر، فأعجب بهدوئها الشامل، وشطآنها الرملية المتعرجة، ومَرَّجانياتها الحمراء والزرقاء والأرجوانية، تستقر تحت سطح الماء في شموخ وهدوء، وقد وقع اختياره على إحدى تلك المرجانيات اللينة، لم تكن حياتها معروفة من قبل، وكان قدماء البحارة في تلك المنطقة يطلقون عليها اسم " الزينة " (واسمها اللاتيني zenia)، اختارها للدراسة والبحث، وبعد سنوات أربع أى في عام ١٩٤٠ م (أربعين وتسعمئة وألف) تقدم بحصيلة تلك الدراسة في رسالة علمية، حصل بها على درجة دكتوراه العلوم (D.Oc.)، وكانت أول مرة تمنح فيها تلك الدرجة الرفيعة من جامعة القاهرة .

لقد كانت للدكتور حامد جوهر نشاطات متعددة، أختار البعض منها فقط، نظراً لضيق الوقت، إذ كيف يتسنى لى أن أحيط بمثل هذا " المحيط " مسترامى الأطراف، في دقائق معدودات، كان _ رحمه الله _ في مجمع اللغة العربية

شعلة من النشاط والحيوية، فقد شارك مشاركة فعالة في نشاط المجمع وإنتاجه العلمي، منذ انتخابه عضواً بالمجمع عام ١٩٧٣ م (ثلاثة وسبعين وتسعمئة وألف)، حتى يوم وفاته عام ١٩٩٢ م (اثنين وتسعين وتسعمئة وألف)، وذلك في اللجان العلمية المتخصصة، وفي الجلسات الأسبوعية لمجلس المجمع، وفي مؤتمره السنوى. ففي اللجان العلمية اشترك _ رحمه الله _ في أربع من تلك اللجان، وكان مقررًا لكل منها، وتلك هى لجنة علوم الأحياء والزراعة، ولجنة الكيمياء والصيدلة، ولجنة الجيولوجيا، ولجنة النفط.

وقد أصدرت كلٌ من اللجان الثلاث معجمًا شاملاً لمصطلحاتها العلمية، ولا يزال معجم النفط قيد الطبع، ويصدر قريباً بإذن الله، وكانت مساهمة الدكتور حامد جوهر في إصدار تلك المعاجم الأربعة (مع باقى زملائه أعضاء تلك اللجان) مساهمة فعالة، وذلك بإشراف وتشجيع رئيسنا الكبير وشيخ الجمعين، الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومى مذكور، الذى لا يسعده على الإطلاق أكثر من صدور تلك المعاجم

العلمية، وتداولها بين مختلف الهيئات العلمية في مختلف أنحاء الوطن العربي.

وفي وسائل الإعلام تزامن الدكتور حامد جوهر مع عضو آخر من خيرة أعضاء هذا الجمع الموقر، هو المرحوم الدكتور محمد الطيب النجار، تزامن معه في حديث أسبوعي لكل منهما في " التليفزيون "، أولهما يدعو إلى الثقافة العلمية، والثاني إلى الثقافة الدينية، وكانت تلك الأحاديث الممتعة، تجذب إليها كل راغب في إحدى هاتين الثقافتين، كما كانت خير رسالة من الجمع إلى جمهور مصر العظيم، ومن المؤسف حقاً أن يتزامن هذان العالمان الجليلان، في الرحيل عن هذا العالم الفاني، فيفقداهما الجمع في فترة وجيزة، وذلك في وقت نحن أحوج ما نكون إلى قدرتهما الخلاقة، وبالأخص في هذا الوقت بالذات، حيث اختلط الحابل بالنابل والغث بالسمين.

والواقع أن أحاديث الدكتور حامد جوهر الأسبوعية، قد استمرت ما يقرب من خمسة عشر عاماً متتالية، يتجول خلالها مع المشاهدين لمتابعة الحياة البحرية، وما بها من المفارقات

والأعاجيب، ما ظهر منها على السطح، وما بطن في الأعماق، وكان الجميع — متخصصون وغير متخصصين — يحرصون على مشاهدتها، والاستمتاع بما فيها من حقائق ومعلومات، توضيح، دون شك، قدرة الله سبحانه وتعالى على الخلق والإبداع.

أما عن البحار نفسها، وهي التي تتنفس بها مدن وقارات، وقامت على شواطئها منذ القدم حضارات، فقد أصبحت لها في عصرنا الحاضر ارتباطات ومشاكل، على أكبر جانب من الأهمية، بدءاً من تعريف المياه الإقليمية، ومدى امتدادها إلى داخل البحر، وانتهاءً بما تلقيه البواخر العابرة في جنح الظلام من المخلفات الكيميائية، أو بقايا المواد المشعة، ولا يكون خطرهما مقصوراً على الحياة البحرية فحسب، بل يمتد أيضاً إلى سكان البلاد المطلة شواطئها على تلك البحار، إن مثل تلك المشاكل قد عقدت لها لقاءات ومؤتمرات، على المستويين الإقليمي والعالمي، وذلك للحد من تلك المخاطر والأضرار.

ولم يكن هناك من يمثل مصر في أمثال تلك المؤتمرات أكثر حماساً وتألقاً

من المرحوم الدكتور حامد جوهر، وهو ما أدى إلى اختياره مستشاراً للسكربتير العام للأمم المتحدة في علوم البحار، وكان للدكتور حامد جوهر، رحمه الله، اهتمام خاص بموضوع "النشر العلمي"، فأصدر لأول مرة نشرة خاصة باسم "محطة الأحياء البحرية بالغردقة"، يطل منها الباحث العلمي على كل ما يجري في تلك المحطة، من دراسات وبحوث تتعلق بأحياء البحر الأحمر، ولم يكن هذا النشر مقصوداً على المصريين وحدهم، بل امتد ليشمل العديد من علماء الغرب، ممن يقومون بدراسات متعمقة على تلك الأحياء، أذكر منهم على سبيل المثال عالمة الأسماك المعروفة "يوجيني كلارك"، فقد أقامت ما يزيد عن عام كامل في "صومعة الغردقة"، وأخرجت لنا بعد هذه الإقامة دراسة شاملة عن "الأسماك السامة في الشعاب المرجانية بالبحر الأحمر".

سيادة الرئيس :

سيداتي سادتي:

تلك نبذة وجيزة عن الحياة العلمية والعملية لفقيدنا الكبير المرحوم الدكتور حامد جوهر، حياة كلها نضال وكفاح وتضحية، لم يخل خلالها بتقديم النصح والإرشاد، لكل طالب علم كان يلجأ إليه، ترك وراءه مدرسة كبيرة من علماء الأحياء، في مختلف الكليات والمعاهد، يشيدون بعلمه وفضله وإخلاصه في كل مكان.

وفي ختام هذا الحديث المتواضع، أطلب لفقيدنا الكبير الدكتور حامد جوهر الرحمة والمغفرة والأجر الحسن، على كل ما قدم لعلمه ووطنه من إنجازات وتضحيات، كما أتقدم بخالص العزاء لجميع الأهل والأصدقاء والزملاء في الداخل والخارج، وبخاصة إلى زملائه الجمعيين الذين عاصروه ردحاً طويلاً من الزمن، وعرفوا فيه الدقة والشهامة وحميد الخصال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد رشاد الطوبى

عضو الجمع

عاشق البحر

إلى روح رائد علم البحار في مصر والعالم العربي،
عضو مجمع اللغة العربية، ومن لُقّب بملك البحر
الأحمر، المغفور له الدكتور حامد عبد الفتاح
جواهر، طيب الله ثراه.

هذي عرائسها تبدّد فرحها
وتجهّمت حزناً وقام المأتم
وحدايق المرجان صوّح نبتها
كمداً كأنّ الماء فيه علقم

* * *

نبكيك للمثل العُلا يا جواهر
في بحر دنيانا لأنّك الجواهر
نبكيك للشيم الكرام أصيلة
ومفاخر في العلم ليست تُنكر
وتمسّك بالدين ترعى حقّه
وتُجلّه فيما تُسرّ وتجهّر

يا رب غمّده بغفرانٍ ووا
سع رحمة، أنت الرحيم الغافر
عوضه عن دنيا البحار بجنة
تجرى بها أنهارها والكواثر
محمد يوسف حسن
عضو المجمع

يا للنعيّ وقد نعى لي جَوْهرا
فكأنما الدنيا نعاها للورى
والشعر روعه النعيّ وهاله
فبكت قوافيه وفاضت أبجرا

يا جفنُ أسعفني بدمعٍ سافح
هو لي المعين لكي أصوغ الأَشْطُرَا
لهفى على مُتَبَلِّلٍ للعلم أمـ

ضى عمره يسعى إليه مُشْمِرا
قد كان للفصحى نصيراً دائماً
ومدققاً في العلم لن يتكررا

* * *

يا للبحار وقد عراها مأتم
أمواجها بنواحيها تتلاطم
الشطّ والأعماق تبكي جَوْهرا
وينوحه "متوسط" و"القلزم"
فُجعت بعاشقها البحار وأعوّلت
لرحيله كادت يفيض بها الدّم

طبع بمؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر

٩٢ شارع قصر العينى - القاهرة - تليفون : ٧٩٥١٨١٠ / ٧٩٥١٨١٨

